

N.Y.U. LIBRARIES

السُّوْمَا

في سياستهم ، وخصارتهم ، ودينهم ، وثقافتهم

وصيالاتهم بالعرب

للدكتور أ. د. رستم

الجزء الثاني

دارالمكشوف

BOBST LIBRARY



3 1142 02839 8959

DATE DUE

DATE DUE	

RUSTUM, ASAD JIBRAIL

/AL-RŪM/

الرُّومِ

في سياستهم ، وخصارتهم ، ودينهم ، وثقافتهم
وصيلاتهم بالعرب

للدكتور استدرستم

الجزء الثاني

دارالمكشوف

DF
552
.R8
v.2
c.1

الطبعة الاولى ، بيروت - لبنان ، ايار ١٩٥٦

جميع الحقوق محفوظة

الباب الثامن

الاسرة المقدونية والظفر والعظمة والامجد

(٨٦٧ - ١٠٥٧)

•

الفصل الثاني والعشرون

توطيد الملك : باسيلوس الاول ولاوون السادس

(٨٦٧ - ٩١٢)

أصل هذه الاسرة : وتختلف المراجع الاولية في أصل هذه الاسرة. فاليونانية منها تجعلها ارمنية او مقدونية. والارمنية تؤكد نسبها الارمني. والعربية تراها صقلية. ومن هنا كان هذا الاختلاف في الرأي بين رجال الاختصاص. والذي لا خلاف فيه هو ان باسيلوس الاول ولد في خريبوليس في مقدونية^١، وان العنصر الصقلي كان قد اصبح العنصر الرئيسي فيها كما سبق ان أشرنا. ولا يستبعد والحالة هذه ان يكون باسيلوس قد تحدر من اصل مختلط ارمني صقلي مقدوني^٢.

Papadopoulos, A., *Fontes Historiae Imperii Trapezuntini*, 69. ١

Adon, N., *Age et Origine de Basil I, Byzantion*, 1934, 223-260. ٢

افذوكية = باسيلوس الاول = ماريا			
طلقت ٨٦٥	٨٨٦ - ٨٦٧	خليمة ميخائيل الثالث	٨٨٢ +
اسطفانوس	اسكندر	زويه = لاوون السادس	قسطنطين الفيلسوس المعاون
بطريك	٩١٣ - ٩١٦	٩١٢ - ٨٨٦	٨٧٩ - ٨٧٠
القسطنطينية		قسطنطين السابع	
٨٨٦ - ٨٩٣		٩٥٩ - ٩١٢	

باسيلوس الاول : (٨٦٧ - ٨٨٦) وكان باسيلوس طويل القامة مقتول العضل جميل الطلعة جندياً شجاعاً وفارساً مغوراً . وما يروى عنه انه كان اقدر اهل زمانه في ترويض الخيل وتذليلها ، وانه استرعى نظر ميخائيل الثالث حينما ذلل مهراً جامعاً له بسهولة فائقة . وكان قد سبق له ان قهر جباراً بلغارياً فرماه عن ظهر جواده الى الارض في حفلة اقامها ابن برداس خال ميخائيل الثالث . فاحبه الفيلسوس وجعله امير اخوره Protostrator . وكان ذكياً نشيطاً قديراً ولكنه كان طموحاً . فما ان أصبح عالماً باحوال البلاط وبالنزاع بين ثيودورة وابنها ميخائيل الثالث واخيها برداس حتى بدأ يتربص الفرص لينتفع منها . فأيد برداس ضد اخته ثيودورة ليذكي النفور في البلاط ويجرد القيصر من ذويه . وأيد ارتقاء فوطيوس العرش البطريركي ليؤجج الغيظ ضد البلاط في صدور اعوان اغناطيوس وليبعد عن الفيلسوس كاتم اسرارٍ اشتهر بعقله وفضله وحسن ادارته . ثم بعد ارتقاء فوطيوس

أخذ يحرك حزب اغناطيوس ليزيد النفور والغيظ . وبعد ان أصبح رئيس القصر في السنة ٨٦٥ وسوس لسيمباتيوس صهر برداس لابنته ان الفسيلفس عزم على ان يرقه الى رتبة معاون له وان برداس منعه . فغضب سيمباتيوس من حميه ، وبالاتفاق مع باسيلوس وشي للفسيلفس ان برداس عازم على قتله . فأمر ميخائيل الفسيلفس برداس ان يجمع جيشاً ليتوجه به الى اقريطش لمحاربة العرب . وفي صباح الثاني والعشرين من نيسان سنة ٨٦٦ جاء برداس الى خيمة الفسيلفس لابساً حلته الرسمية ليستأذنه باخراج الجيش الى الجزيرة . فلاقاه ستة اشخاص من الذين تعلموا في مدرسته ، وفي مقدمتهم صهره سيمباسيوس وباسيليوس المقدوني . فرسم صهره الصليب اشارة للهجوم عليه . وللحال طعنه باسيلوس بضربة قاتلة سقط على اثرها مضرجاً بدمائه . ثم انكب الباكون عليه وأكملوا ذبحه امام الفسيلفس . ورجع الفسيلفس ميخائيل الثالث الى العاصمة وتبنى باسيلوس وجعله ولي عهده ، واقامه فيلسفياً معاوناً ، وتوجه في يوم العنصرة في السابع والعشرين من ايار بيد البطريرك فوطيوس . وكان ميخائيل لا يزال طائشاً وكان باسيلوس ادرى الناس به لقربه منه ، ولكونه قد تزوج من خليلته افذوكية انغرنية ، فأدرك ان عطف الفسيلفس قد بدأ يتحول عنه ، فهجم عليه وقتله في قصره في الرابع والعشرين من ايلول سنة ٨٦٧ . ثم طلب الى البطريرك ان يمسه فيلسفياً ، ففعل لرضاء الشعب عنه .

وعلى الرغم من هذا كله فان جمهرة من المؤرخين يرون في باسيلوس ، على ضوء ما تم على يده بعد ان انفرد بالحكم ، رجلاً ادارياً قادراً ، وسياسياً داهيةً ، مفطوراً على السلطة والحكم ، راغباً في اعادة النظام ،

١ جراسيموس متروبوليت بيروت، الأنشاق، ج ١ ، ص ٣٩٧ و ٤٠٨ و ٣٧٢ - ٤٧٣ .

Theophanes Continuatus, Hist., 208-209, 250-251 .

طامحاً الى اعلاء شأن الامبراطورية واعادة مجدها.

باسيليوس والعرب والارمن : وكانت الدولة لا تزال في سلم مع البلغار . وكانت علاقاتها ودية مع البندقية ومع خليفة كارلوس الكبير في ايطالية . وكانت الدولة العباسية قد دخلت في طور ضعف وانحلال اشتد فيه نفوذ الاتراك ، وعلت اصوات الجوارى امهات الامراء ، وثار العلويون مطالبين بالعرش ، ونفر العرب من بني العباس . فتصرف طاهر ابن الحسين وخلفاؤه في النفوس لمصلحتهم في خراسان . واستقل حسن ابن زيد الديلم في طبرستان وجرجان . ثم تغلب الصقارية في سجستان وغيرها وارادوا مهاجمة بغداد (٨٧٤) . واستطاع أفاق ان يصبح سيد البصرة وان يمد سلطانه الى ابواب بغداد . وسلخ احمد ابن طولون التركي مصر والشام واخذ يجمع الضرائب لحساب نفسه (٨٧٧) . واكتفت بغداد بتحريض بعض امراء الشام عليه . ثم اعترفت دمشق بسلطة خمارويه ابن احمد ابن طولون ففضى على الاحزاب المعادية في الشام (٨٨٩) واتخذ دمشق قاعدة لملكه .

وأراد باسيليوس الاول ان يستغل هذا الظرف لصالح شعبه ، فقام يحارب على طول الجبهة الاسلامية من شاطيء قيليقية حتى ارمينية وطرابزون . ونجح في دفع المسلمين الى الورا في حروب متتالية بين السنة ٨٧١ والسنة ٨٨٢ . فاحتل الممرات الرئيسة عبر طوروس ، وقاقت البولسين بين سبسطية على الهاليس وملاطية على الفرات ، ودخل عاصمتهم تفريقية عنوة في السنة ٨٧٢ فدمرها تدميراً وذبح خريسوخيروس صاحبها وعرض رأسه في موكب النصر في القسطنطينية . وفي السنة ٨٧٣ احتل زبطرة وسميساط .

ومع انه لم يستولِ على ملاطية فانه قطعها عن دولة العباسيين باحتلاله ما حواليها . وعند السنة ٨٧٧ كان قد احتل لؤلؤة وجميع ما وقع بين قيصرية ومرعش وأصبح سيد جبال طوروس بسلسلتها وممراتها .
وسرّه ان الخليفة المعتمد اعترف في السنة ٨٨٥ بدولة ارمينية مستقلة بزعامة اشوت بغرتوني^٢ . فأسرع يعترف هو بدوره بالملك الجديد مقدماً له تاجاً مخاطباً اياه بالعبارة « الابن الحبيب » مؤكداً ان ارمينية ستظل اعز حلفاء الامبراطورية . ولكنه في الوقت نفسه بقي على اتصال وثيق بامراء الاسباك والكرج كي لا يستفحل امر اشوت الملك الجديد^٣ .

وأدرك الفيلسوف الجديد خطورة الموقف في البحر المتوسط وفي الغرب . فان السيادة على هذا البحر كانت قد استقرت في يد المسلمين . وكان هؤلاء قد استقروا في صقلية وفي باري وتارنتوم . وكانوا يغيرون من هذه القواعد على سواحل الادرياتيك الشرقية وسواحل ايطالية الجنوبية فيربعون سكانها ويعرقلون تجارتها . وما فتئوا حتى ظهروا امام روما نفسها . وكان قد تبين جلياً ان امراء سلرنو وكابوة وبنفنتوم اللومبارديين لا يقوون على الصمود في وجه العرب المسلمين لانقسامهم على انفسهم انقساماً لا وحدة بعده وان الامبراطور الغربي لويس الثاني كان قد اصبح ضعيفاً . وكان قد امّ القسطنطينية وفدان احدهما يمثل هذا الامبراطور والثاني يمثل البابا ليحثا الفيلسوف الجديد على صيانة النصرانية في الغرب ودفع خطر المسلمين عنها . فهب^٤ باسيليوس لمعونة اخوانه في النصرانية وانفذ في السنة ٨٦٨

Vasiliev, A. A., *Byzance et les Arabes Sous la Dyn. Macedonienne*; ١

Anderson, *Campaign of Basil I against Paulicians*, *Class. Rev.*, vol. X;
Theophanes Continuatus, *Hist.*, 266-268, 271-276.

Laurent, *Arménie entre Byzance et l'Islam*, 265-283. ٢

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 304. ٣

مئة بارجة حربية بقيادة نيقيطاس اوريغاس الى الادرياتيک . وقُدِّر النجاح لهذا القائد البحري ففك حصار راغوسة ، ثم تعاون مع البنادقة فأعاد النظام والسلم الى بحر الادرياتيک . وعادت مدن دلماتية الى حوزة الفسيلفس واعترفت دويلات الصرب والكروات بسيادة القسطنطينية^١ .

وأدى اندفاع باسيليوس الاول في درء الخطر الاسلامي الى تقرب من البابا وتعاون مع الامبراطور لويس الثاني . وبفضل هذا التعاون تمكن لويس الثاني من الاستحواذ على باري في السنة ٨٧١ . وبعد وفاته اخذ باسيليوس الامور على عاتقه فاحتل باري في السنة ٨٧٦ وأبقى فيها حامية بزنطية وقائداً امبراطورياً . وفي السنة ٨٨٠ دخل ترنتوم عنوة . ولكنه لم يتمكن من فرض سلطته على صقلية . وسقطت سرقوسة في يد العرب المسلمين في السنة ٨٧٨ . وكان في اثناء هذا كله نصر السوري يجول جولات موفقة في مياه ايطالية الغربية فيضرب بوارج المسلمين ضربات أليمة ، وما فتىء حتى احرز نصراً كبيراً بالقرب من جزائر ليباري . فدخلت كابوة وسانرو ونابولي وبنافنتوم في حماية الروم ودخل البابا يوحنا الثامن في حلف مع الفسيلفس . وجاءت السنة ٨٨٥ فأحرز القائد نيقيفوروس فوقاس انتصارات برية عديدة تمكن بها من استعادة امانة وتروبة وسانتا رفرينة من يد المسلمين كما اخضع جميع ما وقع بين كوسنزة وبرنديزي . فأنشأ في السنة ٨٨٦ ثيمة لانغوبردية وثيمة كلابرية . واعترف عدد كبير من الامراء اللومباردين بسلطة الروم . وأصبح الفسيلفس باسيليوس الاول « صاحب الشوكة المعظم » في جميع انحاء ايطالية الجنوبية . وانشأت

Vita Basilii, 290-292; Jirecek, Gesch. der Serben, I, 198 ff; Gay, Italie Meridionale, 49-76.

الكنيسة الارثوذكسية عدداً لا يستهان به من الابريشيات في هذه المنطقة عنها^١.

باسيلوس والكنيسة: وقضت هذه المطامع السياسية الايطالية عنها بوجود التفاهم بين رئاسة الكنيسة في الغرب وبين الرئاسة في الشرق. وبما زاد في رغبة باسيلوس في ازالة الانشقاق في الكنيسة، ان انصار اغناطيوس، مناظر فوطيوس، كانوا لا يزالون كثيراً في القسطنطينية وما جاورها، وان باسيلوس كان يكره فوطيوس ويخشى نفوذه في الاوساط العلمية والعالية. وهكذا فاننا نرى باسيلوس يخلع فوطيوس عن العرش البطريركي المسكوني في الثالث والعشرين من تشرين الثاني سنة ٧٦٧، ويعيد اليه اغناطيوس نفسه ويطلب الى البابا ان يعيد توحيد الصفوف وان يرسل الى القسطنطينية من يمثله في مجمع مسكوني يعقد لهذه الغاية^٢. ووافق البابا ادريانوس الثاني (٨٦٧-٨٧٢) وأرسل رسله الى القسطنطينية فوصلوا اليها في السنة ٨٦٨ واستقبلوا فيها بحفاوة فائقة. وفي الخامس من تشرين الاول سنة ٨٦٩، التأم مئة اسقف في مجمع عد مسكونياً وروقب مراقبة شديدة من قبل الفسيلفس. فطلب اعضاؤه فوطيوس للمثول امامهم، ففعل. فطلب اليه ان يجيب عما ووجه اليه من انتقاد فرفض بعزة وأنفة وكبر. ففقطع هو وجميع اتباعه وكسرت قرارات بطريركيته. وفرض رسل البابا الطاعة على الشرقيين^٣. ولم يدم هذا الانتصار الا قليلاً. ففي غد اليوم نفسه الذي انتهت فيه اعمال هذا المجمع (٢٨ شباط ٨٧٠) تقدم بوغوريس ملك البلغار بطلب

Diehl et Marçais, *Monde Oriental*, 440-441; Gay, *Italie Meridionale*, ١ 185 ff.

Mansi, *Sacrorum Conciliorum Nova et Amplissima Collectio*, XVI, 47 ff. ٢

Mansi, *op. cit.*, XVI, 16-207. ٣

الى المجمع يرجو فيه البت فيما اذا كانت الكنيسة البلغارية تابعة لرومة
او للقسطنطينية . فعقد اعضاء المجمع اجتماعاً خاصاً لهذه الغاية . ووجد رسل
رومة ان باسيليوس واغناطيوس لم يكونا اقل تمسكاً بالكنيسة البلغارية
وبوجوب دوام خضوعها لكرسي القسطنطينية من برداس وفوطيوس . وعلى
الرغم من احتجاج رسل البابا فان باسيليوس أقر خضوع الكنيسة البلغارية
لسلطة البطريرك المسكوني ، وأسرع اغناطيوس فسام عليها رئيس اساقفة
يونانيا يعاونه عشرة اساقفة يونانيين ايضاً . واضطر الكهنة الرومانيون
ورؤسائهم ان يغادروا بلغاريا . ولدى وفاة اغناطيوس البطريرك المسكوني
في السنة ٨٧٧ طلب باسيليوس الى فوطيوس ان يخلفه . وكان فوطيوس
قد نجا من المنفى وعاد الى القسطنطينية ليهدب اولاد الفسيلس . وفي
السنة ٨٧٩ عاد الفسيلس فطلب الى حليفه في السياسة البابا يوحنا الثامن
(٨٧٢ - ٨٨٢) ان يشارك في مجمع مسكوني يعقد في القسطنطينية للنظر
في قضية فوطيوس البطريرك . فأوفد يوحنا الثامن من مثله في هذا
المجمع . والتأم لهذه الغاية واحد وثمانون رئيس اساقفة (متروبوليت)
ومثتان وسبعون اسقفاً . واحتج فوطيوس احتجاجاً شديداً على قرارات
المجمع السابق ، فوافق المجمع الجديد على براءة فوطيوس بما نسب اليه ،
وكسر قرارات مجمع السنة ٨٦٩ - ٨٧٠ ، وأعلن فوطيوس رئيساً للكنيسة
الشرقية ، واعتبره ممثلو البابا « صاحب قداسة » . وفي يوم عيد الميلاد من
السنة ٨٧٩ قدم فوطيوس الذبيحة الالهية يعاونه جميع اعضاء المجمع . وأصدر
المجمع قوانين ثلاثة اهمها : ان البطريرك فوطيوس يجرم من يجرمه البابا
يوحنا من رجال الكليروسه او ابناء رعيته المقيمين في آسية او اوروبة او
افريقية ، وان البابا يوحنا يقابله بالمثل ، وان « التقدم » الذي للكنيسة
الرومانية يبقى على حاله بلا احداث ولا تغيير ان في الحاضر او المستقبل .
وعقدت الجلسة السادسة قبل الاخيرة في الثالث من آذار سنة ٨٨٠ في

البلاط لا في آجيا صوفيا ، وحضرها الفيلسوف واولاده . ونصح الفيلسوف ان يكتب دستور ايمان عام . فأجاب نائب بطريك انطاكية « ان دستور الايمان في كل المسكونة هو هو لا يتغير والمجمع الحاضر يصدق عليه . » ثم قال نواب رومة انه يجب ان لا يسنّ قانون جديد بل ان يصدق على دستور الايمان القديم النيقاوي . فأمر البطريرك فوطيوس رئيس الكتاب الشماس بطرس ان يقرأ اعتراف الايمان ، ففعل .

وكان يقال فيما مضى ان رومة لم تعترف بقرارات هذا المجمع المسكوني الثامن وان البابا يوحنا الثامن لدى اطلاعه على قرارات هذا المجمع المسكوني الثامن ارسل مارينوس سفيراً الى القسطنطينية ليقتنع الفيلسوف والبطريرك بوجود تعديل بعض قرارات هذا المجمع وانه أخفق في هذا ، فصعد على الآمن وفي يده الانجيل ونادى : « كل من لا يعتبر فوطيوس المفروز بحكم الهي كما تركه الباباوان نيقولاوس وادريانوس القديسان ليكن اناثما اي مفروزاً » ، وان الفيلسوف غضب فألقاه ثلاثين يوماً في السجن^١ . ولكن جمهرة العلماء اليوم وبينهم الكاثوليكيون امثال دفورنك وغرومل يرون ان هذا كله كان ضرباً من الدعاوة الاغناطوسية التي اختلقت اختلاقاً في ايام البابا فورموسوس (٨٩١ - ٨٩٦) وان كل ما نعلمه عن علاقات فوطيوس بالبابا يوحنا الثامن يكذب هذه الدعاوة تكذيباً^٢ ، وانه لم يقيم بين خلفاء البابا يوحنا الثامن وحتى انتهاء بطريركية فوطيوس الثانية في ايام لاوون السادس من قطع علاقاته مع هذا البطريرك العالم التقي العظيم^٣ .

Patrologia Graeca, Vie d'Ignace Patriarche de Const., vol. 105 ١

Dvornik, F., Pretendue Condamnation de Photius, Byzantion, 1933, 426 ff; Grummel. R. P., Y a-t-il un second schisme de Photius?, Rev. Sc. Th., 1933. ٢

Fliche, A., et Martin, V., Histoire de l'Eglise, (1937-1944), VI, 497-498; ٣

Diehl et Marçais, Monde Oriental, 442-444.

سياسة باسيلوس الداخلية : وكان باسيلوس يشعر بالواجب الملحق على عاتق الفيلسوف فيراه يقضي بالعدل والاستقامة والمحبة والرفقة والاحسان^١. ولذا فانه سعى سعياً حثيثاً لرفع شأن العرش بعظمة البناء وكثرة البذخ والفضيحة وبجسناً الادارة. وقال بوجوب السهر لرفع الظلم فجلس على منصة الحكم يصغي للتظلم من الحكام ورجال الادارة. وأعلن نفسه حامياً للفقراء والوضعاء والتعساء. وجعل بمقدور رعاياه ان يتثبتوا من صحة الضرائب المفروضة عليهم. وعني عناية فائقة بانتقاء الموظفين وحضهم على العدل وعلى سياسة الرعايا بايدي طاهرة غير ملوثة^٢. وبذل وسعه للحد من جشع اصحاب الاملاك الكبيرة ولتقليل اظافر هؤلاء الذين « طمعوا بما ليس لهم ».

ثم رغب في توضيح القوانين والشرائع وتدقيقها^٣، فأمر بوجوب « تطهير » الشرائع القديمة منذ عهد يوستينانوس وجعلها تتلاءم وتطورات المجتمع. وأمر ايضاً بنقلها الى اليونانية. وكان يهدف من وراء هذا فيما يظهر الى الغاء التشريع الاسوري، الى « اسقاط هذه الاكروعة الهدامة وابطال احكامها الرديئة^٤ ». وعيّن لجنة لهذه الغاية. ولا يستبعد ابداً ان تكون هذه اللجنة قد عملت باشراف فوطيوس البطريك المسكوني. فظهر في السنة ٨٧٩ البروخيريون في اربعين فصلاً وفيه افضل ما جاء في مجموعة يوستينانوس الكبيرة Corpus Juris Civilis. وبانت في السنة ٨٨٦ الاباناغوغوة Epanagogè في اربعين فصلاً خلاصة وافية في ايدي القضاة والطلاب والاساتذة.

Exhortationes, ch. 41 ; Vita Basilii, 321-340.

Vita Basilii, 257-261.

Freshfield, , Ecloga ad Prochirion Mutata .

Prochiron, Préface, Parag., 3, 9.

وكان باسيلوس قد طلق زوجته الاولى ماريا في السنة ٨٦٥ وتزوج من افذوكية خلية ميخائيل الثالث . فلما رقي باسيلوس العرش سرت اشاعة في العاصمة ان لاوون ابن باسيلوس الاكبر من زوجته افذوكية هو ابن ميخائيل لا باسيلوس . وعلم الفيلسوف بذلك في حينه . ودبرت عدة مؤامرات لاغتياله . فرأى من المناسب ان يوطد سلطته بتبيان اصل العائلة المالكة وحقها بالملك . ففعل واطلق على كل عضو من اعضاء عائلته اللقب *Porphyrogenetes* اي الذي أبصر النور بالارجوان . فنشأ عن هذا اخلاص واحترام ووفاء للاسرة المالكة أهابت بالمغتصبين انفسهم الى احترام من بيده السلطة الشرعية والى التدليل بشرعية اغتصابهم . وأصبح شق عصا الطاعة مجرد ذاته جرماً وجهلاً في نظر الشعب . وساد الاعتقاد ان من بيده الحق في الملك يغلب في النهاية . وتمكنت النسوة من جراء هذا كله من الجلوس على العرش والتحكم في مقدرات الشعب . وهي ظاهرة اجتماعية سياسية لا اثر لها في الغرب المعاصر .

لاوون السادس : (٨٨٦ - ٩١٢) وتوفي باسيلوس من جراء جرح أصابه في اثناء الصيد في التاسع والعشرين من آب سنة ٨٨٦ وكان قد أوصى بالملك لولديه لاوون واسكندر ، وكانا قد أشركا في الحكم في عهد والدهما . واستأثر لاوون بالسلطة ولم يعارضه في ذلك اخوه اسكندر لانه كان خفيف العقل طائشاً فاستصحب واستهتر .

ولم يكن لاوون رجل حرب كوالده لان صحته لم تكن تساعد على ذلك ، فلأزم القصر واهتم بأداب المعاشرة والتشريفات ، وحارب في اكثر الاحيان بالمنظار من قصره بعيداً عن ساحات الوغى . ولم يكن والده ذا علم فأحب

ان يتلقن اولاده علوم العصر ، فوكل امر تهذيب لاوون الى فوطيوس
البطريك . فنشأ لاوون محيطاً بجميع علوم عصره . فادعى المنطق والفلسفة
واللاهوت والقضاء والتكتيك في الحرب والشعر والسحر والتنبؤ وفاخر
بها جميعاً . واثرت هذه الاحاطة في اوساط العاصمة فلقب بالحكيم . وكان
متعبداً متديناً يعظ المؤمنين في الاعياد ويجالس الرهبان ورجال الدين
ولاسيا معلم ذمته افثيموس . وأوصى في قوانينه الصادرة عنه بدرجة من
المحافظة على الاخلاق لم يصل هو نفسه اليها .

لاوون والكنيسة : وكان قد وشي لباسيليوس بابنه لاوون بانه ينوي
قتله ، فسجنه وعزم على قلع عينيه ، ولكن فوطيوس البطريك توسط
في أمره وخلصه من الخطر . ولدى ارتقاء لاوون العرش دسّ اعداء
فوطيوس الوسوس للفيلسوف الجديد واقنعوه ان الواشي به لابه كان
ثيودوروس الساحر واشركوا مع هذا بالتهمة فوطيوس نفسه . فعزل لاوون
فوطيوس إما لانه صدق الوشاية او لانه احب ان يجلس اخاه اسطفانوس
بطريكاً او للامرين معاً ، ونفاه في اواخر السنة ٨٨٦ ، وحبس ثيودوروس
وجلده ، ورقى اخاه السنكلس اسطفانوس كرسي البطريكية . وتوفي فوطيوس
في السادس من شباط سنة ٨٩١ . ولا يزال الدير ، الذي اقامه في جزيرة
خالكي بالقرب من القسطنطينية على اسم الثالث الاقدس ، وقد اصبح
مدرسة اكليزيكية عالية ، يحتفل بتذكاره في السادس من شباط حتى يومنا
هذا كما لا تزال الكنيسة الارثوذكسية تعتبره قديساً عظيماً مساوياً للرسل . وتوفي
البطريك اسطفانوس اخو لاوون في السنة ٨٩٣ وقام بعده البطريك انطونيوس
الملقب بكاولياس Cauleas احد رهبان اوليمبوس . وكان رجلاً فاضلاً ايضاً

*Cernauti, Etudes de Droit Byzantin, III, 41; Monnier, H., Nouvelle de
Léon le Sage, 14; Krubmacher. K., Gesch. der Byz. Lit. 628; Vogt et
Hausherr, Oraison Funèbre de Basil I, Orientalia Christiana, 1932.*

فحاول باخلاص اصلاح العلاقات بين اتباع فوطيوس واتباع اغناطيوس ،
ولكن دون جدوى . وتوفي سنة ٨٩٥ فقام بعده البطريك نيقولاووس
مستيكوس Mysticos ، اي المكاتم . وكان رجلاً عالماً ، فاضلاً ، تقياً ،
تقبل النذر بعد ان كان قد اصبح كاتم اسرار لاوون الفسيلفس . ورفي
في درجات الكهنوت الى ان انتخب بطريكاً . وما فتىء حتى نفاه لاوون
في السنة ٩٠٦ ، فجلس على كرسي القسطنطينية افثيميوس السنكلش^١ .
وكان شغل لاوون الشاغل وهمه الاوحد ان يكون له ولد ذكر
يخلفه على العرش . وماتت زوجته الاولى ثيوفانو في السنة ٨٩٣ . وكانت
له علاقات غير شرعية مع زويه ابنة استيليانوس زاوتسه . وكانت هذه قد
اماتت زوجها الشرعي مسموماً ، وتوفي والدها . فاراد لاوون ان يتزوج
منها زواجاً شرعياً ، وطلب الى كاهن البلاط ان يرفع يده بالبركة ففعل .
ولكن البطريك انطونيوس لم يرضَ عن هذا الاكليل . وبقيت زويه مع
لاوون سنة وثمانية اشهر ثم ماتت . فتزوج الفسيلفس من ثالثة افذوكية
الشهيرة بجهالها . ولكنها ما لبثت معه الامدة الحمل ، فانها ماتت في اول
ولادة هي وطفلها معاً . وهكذا فان لاوون بقي بدون ولد ذكر
يخلفه . فأقام فيما بعد مع سرية اسمها زويه كاربونوبسينا Zoé Carbonopsina
« ام العيون السود ! » وبعد ان خلف منها ولداً ذكراً هو قسطنطين
السابع ، طلب الى البطريك نيقولاووس مستيكوس ان يكله عليها .
فذكره البطريك بالمادة التسعين من القانون الذي أصدره هو بصفته
فسيلفساً وقد ثبت فيها القانون الكنائسي بمنع الزيجة الرابعة وشجب الثالثة .
وذكره ايضاً بالمادة الحادية والتسعين من القانون نفسه التي منعت اقتناء

١ جراسيموس متروبوليت بيروت ، الانشقاق ، ج ١ ، ص ٥٣٤ ، وج ٢ ،
ص ٩ - ١٠ .

السراري . ثم قال انه يعمد المولود الجديد شرط ان يهجر الفيلسوف ام
الطفل . فقبل لاوون بذلك وطرد زويه من البلاط . فاقيم سرُّ العماد باحتفال
مهيب يوم عيد الظهور في السنة ٩٠٦ . ولكن لم تمض ثلاثة ايام حتى
عادت زويه الى البلاط . وعلم لاوون انه ليس بين الكهنة ورؤساء الكهنة
من يقبل ان يكله عليها فكل نفسه عليها بنفسه ، فكان هو العريس والتقيس
معاً . ثم أغوى كاهناً اسمه توما فكله ، فقطع البطريرك الكاهن ، وأخذ
ينصح الى لاوون ، لا بل يتضرع اليه ، الا يكون عثرة في سبيل
الكنيسة ، وان يتصرف بما يشرف مركزه العالي كي يصبح شخصه الشريعة
الناطقة . فلما أصرَّ الفيلسوف على موقفه منعه البطريرك من الدخول الى الكنيسة ،
وسمح له بان يقف في المدخل مع الموعوظين . فسعى القيصر لدى بعض
الاساقفة واستألمهم اليه ، كما استمال البابا سرجيوس الثالث (٩٠٤ - ٩١١)
وعقد مجمعاً في السنة ٩٠٦ ، وانزل نيقولاووس عن كرسية البطريركي .
وجلس البطريرك افثيميوس السنكثس ، فحل لاوون من حرمة وقبلة في
شركة الكنيسة . وعزم لاوون ان يسن قانوناً يحلل به الزيجة الرابعة
والخامسة والسادسة وهلم جراً ، ولكن افثيميوس منعه من ذلك . وظل
لاوون فيما يظهر غير مرتاح البال حتى ساعة وفاته . فانه عندما اقترب
أجله في السنة ٩١٢ ، استدعى نيقولاووس من منفاه ، وبكى وطلب
الصفح ، وأوصى اخاه الوصي الكسندروس ان يخلع افثيميوس ويرجع
نيقولاووس^١ .

سياسة لاوون الداخلية : وعني لاوون بالتشريع كما فعل والده
من قبل . وأمر بتأليف لجنة من كبار رجال القضاء لتعيد النظر فيما تم

Diehl, C., *Les Quatre Mariages de Léon, Figures Byzantines, I*, 181-215 ; ١
Gay, I., *Le Patriarche Nicolas le Mystique, Mélanges Diehl, I*, 91-100 ;
Bréhier, L., *Byzance, op, cit.*, 142-146 .

في عهد والده . فظهرت على يد هذه اللجنة ما بين السنة ٨٨٦ والسنة ٨٩٢ مجموعة جديدة للقوانين باللغة اليونانية دعيت بالباسيليكة . واللفظ مشتق من كلمة فيلسفس لا من كلمة باسيلوس ، ومعناه الشرائع الامبراطورية^١ . وليس لدينا نسخة كاملة تشمل الكتب الستين التي تألفت منها هذه الباسيليكة . وجل ما وصل اليها نسخ متعددة ناقصة تضم بمجموعها حوالي ثلثي هذا المؤلف النفيس . بيد ان القاضي باتزس Patzes الذي عاش إما في القرن الحادي عشر او الثاني عشر صنف التيبوكيتوس Tipucitus فجعله جدولاً كاملاً لمحتويات الباسيليكة^٢ . وقد يعود كتاب الابارخوس الذي وجدته العالم السويسري نيقولا في اوخر القرن الماضي في جنيف الى عهد لاوون . والابارخوس لقب حاكم القسطنطينية اعلى الموظفين الاداريين في الدولة . وكان عليه ان يوطد الامن في العاصمة وان يدبر شؤون جميع النقابات الصناعية والتجارية . ومن هنا كانت اهمية هذا الكتاب ، فانه يحفظ لنا ما لا نجده في غيره من المصنفات . فهو يصف انظمتها وسير اعمالها ، ويبدأ بنقابة الكتاب العدول ، ثم يصف نقابات الصاغة ، فرجال الحريز ، فالكتان والشمع والصابون ، والدباغين ، والحجازين ، واللحامين وغيرهم^٣ . وهناك اكثر من مئة قانون تعود الى عهد لاوون ايضاً ولكنها لم تدرس بعد درساً وافياً^٤ .

وعلى الرغم من هذا الاهتمام بالاشتراخ فان بلاط لاوون السادس الحكيم ظل مسرحاً للمؤامرات والدسائس طوال مدة حكم هذا الفيلسفس . وتفصيل ذلك ان لاوون آثر الاهتمام بتنظيم القوانين على تطبيقها ، وشغل

Heimbach, G., *Basilicorum Libri*.

١

Ferrini, C., *Opere di Contardo Ferrini, I, 349-363*.

٢

Stockle, A., *Spatromische und Byzantinische Zunft, Leipzig, 1911*.

٣

Monnier, H., *Les Nouvelles de Léon le Sage*.

٤

بالاستقبالات والتشريفات عن الاشراف على الادارة . فنفذت كلمة
 استليانوس تراوترس الارمني الموظف في بلاط باسيلوس الذي كان قد
 أيد لاوون في نزاعه مع والده وتغاضى عن علاقات لاوون مع ابنته
 زوية . وعندما أصبح لاوون فيلسفياً جعل من استليانوس هذا لوغوثيتاً
 واعطاه صلاحيات واسعة بحيث أصبح وزيره الاول . وكان استليانوس في
 نزاع دائم مع افثيموس الراهب معلم ذمة الفيلسوف ، وأصبح الشغل الشاغل
 لكل منهما الدس على الآخر . وتوفي استليانوس في السنة ٦٩٨ فقال الحظوة
 عند لاوون خصي عربي اسمه ساموناس ، كان قد تقبل الدين المسيحي ،
 وكشف للفيلسوف مؤامرة مخيفة : فاحبّه الفيلسوف وقرّبه وغمره بالمال ،
 وأفاض عليه الرتب والالقباب . وعلى الرغم من انه حاول الفرار الى بلاده
 بامواله في السنة ٩٠٤ فان لاوون اكتفى باهماله بضعة اشهر ثم أعاده الى
 سابق عزه ونفوذه . وما فتئ كذلك حتى السنة ٩١١ ، ففيها ثبت لدى الفيلسوف
 ان هذا الحصي العربي هو الذي نظم الاهجية الفاضحة بحقه . فصادر الفيلسوف
 امواله وحبسه في احد الاديرة^١ . وأحل محله الحصي قسطنطين البافلاغوني .
 ويعزو بعض رجال الاختصاص الى لاوون الحكيم انشاء سلسلة من
 القلاع المحصنة في اماكن متقدمة عند الحدود العربية الاسلامية دعيت
 كليسورات Clisurae . وكانت الغاية من انشائها ، فيما يظهر ، تدعيم الحدود
 وبث الدعاية السياسية والدينية . وأهم ما انشئ منها قام في قبدوقية
 الشرقية وفي اعالي الفرات^٢ . وخسر الروم اكسارخوسية افريقية لوقوعها
 في يد العرب ، واكسارخوسية رايننة لوقوعها في يد اللومباردين اولاً ،
 ثم الافرنج بعدهم . وفي السنة ٧٥٤ كانت هذه الاكسارخوسية قد

Janin, R., *Un Arabe ministre à Byzance*, *Echos d'Orient*, 1935, 308-318. ١

Gelzer, H., *Ungedruckte... Texte der Notitiae Episcopatum*, 562 ff. ٢

اصبحت نواة مملكة البابا الزمنية ، على اثر تنازل باينوس عنها واهدائها
لحبر رومة . وفي اوائل القرن التاسع كان لدى الروم عشر ثيمات ، خمس
في آسية ، واربع في اوروبة ، وواحدة بحرية . ويرى رجال الاختصاص
ان باسيلوس الاول ولاوون السادس زادا عدد هذه الثيمات ، فجعلها خمس
عشرة ، وازافا اليها دوقية واحدة ، وكليسوريتين ، وارخونيتين . ودليلهم
على هذا مأخوذ من نص ابن خرداذبه المشار اليه سابقاً ، ومن بعض
النصوص الاخرى^١ .

لاوون الحكيم والعرب : وكانت قد اصبحت اقريطش العربية بلية الروم
وأضحت عاصمتها الحندق مأوى القرصان المسلمين وملجأهم . فمنها ومن طرسوس
وطرابلس كانوا ينتشرون في مياه الارخبيل فيسطون على التجارة وينقضون
على الجزر مخربين مدمرين . فهجر الروم الجزر وفرّ سكان سواحل ايجه الى
داخلية بلدانهم . وفي السنة ٩٠٤ قام لاوون الطرابلسي بهجوم جريء جداً
على القسطنطينية نفسها ، فدخل الدردنيل بأشرعته السوداء وأحايشه المردة .
ثم انثنى من تلقاء نفسه وانقضّ على نيسالونيكية اكبر مدن الروم بعد
القسطنطينية . وقدر له ان تكون هذه خالية من الحامية ، فدخلها عنوة
في بضع ساعات ، وقتل ونهب ، ثم سبي اثنين وعشرين ألفاً من الشبان
والشابات ، فباعهم في اسواق الرقيق في الحندق وطرابلس^٢ . فعظم هذا
الامر على الروم وشق وصعب . وهب هياربوس قائد البحر في السنة ٩٠٦
فانتصر على المسلمين انتصاراً كبيراً . وتشجع وتقوى ، فقاد في السنة ٩١٠
حملة بحرية كبيرة على اقريطش بسبعة آلاف فارس واربعة وثلاثين الف

Bury, J. B., Imperial Adm. System in Ninth Cent., 146-147; Diehl et ١
Marçais, Monde Oriental, 448-449 .
Theophanes, Cont., 366-371; Cameniale, J., De Excidio Thessalonicensi, ٢
564-567 .

مقاتل بحري ، وخمسة آلاف من المردة ، وسبع مئة مرتزق روسي . واخفق هياربوس فعاد عن اقريطش فصدّه في البحر اسطول عربي كبير في مياه ساموس فأُنزل به خسارة كبيرة .

ولم يكن فوز العرب في الغرب أقل منه في الشرق . ففي السنة ٩٠١ سيطر العرب على مضيق مسينا . وفي السنة ٩٠٢ تم استيلاؤهم على صقلية باكملها ، وأعلن امير القيروان انه « سوف يخرّب مدينة الشيخ الهرم بطرس نفسها » . وقامت مشاغل جديدة في البلقان ، فلم يتمكن لاوون من الدفاع عن رومة وايطالية كما فعل والده من قبل .

لاوون والبلغار : وكان قد تم الامتزاج بين البلغار الحاكمين ورعاياهم الصقالبة ، فتوحدت الكلمة ، واشتدت المطامع وعظمت . وكانت بلغارية في عهد لاوون السادس قد شملت قسماً هاماً من البلقان الغربي ، ومعظم ما وقع بين الدانوب ومورافية وبولونية . وكان قد تولى العرش بعد بوغوريس الاول ابنه سمعان (٨٩٣ - ٩٢٧) . وكان سمعان قد نشأ في القسطنطينية رهينة ، فتهذب فيها ، واتقن اليونانية والخطابة والمنطق ، وتذوّق بذخ البلاط ، ونفّس الحضارة البيزنطية . فطمع في عرش الروم ، وتاقت نفسه الى التاج البيزنطي . وما ان تبوأ العرش البلغاري في السنة ٨٩٤ حتى وجد نفسه في حرب ضد الروم ٢ .

والغريب في هذه الحرب انها بدأت من جراء نزاع اقتصادي ، فاختلفت عن سواها من الحروب السابقة . وتفصيل ذلك ان التجار البلغاريين كانوا قد انشأوا لانفسهم وكالات تجارية في القسطنطينية ، زاحموا بها

Gay. I., *Italie Meridionale*, 155-158 .

١

Runciman, S., *First Bulgarian Empire*; Rambaud, A., *Hellènes et Bulgares*.

زملاءهم الروم ، وكان هؤلاء قد نجحوا فأكروها البلغاريين ، بتدبير خاص ، على الخروج من القسطنطينية والاتجار في ثيسالونيكية ، ونجحوا ايضاً في ان يجعلوا الدولة تفرض على التجار البلغاريين ضرائب باهظة . وفاوض سمعان زميله لاوون في أمر هؤلاء فنكع في ذلك ، فاغتاظ وأعلن الحرب^١. وانقضّ سمعان على تراقية ، وكان معظم جيش لاوون في آسية ، فانصر الملك البلغاري . فاضطر لاوون ان يستعين بالمجر . فعبر هؤلاء الدانوب في الوقت نفسه الذي شنّ فيه الروم هجوماً جديداً من البر والبحر . فقاتل سمعان متراجعاً ثم فاوض الروم في الصلح . فوقف القتال في الجبهة الجنوبية . وتفرغ سمعان للمجر فسحقهم سحقاً ، ثم قطع مفاوضاته مع الروم وعاد الى الحرب . وفيما كان المجر لا يزالون في الاراضي البلغارية ما وراء الدانوب ، والعرب لا يزالون يغيرون على شواطئ ايجيه ، توصل الروم والبلغار في السنة ٩٠٤ الى سلم بقي محترماً من الطرفين طوال عهد لاوون . وظل الطمع في السيطرة على البلقان مشكلة تتطلب الحل طوال القرن العاشر^٢.

الروم والروس : ويرى عدد من علماء الروس ان علاقات الروس مع الروم بدأت في عهد لاوون السادس حينما ظهر الامير الروسي اولاغ في السنة ٩٠٧ عند اسوار القسطنطينية على رأس قوة بحرية روسية مطالباً ببعض الامتيازات التجارية . وهم يرون ايضاً ان اولاغ لجأ الى العنف في ضواحي القسطنطينية ، وان ظروف لاوون اضطرته الى عقد معاهدة مع اولاغ في السنة ٩١١ منح بموجبها الامتيازات المطلوبة^٣.

Theophanes Cont., 357. ١

Rambaud, A., Empire Grec, 346 ff. ٢

Vasiliev, A. A., Byz. Emp. 320-322 ; *Ostrogorsky, G., Expédition du Prince Oleg contre Constantinople, Annales Inst. Kondakov*, 1940, 47-62. ٣

ويشك عدد لا يستهان به من علماء الغرب في صحة هذه الرواية ،
ويرون ان كل ما جاء عن اولاغ وغيره من اخبار عن حوادث جرت
قبل السنة ٩٤١ لا يزال مفتقراً الى الاثبات ، وان قصة ظهور اولاغ عند
اسوار القسطنطينية هي اسطورة من الاساطير . ويرى فازيليف في نص
المخطوطة اليهودية عن علاقات الخزر بالروس والروم دليلاً مهماً على صحة
خبر الحملة الروسية المشار اليها^٢.

١ Grégoire, H., *Legende d'Oleg*, Bull. Acad. Roy. Belgique, 1937, 80-94 .
٢ Schechter, S., *An Unknown Khazar Document*, Jewish Quart. Rev., 1912-
1913, 181-219 .

الفصل الثالث والعشرون

النهوض بالدولة : قسطنطين السابع ورومانوس ليكاينوس

(٩١٢ - ٩٥٩)

قصور ووصاية : (٩١٢ - ٩١٩) وتوفي لاوون السادس الحكيم في الحادي عشر من ايار سنة ٩١٢ . وكان منذ التاسع من حزيران سنة ٩١١ قد جعل للدولة ثلاثة اباطرة : لاوون واخاه الكسندروس وقسطنطين السابع الارجواني المولد Porphyrogenitus . وكان قسطنطين لا يزال في السادسة من عمره . وكان عمه الاسكندر في الثانية والاربعين . وما ان تسلم مقاليد الوصاية والحكم حتى طرد زوية من القصر وخلع افثيموس البطريك وأعاد نيقولاووس الى الكرسي . فأُنزل هذا كل من أيّد زواج لاوون من رؤساء الاساقفة عن كراسيهم . فدخلت الكنيسة في نزاع داخلي جديد ، وامتنع عدد من رؤساء الاساقفة عن الاعتراف برئاسة نيقولاووس . وأشهر هؤلاء اريثاس متروبوليت قيصرية . ورفض الكسندروس تنفيذ بعض شروط المعاهدة التي ابرمها لاوون مع ملك البلغار ، فأدى عمله هذا الى حرب بلغارية جديدة . وتوفي في السادس من حزيران سنة ٩١٣ بعد ان أقام مجلس وصاية برئاسة البطريك . فنشب نزاع شديد بين البطريك ورئيس مجلس الوصاية وزوية ام الفسيلفس القاصر ، وقد دام ست سنوات (٩١٣ - ٩١٩) . وكان من الطبيعي جداً ان يستغل الموقف كل من سوّلت

له نفسه الملك . وحاول ذلك كل من قسطنطين دوقاس اولاً (٩١٣) ،
ولاوون فوقاس بعده (٩١٨ - ٩١٩) ولكنهما اخفقا . وشاء القدر أن
يكون رومانوس ليكابينوس قائد العمارة البحرية في البحر الاسود اكبر
حظاً من هذين العسكريين ، فاحتل البلاط في اذار السنة ٩١٩ وطرده زوية
ومن شدّ ازرها ، واستحوذ على شخص الفيلسوف الصغير ، وأزوجه من
ابنته هيلانة ، وأعلن نفسه Basileopator ابا الملك . وتقبل التاج قيصرأ في
ايلول من السنة نفسها . وتوَّج زوجته واشرك اولاده خريستوفوروس
واسطفانوس وقسطنطين في الحكم معه . ثم أعلن نفسه فيلسفأ في كانون
الاول من السنة نفسها ايضاً . وعلى الرغم من انه ابقى لصره لقبه الفيلسوف
فانه لم يسمح له بالخروج من البلاط .

وعقد نيقولاووس البطريك المسكوني مجمعاً في تموز سنة ٩٢٠ مؤلفاً
من اساقفة الشرق نيقولاويين وافثيمين . وبعد مراجعة قوانين الآباء حرّم
هذا المجمعُ مجمعَ السنة ٩٠٦ ، وأقر بالاجماع قراراً واحداً في أمر الزواج
اسماه كتاب الاتحاد Tomus Unionis منع فيه الزيجة الرابعة منعاً قطعياً ،
وحرّم على المتجاسر عليها الدخول الى الكنيسة ما دام مصراً على غيّه ،
واعتبره غريباً عن الهيئة المسيحية . ونعت الزيجة الثالثة بالدناسة ،
ومنعها على الذين لهم اولاد ، والذين يزيد عمرهم على الاربعين . ووضع
المتزوجين الزيجة الثالثة تحت قصاص الأبتعاد عن المناولة خمس سنوات .
الحرب البلغارية : وكان تشامخ الفيلسوف الاسكندر قد أدّى الى
اندلاع نار الحرب ثانية بين الروم والبلغار . فاستغل سمعان ملك البلغار
هذه القلاقل الداخلية وظهر بجيوشه امام اسوار القسطنطينية في صيف السنة

Runciman, S., *Emperor Romanus I, Lecapenus*, London, 1929; Diehl, J.
C., *Figures Byzantines*, I, 208-215.

٩١٣ . وفي السنة ٩١٤ استولى على اندرينوبل . وسحق في السنة ٩١٧ جيشاً بيزنطياً بالقرب من انخيالوس . فاضطر البطريرك نيقولاووس الوصي ان يستعطف الملك البلغاري تارة ، ويتهدده تارة اخرى . وعبثاً حاول ساسة الروم إلهاء سمعان باستهواء البتشناغ الاتراك الذين كانوا قد احتلوا ما وقع بين الدانوب والدينير ، وباسترضاء القبائل الصربية وزجها في ميدان القتال . واستولى سمعان على جميع تواقية وكل مقدونية ، ولم يبق امامه سوى اقتحام القسطنطينية نفسها . فجاءها محاصراً في السنة ٩٢٤ . وطاف به جنوده ازاء اسوار العاصمة حيينه تارة بالفسيلفس وطوراً بامبراطور البلغار والروم . وآثر هو المفاوضة على العنف ، فطلب مقابلة الفسيلفس رومانوس . فقبل رومانوس والتجأ الى كنيسة العذراء مصلياً متضرعاً . ثم لف صدره برداء العذراء العجائبي Maphorion وخرج الى مقابلة خصمه . فكلمه كلاماً مؤثراً . وكان سمعان قد استنجد المسلمين فلم يلبوا الطلب . ولم يكن لديه ما يحاصر به العاصمة من البحر فاتعظ وفاوض في أمر الصلح . فكان هذا بدء تقهقر الامبراطورية البلغارية^٢ .

وكان لسمعان ان استحصل من رومة على لقب الامبراطور وان رقي رئيس كنيسته الى رتبة بطريرك . فمثل حبر رومة في البلقان الدور نفسه الذي كان قد مثله سلفه عندما جعل من كارلوس الكبير امبراطوراً في الغرب . فهدد بعمله هذا الى انشقاق الكنيسة الام الى كنيستين كما سنرى .

وكان سمعان يحب العلم والعلماء ، فاحاط نفسه بهم ونقل الى البلغارية افضل مصنفات الروم : تاليف باسيلوس ، واثناسيوس ، ويوحنا الدمشقي ،

Theophanes Continuatus, 380, 389-390, 405-408; *Runciman, S., First Bulgarian Emp.*, 168 ff.

Diehl et Marçais, Monde Oriental, 450 .

وخرونيقون ملالاس . وجمع هو بنفسه مختارات شائقة من مواظ يوحنا الذهبي الفم واقواله .

وتوفي سمعان في السنة ٩٢٧ وخلفه ابنه بطرس الصغير . وتولى الوصاية على الملك الطفل جاورجيوس سرسبول . فاستغل الروم الموقف فأعادوا امارة الصرب الى الوجود وشمّلوها برعايتهم وحمائتهم . وهدد المجر الحد الشمالي ، وشق بعض امراء الاقطاع عصا الطاعة . فاضطر سرسبول ان يفاوض الروم في الوصول الى سلم دائم . ووقع في السنة ٩٢٧ معاهدة مع رومانوس الاول . واهم شروط هذه المعاهدة ان الروم ابقوا للبلغار كل ما ضمّه سمعان حتى جبال الرودوب ، واعترفوا لبطرس بلقب فيسيلس كما أقرّوا للكنيسة البلغارية كياناً مستقلاً استقلالاً محلياً . وأزوجوا بطرس من مريم حفيدة رومانوس الاول . فأصبح بطرس « ابن فيسيلس العزيز » وحليفه . ودامت هذه الصداقة طوال عهد بطرس (٩٢٧ - ٩٦٨) . وعظم شأن الروم في بلغارية واكتسحوا الموقف اكتساحاً .

ورومانوس الاول والعرب : (٩٢٠ - ٩٤٤) وكان الخلفاء العباسيون لا يزالون مغلوبين على امرهم لقلّة طاعة الجند ، ولشدة نفوذ الخدم ، ولدسائس امهات الامراء ووشاياتهن ومؤامراتهن ، ولشغب الجند على القادة وتنازع هؤلاء السيادة . وكان ان شعر الولاة بضعف الخلفاء ، فانصرفوا الى جمع المال وحبسوا رزق العمال عن اصحابه . فعمد الخلفاء الى اغتيال الولاة ، فكثرت العصيان ، واضطربت الاحوال ، وفقد الامن ، وقامت الثورات . ولم يتمكن الخلفاء من استغلال ظروف الروم في البلقان في اثناء حروبهم ضد سمعان والبلغاريين .

وقيل انتهاء الحرب البلغارية أحرز الروم نصراً كبيراً في البحر .

فانهم حطموا في السنة ٩٢٤ عمارة لاوون الطرابلسي في مياه لمنوس ونجا لاوون نفسه باعجوبة^١. وما ان وضعت الحرب البلغارية اوزارها في السنة ٩٢٧ حتى بادر الروم الى الهجوم ، وهب غرغون القائد Jean Courcouas الى القتال في آسية الصغرى فأحرز انتصارات متتالية (٩٢٢ - ٩٤٤) ، وتمكن من جعل دجلة والفرات الحد الفاصل بين الدولتين بدلاً من الهاليس . ونفخ في الجنود روحاً جديدة ، فاستحق بذلك كله اعجاب المعاصرين . وعاونه في هذه الحروب عدد من كبار الضباط 'قدر لهم فيما بعد ان يتابعوا هذا العمل الحربي وان ينتصروا هم ايضاً كما انتصر غرغون نفسه . وأشهر هؤلاء ثيوفيلوس ابن غرغون ، وبرداس فوقاس وابناه نيقيفوروس ولاوون . ففي السنة ٩٢٨ احتل الروم ارضروم وأخرجوا العرب من ارمينية . وفي السنة ٩٣٤ استولوا على ملاطية ، ثم ناوأم سيف الدولة صاحب الموصل وتمكن من ايقاف تقدمهم . ولكنهم عادوا الى الهجوم بين السنة ٩٤١ والسنة ٩٤٢ فاحتلوا دارا ونصيبين وميافارقين وقاربوا حلب . وفي السنة ٩٤٤ توّج غرغون انتصاراته بان نقل بموكب فخيم « منديل السيد » - الذي كان قد احتفظ به أبحر الملك - من الرها الى القسطنطينية^٢ . وأعجب رومانوس بهذا كله فاعترف بفضل غرغون . وأحب ان يربط اسرة هذا القائد الفاتح باسرته المالكة فقاومه ابناؤه وابعدوا غرغون وأذلوله .

قسطنطين السابع : (٩٤٥ - ٩٥٩) وكان عطاء العاصمة لا يزالون يدينون بالولاء للاسرة المقدونية . وكان رومانوس لا يزال باخساً قسطنطين حقه في الملك . وكان قد زاد تطاوله فنصب ابنه ثيوفيلكتوس بطريركاً

Theophanes Continuatus, 405 .

Theophanes, op. cit., 427 .

على الرغم من حداثة سنه . فكرهه الزعماء واستغلوا موقف ابنائه منه في
حادث غرغون ، فحركوا ابن رومانوس الاصغر اسطفانوس . فقام على
والده وطرده من القصر ونفاه الى جزيرة بروتي من جزائر الامراء واكرهه
على قبول النذر وحبسه في دير هناك في التاسع عشر من كانون الاول
سنة ٩٤٤ وتسلم ازمة الحكم بالاستراخ مع اخيه وصهره . واذ لم يتفقوا
اتحد الاخوان ضد الصهر . وعلمت اختها هيلانة بما يجري فاخبرت زوجها
قسطنطين بذلك فألقى القبض على الاخوان ونفاهما في السابع والعشرين من
كانون الثاني سنة ٩٤٥ واكرهما على قبول النذر .

وكان قسطنطين السابع قد قضى خمساً وعشرين سنة في عزلة عن الحكم
وعن الناس ، منهمكاً في المطالعة والدرس ، محباً للعلم والعلماء ، مشغلاً
في التصوير والنحت ، باحثاً منقياً عن تاريخ الروم وآثارهم . فلم ارقى
العرش في الثامنة والثلاثين من عمره اثر متابعة دروسه وابجائه على الحكم
والادارة . فتسلمت زوجته ازمة الحكم بيدها يعاونها في ذلك باسيلوس
ابن رومانوس غير الشرعي . وعلى الرغم من عدم تعمق قسطنطين في
ابجائه نظراً لكثرتها وتنوعها فانه خدم العلم في انه شوق الناس اليه في
عصره . فكان شغفه بالعلم من ابرز اسباب اليقظة العلمية في القرن العاشر
وفي انه خلف لنا مراجع لتفهم عصره^٢ . فرسالته في الثيمات هي سجل
كامل للولايات وحدودها وسكانها ومواردها . وكتابه في ادارة الامبراطورية
يشتمل على اشياء واشياء عن الدول والشعوب المجاورة . وأطول مؤلفاته
وأغزرها مادة كتابه في التشريعات ، وقد وصف فيه سلطة الفيلسوف
الرسمية وواجباتها وحقوقها ، كما أبان كيفية تنظيم الاحتفالات الرسمية

Liudprand, Antapodosis, V, 21; Bréhier, L., Byzance, 176-178. ١

Liudprand, Antapodosis, III, 37; Theophanes Cont., 465-471; De ٢
Administrando Imperio, 9, 172-173; Rambaud, A., Emp. Grec, 77-78.

وادارة القصر وغير ذلك . واليك عناوين هذه المؤلفات كما جاءت باللاتينية :

De Thematibus, De Ceremoniis aulae Bizantinae, De Administrado Imperio.

قسطنطين وسيف الدولة : ولم يقع اي تمزيق جديد في جسم الدولة العباسية في ايام المعتضد (٨٩٢ - ٩٠٢) ، والمكتفي (٩٠٢ - ٩٠٨) . وفي عهد المقتدر (٩٠٨ - ٩٣٢) عادت الدولة الى ما كانت عليه من التفكك . ثم اضاع القاهر (٩٣٢ - ٩٣٤) والراضي (٩٣٤ - ٩٤٠) والمتقي (٩٤٠ - ٩٤٤) والمستكفي (٩٤٤ - ٩٤٦) آخر ولاياتهم فاضمحت بذلك سلطة الخليفة الزمنية بكاملها . وكان بين الطامعين في الملك والسلطان في اثناء هذا الانحلال بعض القبائل البدوية العربية . ولعل أشهر هؤلاء بنو تغلب . فان كبيرهم الامير عبدالله ابن حمدان تمكن في السنة ٩٠٥ في عهد المكتفي من انتزاع حاكمية الموصل من يد الخليفة . وتمكن ولداه حسن وعلي في السنة ٩٤٢ من انتزاع اللقبين ناصر الدولة للاول وسيف الدولة للثاني . وتغلغل سيف الدولة في البلاد حتى شمال سورية الشرقي في السنة ٩٣٧ . وفي السنة ٩٤٤ دخل حلب واسس فيها دولة دامت حتى السنة ١٠٠٣ . وبقي ناصر الدولة في الموصل يسكن الفتن في بغداد بينما هب سيف الدولة يمتشق حسام الاسلام في وجه الروم . وما فتئ كذلك حتى ادركته المنية في السنة ٩٦٧ . ولما استقر سيف الدولة في حلب وجعلها عاصمة لملكه وقاعدة لاعماله الحربية تحول القتال الرئيسي بين الروم والعرب من جبهة ارمينية الى خط قتال جديد امتد من قيليقية حتى ديار بكر . وكانت الحدود بين الدولتين تبدأ من نقطة مجهولة على الفرات فوق سميساط ، فتمر بين حصن منصور وزبطرة وفوق الحدث ومرعش متبعة سلسلتي جبال طوروس حتى ابواب قيليقية واللامس او الليموس . وتبدأ من النقطة نفسها على الفرات فتتجه شمالاً الى شرقي سميساط فأرمينية .

وكانت المبادرة في الحروب بين الروم والعرب قد افلتت من يد العرب نظراً لما كان قد حلّ بالخلافة من انحلال ومصائب . وكان الدافع لمحاربة الروم قد أصبح واحداً من اثنين او الاثنين معاً : إما القيام بواجب الجهاد ، او احراز الغنائم . ولم تكن حروب القرن العاشر حروب فتح كنتلك التي قام بها الامويون والعباسيون المؤسسون . وأصبح موقف العرب دفاعياً اكثر بكثير منه هجومياً . ونيط الدفاع بحكام الحدود . وانتقلت المبادرة في هذه الحروب الى الروم ، وأصبحت هجومية اكثر منها دفاعية . وقد رأينا الاسرة المقدونية تبدأ باعمال تمهيدية فتضرب البولسيين حلفاء العرب في تفريقية ضربة قاضية ، ثم تعترف بأشوت البغرتوني ملك الارمن وتحالفه . ثم تبدأ هجومها في عهد رومانوس ليكاينوس كما سبق ان ذكرنا .

ويرى رجال الاختصاص ان انتصار الروم على العرب في القرن العاشر لم يكن نتيجة ضعف العباسيين فحسب ، بل انه تأتى عن تجدد عند الروم وتيقظ وتنشط ، وان هؤلاء وان اختلفوا في العنصر فقد اتحدوا في ايمان واحد وفي المفاخرة باجداد ماضية ، وشعروا بوجوب اعادة النظر في انظمتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وبوجوب اتقان الجيش وتكميله ليأتي بالفائدة المطلوبة . فالروم في القرن العاشر في نظر هؤلاء كانوا في يقظة ونشاط لا في غفلة وانقسام .

وأثقل الحمدانيون كاهل العشائر الضاربة في الجزيرة التابعة لحكمهم بالضرائب ، وبين هؤلاء بنو حبيب . وكان بنو حبيب تغالبة ايضاً ، فشق عليهم الامر ، فانقبضوا ثم خرجوا للقتال . فجرد عليهم ناصر الدولة في السنة ٩٣٥ فقهروهم . فعولوا على الرحيل . فقاموا عشرة آلاف فارس بنسائهم واولادهم

Gelzer, H., *Genesis der Byzantinischen Themenverfassung*, 8 ; Canard, ١
M., *Dynastie des Hamdanides*, I, 718-719 .

وعبيدهم وقطعوا الحدود والتجأوا الى الروم وتنصروا . وحذا حذوهم غيرهم من
عشائر الجزيرة . فتوترت العلاقات بين الروم وبين الحمدانيين^١ . وبدأ سيف
الدولة غزواته في ارض الروم . فكان يقوم بها كلما شعر بهدوء واستقرار
داخلي . واشتهر في بغداد بالغازي .

وفي السنة ٩٣٨ سجل سيف الدولة انتصاره الاول امام حصن زياد
فدخله عنوة . ثم خرج منه يقاتل جيشاً كبيراً أنفذه الروم عليه . وأدركه
الروم بين حصن زياد وحصن سلام . واقتتل الطرفان فدارت الدائرة فيما
يظهر على الروم ونغنى ابو فراس بالنصر . وفي السنة ٩٣٩ أنفذ الروم
حملة عسكرية الى القوقاس لتأديب الكرج (الايريين) الذين كانوا قد
امتنعوا مراراً عن غزو الاراضي العربية على الرغم من كونهم ارثوذكسيين
يدينون بدين الفسيلفس . فاستنجد الكرج الحمدانيين ، فهب سيف الدولة
لمعاونتهم وأجلى الروم عن بلادهم . وفي الربيع التالي سنة ٩٤٠ دخل الى
ثيبة خلدية واستولى على عدد من الحصون والمدن فيها . ثم قام الى
كولونية وحاصرها^٢ . فأصبح زعيم الجهاد الاكبر في الاقطار الاسلامية
وعدو النصرانية عند الروم .

وشلغت سيف الدولة ما بين السنة ٩٤٠ والسنة ٩٤٤ مشاغل في عاصمة
الخلافة كان محورها السلطة العليا فأصبح امير طرسوس عدو
الروم الاوحد . فانقضوا عليه في خريف السنة ٩٤٠ ووصلوا الى منطقة
كفرتوتة . ثم شغلوا في اوروبة فتراجعوا . وعادوا في مطلع السنة ٩٤٢
فانطلقوا في سهول قيليقية حتى حدود سورية فأسروا خمسة عشر الف
اسير . وفي خريف هذه السنة نفسها انقض غرغون على مقاطعة ديار بكر

١ اطلب ابن حوقل ، فصله عن الجزيرة .

Canard, M., *Dynastie des Hamdanides*, I, 741-747 .

٢

فاستولى على ميفارقين وغيرها كما سبق واشترنا . وكان ما كان من أمر المنديل .

وفي السنة ٩٤٤ دخل سيف الدولة حلب وحمص وانتزعهما من يد الاخشيديين . فانطلق الروم في منطقة مرعش ومنطقة بغراس حتى ابواب انطاكية . فردّ سيف الدولة باغارة في منطقة عرابسوس . ودخل سيف الدولة في ربيع السنة ٩٤٥ في نزاع مع الاخشيديين فلم يستغل قسطنطين السابع هذا الظرف . وجاءت السنة ٩٤٦ فتبادل الحصان الاسرى عند لامس سلفكية . وفي ربيع السنة ٩٤٨ خرج الروم من ملاطية وسيمساط واتجهوا نحو الجزيرة ليستولوا على مر الحدت - مرعش . فصمد سيف الدولة في وجههم في معركة جلباط الوارد ذكرها في احدى قصائد ابي فراس . وفي الربيع التالي ٩٤٩ ظهر لاوون ابن فوقاس امام الحدت محاصراً ، فدخلها عنوة ودك حصونها . واستولى الروم في هذه السنة عينها على مرعش وقاتلوا عند اسوار طرسوس . وحملوا على جزيرة اقريطش ولكن دون جدوى . وفي ربيع السنة ٩٥٠ قام سيف الدولة الى الجزيرة يتفقد شؤونها وأتاب عنه في الحكم في حلب ابن عمه محمد ابن ناصر الدولة . فانقض لاوون ابن فوقاس على شمالي سورية حتى مداخل انطاكية وحاصر بوقة في سهل العمق . فهبّ محمد لقتاله ولكنه فشل فشلاً ذريعاً . وأرسل قسطنطين السابع وفداً يفاوض في التهادن . فمثل الوفد امام سيف الدولة في آمد . وكاد الاتفاق يتم ولكن مروان القرمطي قتل احد اعضاء الوفد . واسرع سيف الدولة يعتذر ويظهر استعدادة للتعويض . ولكن قسطنطين

Cedrenus, G., Historiarum Compendium, II, 336.

١

Vasiliev, A. A., Byz. et les Arabes, II, 285 ff.

٢

أصر على تسليم القاتل . فأبى سيف الدولة وانقطعت المفاوضات^١ .
وعاد سيف الدولة الى حلب يستعد للقتال ، فجمع ثلاثين الف مقاتل
واصطحب ثلاثة من الشعراء : المتنبى و ابا فراس و ابا زهير المهلهل .
وقام في اواخر آب او اوائل ايلول من السنة ٩٥٠ الى مرعش فانضم
اليه اربعة آلاف مقاتل من طرسوس . ثم نهض بمجموعه عن طريق ملاطية -
قيصرية فاحتل صارخة وقتل وسبى واحرق . و اراد العودة الى حلب
نظراً ل حلول فصل الشتاء فعبر الهاليس واتجه جنوباً . ثم علم ان لاوون
ابن فوقاس قد حشد جيشه في منطقة خرسنة Charsianon . فأوقف
السير وعاد بنخبة من جنوده فعبر الهاليس وأنزل بالروم خسارة كبيرة ،
ثم اتجه نحو الجنوب . ولمّ الروم شعنهم ونظموا صفوفهم وأسرعوا الى
جبال طوروس يكمنون لسيف الدولة ، واستقروا في درب الجوزات
بين الالبستان والحدث . ومرت طلائع سيف الدولة ولم يحرك الروم
ساكناً . ثم أقبل سيف الدولة فوجد الممر مسدوداً مقطوعاً ، فأمطره
الروم حجارةً وصخوراً وسهاماً . فسقط عدد كبير من رجاله وأسر
غيرهم . وتمكن سيف الدولة من اجتياز هذا الممر والوصول الى اعلى
الجبل . ولحق به الروم فأرهبوه وحملوه على ما لا يطيق . وكان عليه
ان يمر بعقبة الشير فسبته الروم اليها وقطعوها عليه . فاضطر ان يسلك
طريقاً وعرة للغاية مستعيناً على ذلك بالادلاء . فأدركه الروم وأرهبوه ،
وتفرّق عنه رجاله ، ولم يبقَ معه من يستطيع القتال المنظم . فقتل
الاسرى وأحرق الامتعة وفر هارباً نحو حلب . فعُرفت هذه الحرب
« بغزوة المصيبة^٢ » . وعاد سيف الدولة لأخذ الثأر في السنة ٩٥١ فدخل

١ كمال الدين ابن العميد ، زبدة الحب في تاريخ حلب ، في مجموعة كنار ، ص ٣٩٧ .
٢ Canard, M., *Dynastie des Hamd. I*, 763-770 ; Vasiliev, A. A., *Byz et les Arabes, II*, 286-290 .

قيدوقية ليخرج منها مدحوراً . ثم قام قادة الروم بغزوات متتالية بين
السنة ٩٥٢ والسنة ٩٥٨ في قيليقية والجزيرة انتصروا فيها واخذوا^١.

وفي السنة ٩٥٨ بدت علامات الضعف في مقاومة سيف الدولة . وتسلم
قيادة الروم يوحنا شمشيق Jean Tzimisces فاحرز انتصارات متتالية في
الجزيرة العليا واحتل اكثر مدنها . ثم حاصر سميساط على الفرات وأنزل
بسيف الدولة سلسلة من الهزائم . وبعد السنة ٩٦٠ أضاف الروم الى
ملكهم كل ما وقع شرقي الفرات جاقلين من هذه المناطق ثيمة الجزيرة^٢ .
احتلال اقريطش : (٩٦٠ - ٩٦١) وكان لقسطنطين السابع ولد

اسمه رومانوس تزوج وهو ابن سبع عشرة سنة بابنة اسمها ثيوفانو . وكانت
ثيوفانو من أصل وضعي ولكنها ذات جمال متناه . وكانت تكره العيشة
بين حماها وبنات حميها ، فأوعزت الى زوجها رومانوس ففسد السم لوالدة
قسطنطين ، وشرب منه جرعة ، فلم يعيش الا سنة واحدة ، ومات في
السنة ٩٥٩ . وكان رومانوس الثاني منصباً على الشهوات والملاهي ، وكانت
ثيوفانو تحب السلطة . فاتكل زوجها عليها وعلى رجل اسمه يوسف
ابرينكاس Joseph Bringas .

ولس ابرينكاس وقادة الجيش ضعف العرب ، فأرأوا الظرف ملائماً
لارجاع اقريطش الى حوزة الروم . فأعد نيقيفوروس فوقاس اسطولاً
عظيماً مولفاً من الفي بارجة والف وثلاث مئة نقالة . وقام بهذه القوة
الكبيرة الى اقريطش وحاصر مدينة الخندق . فهرع صاحبها عبد العزيز
القطري يستنجد المسلمين شرقاً وغرباً ولكن دون جدوى . فان القليل
الذي جاءه من طرسوس ومن افريقية حطمه الروم قبل وصوله اليه .

Canard, M., op. cit., I, 770-783

Philipson, A.E., Byzantinische Reich als Geographische Erscheinung, 173. ٢

واقترح نيقيفوروس الخندق ودخلها عنوة في السابع من آذار سنة ٩٦١ ثم استولى على الجزيرة بأسرها^١. ونقل اليها جاليات يونانية وارمنية، واستدعى نيقن مطانويتا، اي صاحب التوبة، القديس المبشر، ليكرز فيها بين سكانها المسلمين^٢. وبسقوط اقريطش بيد الروم بعد شبح القرصنة والاغارات المفاجئة وتهيأ للروم مركز تجاري هام وعادت سيادة البحر اليهم، فتمكن نيقيفوروس من القول بعد قليل: « ان القوة في البحر هي لي وحدي^٣ ».

مغارة الكحل: (٩٦٠) وظنّ سيف الدولة ان حملة الروم على اقريطش انقصت مقدرتهم على الحرب في بر الاناضول، فجهّز ثلاثين الفاً وقام بهم الى خرشنة داخل حدود الروم. وأسرع لاوون فوقاس اخو نيقيفوروس الى تلال طوروس يسد عليه طريق العودة. فكمن له في ممر جبلي اسماه العرب مغارة الكحل واطلق عليه الروم اسم اندراسوس Andrasus فهزمه فيه هزيمة شنعاء في الثامن من تشرين الثاني سنة ٩٦٠. وعظمت غنائم لاوون فانه أسر في هذه المعركة عدداً كبيراً من العرب، واطلق سراح جميع من كان قد وقع في الاسر من الروم^٤.

عين زوبا وحلب: (٩٦٢) ورأى نيقيفوروس ان يستغل الكارثة التي حلت بسيف الدولة فيفتح قيليقية اكبر المعازل البحرية الاسلامية بعد اقريطش واقرب الطرق الى سورية. فجال جولة موفقة فيها في مطلع السنة ٩٦٢ واستولى في اثنين وعشرين يوماً على خمسين بلدة او

Schlumberger, G., Nicéphore Phocas, 37-114.

١ البطريرك مكسيموس، اخبار القديسين، ج ١، ص ٤٣٠ - ٤٣٤.

Léon Diacre, 28-29.

Canard, M., op. cit., I, 800-803.

حصناً . وعاد في اول الصوم الكبير الى قبدوقية . وفي خريف هذه السنة
نفسها أعاد الكرة فافتتح عين زربا مفتح سورية . ولم يقوَ سيف الدولة على
الصمود في وجهه في ممرات الامانوس ، فتدفقت جيوش نيقيفوروس الى
سهول سورية حتى منبج على الفرات . ثم حاصر نيقيفوروس حلب احد
عشر يوماً (٢٠ - ٣١ كانون الاول سنة ٩٦٢) فاقتحم سورها واحتل
البلدة ولكنه لم يقوَ على القلعة . وعاد الى القسطنطينية بغنائم عظيمة مالا
ورجالاً^١ . وعلم بوفاة رومانوس الثاني وهو في طريقه الى العاصمة .

Canard, M., *op. cit.*, I, 805-817 ; Bréhier, L., *Byz., Vie et Mort*, 190-191. ٨

الفصل الرابع والعشرون

هجوم عظيم ونصر مبین

(٩٦٣ - ١٠٢٥)

الجيش في القرون العاشم: وعني الروم في هذه الحقبة عناية فائقة بالجيش . وقال احد كبرائهم : « ان الجيش للدولة لكالرأس للجسم ان هو ضعف تعرضت الدولة للخطر » .

وكان هذا الجيش يتألف من عناصر وطنية وعناصر اجنبية . وكانت العناصر الوطنية خيالة تقطع اراض لها ولذريتها لا تصادر ولا تتحول ملكيتها . وكانت العناصر الاجنبية مرتزة يستهويها سخاء الروم ، فتؤم القسطنطينية من اوروبة وآسية . وكان بينها الخزري والبشناغي والنروجي والصقلي والدانياركي والنورماندي والسكسوني والكرجي والتركي والعربي . ولم يكن هنالك ما يمنع التحاق هؤلاء باية فرقة من فرق الجيش . ففرقة الحرس الهتوية Heteria كانت تتألف من الروس والنروجيين والدانياركيين والخزر . ولم يكن في صفوفها اي عنصر وطني . وكثر عدد الارمن في الجيش بصورة خاصة وتقلدوا اعلى الرتب .

وكان هذا الجيش يقسم الى قسمين رئيسين : التغماتا Tagmata في العاصمة وضواحيها ، والثيرماتا Themata في الولايات . وشمل القسم الاول فرق الحياالة الاربع : السوكولس Scholes والاكسكويبتور Excubitor والاريموس Arithmos والهيكاناتس Hicanates وفرقة المشاة النوماري Numeri . وكانت كل فرقة من فرق الحرس الخمس تتألف من اربعة آلاف مقاتل وتخضع لقيادة ضابط كبير يحمل رتبة دوميستيكوس Domesticus . وكان قائد فرقة السوكولس قائد الجيش الاكبر . وكان القسم الثاني جيش الولايات الثيماتا يتألف من اربعة آلاف الى عشرة آلاف مقاتل ويخضع لقيادة ضابط من رتبة إستراتيجوس Strategos . وكان معظم هؤلاء من الحياالة ايضاً بنوعها الثقيل Cataphractes والخفيف Trapazistes . وكان هنالك ايضاً جيش الحدود Acritai وكانت مهمة هؤلاء تقضي بالدفاع عن اللامس Limes وبالمحافظة على الابراج والقلاع وسائر انواع التحصينات التي كانت تنتشر على طول خط الحدود . وكان عليهم ايضاً ان يراقبوا الاعداء ويسدوا الممرات ويردوا الهجوم بهجوم مماثل .

ولم يكن عدد هذا الجيش كله كبيراً . فانه لم يزد على السبعين الفاً في آسية ومثل ذلك في اوروبة . ولكنه امتاز بانتظامه وشجاعته وحبه للوطن واندفاعه في سبيله . وتقوى بحذق في صنع الاسلحة ، ومهارة في تخطيط القلاع وبنائها . واستعمل النار الاغريقية في الحروب ، كما استعان بالمجانيق الكبيرة في اعمال الحصار وبمجانيق اصغر منها في قتال الميدان . وكانت هذه تنقل بركبات خاصة تحمل المنجنيق ورجاله فتنقل القصف حيث تدعو الحاجة .

ويستدل من مضمون رسالة في علم التكتيك ، صوّفت في عهد

نيقفوروس فوقاس^١، ان الحرب التي كان يخوضها هذا الجيش كانت حرب
كمين واستطلاع ومفاجآت والتحامات ، وان ابراج المراقبة كانت تنبئ
بالخطر باشارات نارية ، فيهب المشاة الى الممرات يكمنون فيها ، وتنطلق
دوريات الفرسان الخفاف حاملة مؤونة يوم واحد من الزاد مخفية سلاحها
تستطلع حركات العدو . ويهرع السكان من القرى والديساكر الى القلاع
والابراج ، بينما يتجمع الجيش في نقاط معينة استعداداً للعمل . ويستدل
من هذه الرسالة ايضاً وغيرها من نوعها ان ترتيبات القيادة كانت كاملة
تشمل خطط التجسس والاستطلاع ، ونقل العتاد والمؤن ، وتجمع الوحدات ،
وكيفية سيرها . ويدل ما تبقى من الروايات المعاصرة ان تدريب هذا
الجيش كان متواصلاً غير منقطع ، وان التمريس في القتال كان يشمل
جميع ضروب التعب وانواع الضنك والقلة ، وان الاباطرة كانوا يعيرون
الجنود نصيباً وافراً من عنايتهم الشخصية فيضيون عليهم النعم ويفغرونهم
بالاحسان ويشملونهم بشتى مظاهر التقدير والاكرام . وكانوا لا ينفكون
عن الاشارة الى الماضي المجيد الحافل بالانتصارات العسكرية والى صيانة
الفادي الحبيب الذي لا يغفل ولا ينام . وكان من حسن حظ هذا الجيش
ان تولى قيادته عدد متسلسل من كبار الرجال امثال غرغون وفوقاس
وسكيليروس وشمشيق .

وتلخص نقائص هذا الجيش بان نظام التعبئة فيه كان يربط الجنود
بكبار رجال الاقطاع رباطاً وثيقاً يشجع هؤلاء على الانتعاض على السلطة
وان المرتزة كانوا لا يهتمون الا للغنائم^٢ .

نيقفوروس فوقاس : (٩٦٣ - ٩٦٩) وتوفي رومانوس الثاني في

Vari, Incerti Scriptoris de Re Militari, Leipzig, 1901.

Bréhier, L., Inst. de l'Emp. Byz., 366-382.

الرابعة والعشرين من عمره ، إما مسموماً من زوجته ثيوفانو ، او مسقوماً من فرط انصابه على المذات . فتسلمت زوجته زمام الحكم بالوصاية على ولديها القاصرين باسيليوس وقسطنطين . وكانت تكره ابرينكاس الوزير كرهاً شديداً وتحب نيقيفوروس القائد . فاستدعت نيقيفوروس من حلب ، وسمح هذا الجنوده ان ينادوا به فيلسفياً في قيصرية . ثم تقدم نحو العاصمة فقامت ثورة ضد ابرينكاس . ودخل القائد الفيلسفس الى العاصمة في الثالث من آب سنة ٩٦٣ وتقبل التاج من يد البطريرك مشتركاً في الحكم مع كل من باسيليوس وقسطنطين القاصرين . وبعد شهر واحد تزوج من ثيوفانو الوصية الارملة . ولما جاء الى الكنيسة وطلب ان يدخل من الباب الملوكي اعترضه البطريرك بوليفكتوس بسبب زواجه من الثانية في حياة الاولى خلافاً للناموس^١ .

وكان نيقيفوروس جندياً مدهشاً وتكتيكياً قديراً ، وقائداً محنكاً ، فاحبه الجنود وتعلقوا به . وكان زاهداً قنوعاً ، قاسياً متصلباً ، ولكنه كان في الوقت نفسه محباً عطوفاً . وأصبح رجل الساعة بقوة ارادته وتمسكه بالسلطة وحبه للدولة واخلاصه لها .

فتوحات الروم في سوريا : (٩٦٣ - ٩٦٩) وأوقفت ثورة القسطنطينية الاعمال الحربية في قيليقية وسورية . فعاد سيف الدولة الى حلب واستعاد عين زربا ومصيصة وغيرهما في قيليقية . وأصبح يوحنا ابن شمشيق قائد قوات الروم في الشرق . فحاصر مصيصة في صيف السنة ٩٦٣ ولم يستول عليها . وقام الى ادنه فتحداه حاكم طرسوس فهزمه ابن شمشيق هزيمة كبيرة ولكنه اضطر ان يغادر قيليقية لما حل بها من قحط وجوع واوبئة .

Schlumberger, G., op. cit., 252-309.

وفي ربيع السنة ٩٦٤ تولى الفيلسفس بنفسه قيادة جيوشه . فانشأ قاعدة هامة للتموين في قيصرية قبدوقية وزحف برجاله على قيليقية . فاقتحم عين زربا وادنه وعشرين حصناً عربياً واستولى على إسوس عند مدخل سورية ، وعاد الى قبدوقية لتمضية فصل الشتاء . وفي ربيع السنة ٩٦٥ أنفذ اخاه لاوون فوقاس الى حصار طرسوس وقام هو الى مصيصة فاقتحم اسوارها ودخلها عنوة ، ثم عاد الى طرسوس فسلمت تسليماً . وهكذا فان قيليقية باسرها عادت الى الروم بعد ان كانت زهاء ثلاثة قرون متتالية قاعدة برية بحرية تنقضّ منها جيوش العرب واساطيلهم على الامبراطورية . وجعل نيقيفوروس منها ثيمة جديدة وجعل طرسوس عاصمتها . وفي شتاء هذه السنة عينها جهّز الفيلسفس حملة بحرية بقيادة نيقيطاس وأنفذها الى قبرص فاحتلت الجزيرة وأصبحت قبرص ايضاً ثيمة جديدة . وثار حلب وانطاكية في وجه سيف الدولة فقاسى الامرين في اخضاعهما . ثم طلب الى نيقيفوروس تبادل الاسرى فاجابه الفيلسفس الى ذلك . وتم التبادل على الفرات في الثالث والعشرين من حزيران سنة ٩٦٦ ، ففارق عدد اسرى الروم عدد اسرى الحمدانيين بثلاثة آلاف . فاقتدى البيزنطيون هؤلاء بمئتي الف دينار بيزنطي . وعاد ابو فراس الى وطنه بعد ان قضى اربع سنوات اسيراً في القسطنطينية .

وفي شتاء السنة ٩٦٦ أغار نيقيفوروس على الجزيرة فدخل دارا ونصيبين ووصل الى الحد الذي كان يفصل دولة الروم عن دولة الفرس في اوائل القرن السابع واستولى على الآجرّة المقدسة Karmidion التي كانت تحمل صورة السيد العجائبية . ثم انتقضّ على انطاكية في حملة ارهابية . وعاد

١ يحيى ابن سعيد الانطاكي ، تاريخه ، ص ١٠٥ - ١٠٦ . ابو فراس ، ديوانه ، ص ٣٢٣ .

مستعجلاً الى القسطنطينية لينظر في قضية بلغارية . وفي خريف السنة ٩٦٨ عاد الى الفتح فحاصر ابن سيف الدولة في حلب وأزال النجدة التي جاء بها قرغويه من مصر . وبدلاً من ان يحاصر حلب قام بجيشه الى حمص فدخلها ثم انحدر منها الى عرقة فطرطوس فجبلة . وأبقى في جميع هذه المدن حاميات من الروم . ثم ظهر أمام انطاكية يشدد الحصار عليها بامرة ميخائيل بورجس البطريق ويرمم قلعة بغراس في طريق انطاكية الاسكندرونه . وأقام ابن اخيه بطرس فوقاس قائداً عاماً وأوصاه بوجود انتظاره وعدم اقتحام انطاكية قبل عودته . وقام الى القسطنطينية فدخلها بموكب نصر عظيم في مطلع السنة ٩٦٩ . وفي اثناء غيابه اتصل نصارى انطاكية بقيادة الروم مؤكدين وقوع الفوضى في صفوف المسلمين . فاندفع بورجس البطريق وقام ببعض رجاله فتسلق الاسوار ودخل بعض الابراج وكاد يموت موتاً لولا وصول لاوون واسعافه . وسقطت انطاكية بيد الروم في الثامن والعشرين من تشرين الاول بعد ان بقيت اسلامية عربية ثلاثة قرون وثيفاً . واغتاز نيقيفوروس وأقال بورجس من منصبه . واشتد حماس الجند وألحوا بوجود اقتحام حلب ، وفعالوا . فسقطت المدينة في يدهم في كانون الاول من السنة ٩٦٩ ، ووقع صاحبها قرغويه معاهدة مع الروم اعترف فيها بسيادتهم وحمايتهم . واعترف الروم بولايته على حلب وولاية بكجور بعده على ان يعينوا اميراً عليها من يرونه لائقاً من ابناء حلب بعدهما . ومن شروط هذه المعاهدة ايضاً ان يقيم في حلب ممثل رسمي للفيلسفس ، وان يدفع الحلبيون ديناراً عن كل ذكر في كل سنة ، وان يمتنعوا عن جباية الجزية من النصارى ، وان يؤمنوا طرق التجارة ، وان تشرف لجنة من الروم والحلبيين على جباية الكمارك^١ .

١ كمال الدين ابن العميد ، الزبدة ، مجموعة كنار ، ص ٤١٩ - ٣٢٤ .
Schlumberger, G., *Nicéphore, op. cit.*, 730-733; Canard, M., *Dyn. Hamd.*, 831-838 .

نيقيفوروس والغرب : وكان اوثن الاول Otton قد أعاد
الامبراطورية الغربية في السنة ٩٦٢ فادعى بجميع ايطالية . وكان الامراء
اللومبارديون اجمعين قد اعترفوا بسلطته . وكان هو قد زار بنيفنتوم
Beneventum وكابوة Capua في السنة ٩٦٧ . وجاءت السنة ٩٦٨ فزحف
اوثن على ابولية وحاصر باري قاعدة الروم فارتد عنها حسيراً . فأرسل
لويدبراندو اسقف كريمونة يفاوض في القسطنطينية في زواج ابن اوثن
وولي عهده (اوثن الثاني) من الاميرة حنة ابنة ثيوفانو من رومانوس .
فأنكر نيقيفوروس اجابة طلب اوثن وأظهر كدره من تسلطه على
رومة التي كان يعتبرها العاصمة الاولى لمملكته . ثم أرسل البابا يوحنا الثالث
عشر (٩٦٥ - ٩٧٢) يتوسط في عقد هذا الزواج ، وسمى الفيلسوف في
تجاريره امبراطور « اليونان » فأيد بعمله هذا الفكرة التي قال بها سلفه
البابا لاوون الثالث وقد كانت ترمي الى تجزئة حقوق الفيلسوف الشرقي في
الحكم ، وذلك باقامة امبراطور غربي ينافس الفيلسوف وريث رومة
الشرعي . فاعتناظ نيقيفوروس ورجال دولته من البابا . وأصبح هذا
خصماً سياسياً لا بد من مقاومته . وبذرت بذور الشقاق في اوساط
الكنيسة الام الكاثوليكية الارثوذكسية ممهدة السبيل للانشقاق الكبير .
ودخل الفيلسوف في نزاع مع امبراطور الغرب وكنيسة رومة . وغادر
الوفد البابوي المفاوض عاصمة الروم . وأغار اوثن الاول على ثبات الروم
في ايطالية ولم يفلح . وانكسر الامير بالدولفوس Paldolphus ووقع
اسيراً في يد الروم .

الروم وبلغارية وروسية : وكانت معاهدة السنة ٩٢٧ بين الروم
والبلغار قد قضت بان يدفع الروم للبلغار مالا سنوياً محددآ . وكانت

بلغارية في تقهقر داخلي مستمر . وكان بعض رجال الاقطاع فيها قد عادوا الى سابق نفوذهم فاصبحوا مستقلين استقلالاً فعلياً . فرأى نيقيفوروس ان يستغل هذا الظرف لمصلحة دولته وشعبه . فاتخذ من تجرؤ بعض العصابات المجرية وعبورها الدانوب ووصولها الى اراضي الروم عبر بلغارية عذراً للتوقف عن دفع المال السنوي المقرر . وهكذا فاننا نراه يصفع في السنة ٩٦٧ مندوبي بلغارية الذين أموا عاصمته يطالبون بالمال السنوي ويتردهم طرداً .

ثم رأى نيقيفوروس قبل ان يبدأ الحرب ان يستعين بالروس ليضع البلغاريين بين نارين ، فأوفد الى كييف عاصمة الروس من يسعى للتحالف مع سواتوسلاف Sviatoslav اميرهم الكبير . فلبى الامير الطلب وأنزل في السنة ٩٦٧ جيشاً روسياً كبيراً في الساحل البلغاري . فرحب بعض امراء الاقطاع من البلغاريين بالروس وتمكن الامير الروسي من اكتساح الموقف . ثم اضطر ان يعود الى كييف لاختاد ثورة أشعلها البتشناغ . وعاد في السنة ٩٦٩ الى بلغارية لضمها الى ملكه . فأدرك نيقيفوروس الخطأ الذي ارتكب ، فصالح البلغاريين . ولكن وفاة بطرس ملكهم وظهور سيسمان يناظر ولي العهد أشعل الفوضى في بلغارية .

يوحنا جيمسكي : (٩٦٩ - ٩٧٦) ولم ترضَ ثيوفانو الفيلسفة الام عن حياتها الزوجية مع نيقيفوروس نظراً للتفاوت في السن بينهما ، ونظراً لانهماك نيقيفوروس بمشاغله وتشاغله عنها . وكان ابن اخته يوحنا جيمسكي Jean Tzimisces جميل الصورة ولا يزال في الخامسة والاربعين من عمره ، فأحبه ثيوفانو فأبعده نيقيفوروس عن القسطنطينية . فأخذت ثيوفانو تسعى لارجاعه . فاقنعت زوجها نيقيفوروس برفيق اسلوبها فأرجعه الى البلاط . وكانت مؤامرة بين ثيوفانو ويوحنا . فدبح نيقيفوروس في غرفته ذبحاً في

العاشر من كانون الاول ٩٦٩ وأسلم الروح وهو ينادي « يا والدة الاله ! »
وفي الغد نودي ييوخنا جيمسكي فيلسفياً بالاشتراك مع باسيلوس وقسطنطين
القاصرين . وبقي الفيلسوف الجديد اسبوعاً كاملاً في القصر لا يخرج منه .
ثم نزل الى كنيسة الحكمة الالهية ليتوجه فيها البطريرك المسكوني
بوليفاكوس . غير ان هذا الشيخ الورع لم يسمح للفيلسوف بالدخول الى
الكنيسة الا بعد ان يقوم بامور ثلاثة : اولها ان يطرد ثيوفانو المجرمة
من البلاط ، والثاني ان يعترف بالقاتل ايأً كان ، والثالث ان يرجع
للمجمع المقدس حق انتخاب الاساقفة وان يترك البت في الامور الكنائسية
للمجمع . فأذعن الفيلسوف ونفى ثيوفانو من القسطنطينية ، واعترف باسم
القاتل ونفاه ، وأعاد الى المجمع المقدس ما كان نيقيفوروس قد اخذه منه .
وتوج فيلسفياً في الخامس والعشرين من كانون الاول من السنة ٩٦٩ في
كنيسة الحكمة الالهية^١ .

وكان يوخنا جيمسكي ارمني الاصل يمت بصلة النسب عن طريق
والده الى غرغوث القائد ، وعن طريق امه الى عائلة فوقاس .
وكان يدعى بالارمنية شمشقيق . ومن هنا اسمه في المراجع العربية المعاصرة .
وكان قصير القامة ، جميل الصورة ، شجاعاً ، باسلاً ، لطيفاً ، كريماً ،
متزناً ، صبوراً . وكان قد اشترك في معظم حروب نيقيفوروس ، فعرفه
الجنود واحبوه وتعلقوا به^٢ . ورأى الفيلسوف الجديد انه لا بد من ان
يتسلم قيادة جيشه بنفسه ، فأعاد الى ادارة دفة الحكم البراكيمومان
باسيلوس ليكاينوس الذي كان قد خرج من البلاط في عهد نيقيفوروس
الفيلسوف^٣ .

Schlumberger, G., Jean Tzimisces, (Epopée Byz.) Vol. I.

١

Schlumberger, G., op. cit., I. 4 .

٢

Dolger, F., Regesten, 725 .

٣

عنايته بالكنيسة : وأحب يوحنا جيمسكي الكنيسة وجالس رجالها
ولاسيا الرهبان . واصلح ما بين رهبان جبل آثوس وبين النساك فيه .
وأصدر في السنة ٩٧٠ « البراءة الذهبية » فأسس بها اتحاد جماعات جبل
آثوس^١ . وكان بطريك انطاكية قد قتل في اثناء الحصار وقبل دخول
الروم اليها . وكان الموقف السياسي في سورية لا يزال حرجاً . فطلب
الفسيفس في السنة ٩٧٠ نفسها الى البطريرك المسكوني وجمعه المحلي ان
ينتخبوا بطريكاً على انطاكية وسائر المشرق ، واقترح انتخاب الراهب
ثيودوروس فتم انتخابه وتكريسه في الثامن والعشرين من كانون الثاني .
ثم توفي بوليفكتوس البطريرك المسكوني ، فرشح الفسيفس راهباً من
رهبان جبل اوليمبوس باسيليوس لهذا المنصب السامي . وقدمه بنفسه الى المجمع
وكان لا يزال لابساً القلنسوة الجلدية . فتم انتخابه وسمي بطريكاً في
التاسع والعشرين من كانون الثاني من السنة ٩٧٠^٢ . وفي السنة ٩٧٤ وشي الى
الفسيفس بان باسيليوس البطريرك وعد شخصية كبيرة بالتاج . فاستدعا
الفسيفس ليمثل امام مجلس القضاء الاعلى . فرفض البطريرك وطلب
محاكمته امام مجمع مسكوني . فخلعه الفسيفس ونفاه ورشح راهباً
آخر هو انطونيوس الاستوديقي . فانتخبه المجمع خلفاً لباسيليوس . ويرى
بعض رجال الاختصاص ان الدافع لخلع باسيليوس كان رفضه مجاراة
الفسيفس في سياسته في ايطالية التي قضت بقطع العلاقات مع كنيسة رومة^٣ .
الروس والبلغار : وكان امير الروس سواتوسلاف لا يزال طامعاً

*Dolger, F., Regesten, 745 ; Meyer, Ph., Die Haupturkunden der Athos- ١
Kloster, 141-151.*

Schlumberger, G., Epopée Byz, I, 32-36. ٢

*Gfroerer, Byzantinische Gesch., II, 255 ; Fliche et Martin, Hist. de ٣
l'Eglise, VII, 761.*

طاحماً، فجاء في ربيع السنة ٩٧٠ الى البلقان ناهباً مدمراً. وبعده ان استولى على فيليبوبوليس عبر الحدود البيزنطية، وحلّ ضيفاً ثقيلاً على تراقية. فدبّ الرعب في قلوب سكان العاصمة، وهبّ برداس سكليروس Bardas Skleros صهر الفسيلفس الى محاربة الروس ودفع الاذى. فدحرهم عند اركاذيوبوليس Loule Bourgas في السنة ٩٧٠ وأكرههم على التراجع الى بلغارية^١. واضطر الفسيلفس ان يتبع الملاينة في ايطالية والغرب، فأزوج اوثون الثاني من ثيوفانية ابنة ثيوفانو، وقضى على ثورة دبرها برداس فوقاس في بر الاناضول^٢. وفي آذار سنة ٩٧٢ قام هو بنفسه على رأس جيشه الى بلغارية وأنفذ اسطوله الى الدانوب، واستولى على بريسلافة عاصمة البلغار، ورد سواتوسلاف الروسي على عقبه. فامتنع هذا في حصن سليسترية. وبعد حصار دام ثلاثة أشهر سلم الامير الروسي الحصن وقفل واجعاً الى بلاده. وما ان وصل الى شلالات الدنيبر حتى اطبق به البتشناغ وقضوا عليه^٣. وأكراه الفسيلفس بوغوريس ملك البلغار على التنازل عن العرش وضم بلغارية الشرقية الى دولة الروم، وألغى بطريكية البلغار^٤.

توسع جديد في سورية ولبنان : وما أن أنهى الفسيلفس الجديد مشكلة الروس والبلغار حتى عزم على ازالة خلافة بغداد وتحرير فلسطين والاستيلاء على القدس. ولكن كان عليه قبل هذا وذاك ان يجابه دولة فتية جديدة كانت قد قامت في مصر. فان المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع كان قد سيّر جوهرًا الرومي الى مصر في السنة ٩٦٨ فافتتحها

Schlumberger, G., Epopée Byz., I, 39.

Diehl, C., Byzance, 126-127.

Schlumberger, G., op. cit., I, 92 ff ; Léon le Diacre, 156-157.

Dolger, F., Regesten, 739.

وأزال الشعار الاسود العباسي وألبس الخطباء الابيض وفتح دمشق وخطب للمعز على منبرها . وكان جوهر قد أنفذ جيشاً الى انطاكية فحاصرها خمسة أشهر خلال السنة ٩٧٠ - ٩٧١ . وكان الفيلسفس قد اكتفى بان عتق ميخائيل بوجس دوقاً على انطاكية وأمره بترميم حصونها وجعلها صالحة للدفاع . وفي السنة ٩٧٣ أنفذ الدومستيقوس (الدمستق) الارمني عليه Mleh الى الجزيرة غازياً . فاستولى هذا القائد على ملاطية ولكنه ارتد امام آمد فاعتقل وارسل الى بغداد فتوفي فيها ٢ .

وفي السنة ٩٧٤ بعد الانتهاء من مشكلة الروس والبلغار قام الفيلسفس بنفسه على رأس قواته قاصداً بغداد . فسلك الطريق نفسها التي كان قد سلكها هرقل من قبله . فسار في وادي الفرات الاعلى ودخل ارمينية وحالف ملكها أشوت ٣ . ثم اتجه جنوباً فاستولى على آمد وأحرق ميافارقين ودخل نصيبين وأدخل امير الموصل الحمداني في طاعته ٤ . وتعمّر عليه تموين جيشه فعاد الى القسطنطينية منتصراً غانماً ٥ .

وفي ربيع السنة ٩٧٥ عاد الفيلسفس بوخنا جيمسكي الى القتال . فانطلق من انطاكية قاصداً المدينة المقدسة . وما ان أطل على دمشق حتى فاضه حاكمها في السلم ، فوقع بياناً اعترف فيه بسيادة الفيلسفس وتقبل حامية مسيحية في مدينته . وقام الفيلسفس الفاتح الى طبرية فدخلها . ثم قام الى الناصرة فعف عنها احتراماً واجلالاً ، وتسلق جبل الطابور تيمناً

Schlumberger, G., op. cit., I, 222-223 .

١

Anastasievic, Die Zahl der Araberzüge des Tzimiskes Byzantinische Zeitschrift, vol. 30, 401 ff.

٢

Honigmann, Die Ostgrenze des Byzantinischen Reiches, 98 .

٣

Adontz, Notes Armeno - Byzantines, Byzantion, 1934, 371-377 .

٤

Schlumberger, G., op. cit., I, 262 .

٥

وتضرعاً . وتقبل هنالك دخول القدس والرملة وعكة في الطاعة وارسل اليها قادة عسكريين يقيمون فيها . ولما كانت قوات الفاطميين قد التجأت الى مدن الساحل فانه رأى ان الحكمة العسكرية تقضي بالاتجاه نحو الساحل قبل التوغل في الجنوب . فاحتل صيدا وبيروت وجبيل وعاد الى انطاكية متأثراً من مرض الم به ، ومنها قام الى القسطنطينية^١ .
ومما نقله المعاصرون انه في اثناء عودته الى العاصمة شاهد أراضي فسيحة جميلة خصبة ، فسأل عن مالكة فقيل له انها تخص رئيس الحُصيان باسيلوس المقدم بين الوزراء . فاستعظم يوحنا هذا الامر نظراً لاحتياج الدولة وسقاء رؤسائها في سبيل الفتوحات . وبلغ هذا باسيلوس نفسه فخاف ففسد سماً خفيفاً للفيلسوف فقتله في مدة لا تبلغ السنة . فمات في الثامن عشر من كانون الاول سنة ٩٧٦ .

باسيلوس الثاني : (٩٧٦ - ١٠٢٥) وكان باسيلوس واخوه قسطنطين شريكا يوحنا جيمسكي قد بلغا سن الرشد او ما يقرب منها . وكانا يهابان الحُصي باسيلوس لانه كان قد تولى تربيتهما . وحدثته نفسه بالملك ، فأرجع ام الفسيلةسين ثيوفانو . ثم عزل القائد الاعلى برداس اسكليروس وعينه في وظيفة ثانوية في قيادة جيش الجزيرة . فذهب برداس وجمع جيشاً واتحد مع اعداء باسيلوس الحُصي . فكانت بينه وبين جيوش العاصمة مواقع هائلة وحروب شديدة دامت اربع سنوات . ولجأ برداس الى بغداد وطلب معونة الخليفة العباسي الطائع (٩٧٤ - ٩٩١) .
وكان باسيلوس الفيلسوف الشاب يحضر جلسات المجالس كلها ويتتبع الحوادث ويدرسها . فلمس الحُراب الذي حل بالدولة من سوء ادارة الحُصي

Du Laurier, E., Chronique de Matthieu d'Edesse, Bibliothèque, Hist. Arménienne, 16-24 ; Georges Hamartolus, Continuator, 865.
Schlumberger. G., op. cit., 308-315.

بصرف الاموال ، وقتل القواد والضباط والعساكر ، وانتفاع المسلمين من هذه الحوادث ، ونهوض البلغار لاستغلال الموقف . وكان هو عبوساً شجاعاً لا يعتمد الا على نفسه ، قنوعاً في معيشته وملابسه ، بعيداً عن الملاهي والطرب . وكان اخوه قسطنطين كسولاً محباً للهو والملذات ، يكثر من حضور الروايات والصيد^١ .

وفي السنة ٩٨١ رأى ان يذهب بنفسه لمحاربة البلغار ، فعارضه الحصي في ذلك . ولكنه أصرّ وذهب فلم ينجح . وكان اوثون الثاني قد شرع في الاستيلاء على املاك الروم في ايطالية مدعياً انها تخص زوجته ثيوفانية . فنهاه الفسيلفس فلم يرتدع . فحاربه الفسيلفس في السنة ٩٨٢ وظفر بجنوده واسترجع معظم ما ملكه الروم في ايطالية .

ولم يرضَ باسيلوس الحصي عن تدخل الفسيلفس الشاب في الحكم وخشي ان تفلت السلطة من يده فأثارها حرباً باردة في القصر بينه وبين سميه الفسيلفس . وانتهى هذا النزاع الصامت بكف يد الحصي في السنة ٩٨٥ وابعاده الى دير يعيش فيه زاهداً . وما ان فعل حتى رفع رجال الاقطاع رؤوسهم مرة اخرى منادين في السنة ٩٨٧ بيرداس فوقاس فسيلفساً . وانضم اليهم برداس اسكليروس . فتفاقم الشر وعظم الحطب . فاستمال الفسيلفس الكنيسة وخطب ودها ، ثم حالف امير كيّف فلاديمير الكبير واستعان بستة آلاف مقاتل روسي . فلما زحف رجال الاقطاع على العاصمة أنزل الفسيلفس بهم هزيمة شنعاء في خريسوبوليس (٩٨٨) ولقي برداس فوقاس حتفه في أبيدوس (٩٨٩) . ولم يبقَ في الميدان سوى القائد برداس اسكليروس . فوعده الفسيلفس بالعفو ان هو سلّم ، ففعل^٢ .

Zonaras, J., *Hist.*, III, 555 ; Psellus, M., *Chronog.*, 4

١

Psellus, M., *op. cit.*, 9 ff; Schlumberger, G., *op. cit.*, I, 672-677.

٢

ويستدل من رسم هذا الفيلسوف الذي لا يزال محفوظاً في نسخة قديمة من المزامير انه كان قصير القامة ، مفتول العضل ، أزرق العينين ، مشرق الوجه ، ذا لحية ملتفة كثيفة . ومما يستدل عليه من هذا الرسم ايضاً ان باسيليوس انفرد عن سائر زملائه في انه آثر الظهور باللباس العسكري والسلاح بالزرد والسيف والرمح^١. وهو في مراجعنا الاولى بعيد عن البذخ إن في المأكل او المشرب او الملبس . وهو قليل الاهتمام بالحفلات والتشريفات . ولم يتذوق العلم والفلسفة . واعتبر الجدل في هذه ضرباً من الثروة . ولكنه كان جندياً ممتازاً وفارساً مغواراً وقائداً عظيماً ، يشاطر جنوده التعب ويقودهم الى النصر بوفرة ذكائه وسعة اطلاعه وحسن تدبيره وتنظيمه . ومما جاء في هذه المراجع انه لم يكن لديه وزير اول ، ولم يخص احداً بعطف اكثر من غيره ، ولم يحكم بالقوانين المدونة بل بما اوحاه اليه ضميره ووجدانه^٢.

الكنيسة في عهد باسيليوس : وليس لدينا من مخلفات السلف في هذا الموضوع ما يكفي لايضاح جميع الحوادث^٣. وأهم ما يلفت النظر ان البطريرك المسكوني انطونيوس الثالث استقال في السنة ٩٨٠ في اثناء ثورة برداس اسكليروس . وبعد استغفائه بقي المنصب اربع سنوات شاغراً . وفي السنة ٩٨٤ سمى نيقولاوس الثاني (خريسيويرجيوس) بطريركاً مسكونياً فأقام على الكرسي حتى وفاته في السنة ٩٩٥ . ثم خلفه سيسينيوس الثاني المايستروس الطبيب . وكان التنافر لا يزال قائماً في بعض الاوساط الاكليريكية بسبب زيجة لاوون الرابعة ، فوفق

Diehl, C., Peinture Byzantine, pl. 83.

Psellus, M., op. cit., 18-24.

Bréhier, L., Byz., Vie et Mort, 218-219.

البطريك بينهم وسنّ قانوناً بالا يأخذ اخوان زوجتين احدهما ابنة عم او خال او عمّة او خالة الاخرى على الوجه السادس ، ولا ان ياخذ العم او الخال وابن اخيه او اخته اختين على الوجه الخامس . وبعد سيسينيوس نصّب البطريك سرجيوس الثاني (١٠٠١ - ١٠١٩) أحد اقرباء فوطيوس البطريك السابق .

ويرى مؤرخو الكنيسة الارثوذكسية ان سرجيوس الرابع بابا رومة (١٠٠٩ - ١٠١٢) قال بالانثاق من الآب والابن ، وانه لما بلغ هذا الامر مسامع سرجيوس الثاني البطريك المسكوني كتب الى زميله البابا سرجيوس الرابع يرشده في هذا الموضوع فلم يقبل . فعقد البطريك المسكوني مجعماً أيّد فيه اعمال البطريك فوطيوس كلها ومحا من ذبتيخة الكنيسة اسم البابا سرجيوس الرابع^١ . ويرى بعض رجال الاختصاص من علماء الغرب ان السبب في هذا التباعد بين فرعي الكنيسة الرئيسيين هو ان فيلسف الشرق وامبراطور الغرب كانا في تنافس مستمر حول النفوذ في ايطالية ، وان البابا بنديكتوس الثامن (١٠١٢ - ١٠٢٤) كان مديناً بتبوءه العرش الكنائسي لهنريكوس الثاني امبراطور الغرب ، وانه اعترافاً بهذا الفضل اهدى الى هنريكوس كرة ذهبية يعلوها صليب رمز السلطة العالمية ، وان فيلسف الشرق باسيليوس اعتبر اقدم البابا على صنع هذه الكرة وتقديمها الى هنريكوس عملاً عدائياً ، وان البطريك المسكوني شاركه في هذا الشعور^٢ .

وبما لا ينبغي اغفاله في هذا كله هو ان مراجعنا الاولى كما سبق ان أشرنا قليلة ، وان مراجع الانشقاق العظيم الذي حلّ في السنة ١٠٥٤

١ جراسيموس ، متروبوليت بيروت ، الانشقاق ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

Jugie, M., *Le Schisme Byzantin*, (1941), 166-167.

لا تشير البتة الى هذا الاختلاف بين سرجيوس الشرق وسرجيوس الغرب .
تنصر الروس : وأعظم من هذا كله وأشد أثراً في التاريخ تنصر
الروس . وكانت اولغة زوجة ايغور اول امراء الروس قد اعتنقت الديانة
المسيحية في القسطنطينية في السنة ٩٠٥ فسميت هيلانة . ثم عادت الى
بلادها وأخذت تسعى في تنصير شعبها وخصوصاً ابنها ايفاتوسلاف . وأثر
سعيها مع بعض الاهالي ولكنها توفيت ولم تستطع اقناع ابنها . ولا يزال
الروس يعيدون لها في الحادي عشر من نيسان في كل سنة . ثم مات ايفاتوسلاف
وخلفه ابنه فلاديمير سنة ٩٨٠ . ثم كان ما كان من امر برداس فوقاس . فطلب
القسيس باسيلوس الثاني معونة فلاديمير ، فجاءت المعونة في حينها .
وطلب فلاديمير حنة شقيقة باسيلوس زوجة . فقبل القسيس شرط ان
يتقبل فلاديمير النصرانية . فتقبلها . فشرطن البطريك المسكوفي
نيقولاووس الثاني ميخائيل السوري الاصل متروبوليتاً على كييف . وأرسله
وخمسة اساقفة مع الاميرة حنة لينشروا الديانة المسيحية في روسية . ووصلوا
الى خرسون في بلاد القرم وعمدوا فلاديمير سنة ٩٨٨ وكالوه على حنة .
وعاد فلاديمير الى كييف ، وأمر بان يجتمع جميع أهلها كباراً وصغاراً
على شاطئ النهر . فركع فلاديمير وصلى ووقف الكهنة على ألواح من
الحشب يعمدون الشعب تغطيساً . واعتبرت الكنيسة الروسية فيما بعد فلاديمير
وزوجته قديسين ومنحت فلاديمير لقب معادل الرسل ولا تزال تحتفل
بعيده في السادس عشر من تموز في كل سنة^١ . ويرى بعض من يعنى
بتاريخ الروم في الغرب ان فلاديمير تقبل النعمة في كييف قبل زواجه
من حنة وذلك في السنة ٩٨٧^٢ .

Schlumberger, G., Epopée Byzantine, I, 701-723, 758-777, II, 1-12 . ١

Baumgarten, Conversion de la Russie, Orientalia Christiana, 1932, 1-36. ٢

حروب باسيلوس وفتوحاته : وكان باسيلوس اعظم قوة وأطول
باعاً في الحرب من اسلافه . فانه تمكن بجده وسعيه ومقدرته في الادارة
والحرب من تجيش عدد من الرجال اكبر بكثير من اي عدد جنده
أسلافه . وحارب في وقت واحد في جبهات اربع : في الجنوب والشمال
وفي ايطالية والقوقاس .

وكانت مشكلة بلغارية لا تزال عقدة العتد . فان انتصار يوحنا
جيمسكي لم يكن كاملاً . ولم يتمكن هذا الفيلسفس من تدويخ جميع
البلغاريين . ولم يضم الى ملكه سوى بلغارية الشرقية . وبقي عدد من
كبار رجال الاقطاع البلغاريين خارجين عن سلطته . وما ان زال البيت
المالك القديم حتى شق صموئيل احد هؤلاء طريقه الى الملك ونظم بلغارية
غربية جديدة وحكمها من قلعته في اوخريدة في تلال مقدونية . ولم
يحاول صموئيل باديء ذي بدء ان يكتسح بلغارية الشرقية ولكنه اتجه
جنوباً فاتقضى على بلاد اليونان . واحتل لاريسة سنة ٩٨٦ ووصل الى برزخ
كورينثوس . فأعد باسيلوس الثاني حملة وأغار على املاك صموئيل . فارتد
هذا عن اليونان وأنزل بخصمه الفيلسفس هزيمة شتعاء امام صوفية في
السابع عشر من آب من هذه السنة . واضطر باسيلوس ان يواجه ثورة
البرداسين كما سبق وأشرنا .

وكان سعد الدولة الحمداني قد دخل حلب واستولى عليها ، فحاول
مراراً ان يتملص من الاتاوة التي كان يقجور قد قبل بدفعها الى الروم .
فأدى هذا الى انفاذ حملات ثلاث على حلب بقيادة برداس فوقاس في
السنوات ٩٨١ و ٩٨٣ و ٩٨٦ . واضطر سعد الدولة ان يستنجد العزيز
الفاطمي ، فنشب خصام بين الروم والفاطميين . ولما كان باسيلوس منهمكاً
في القضاء على ثورة البرداسين اضطر بدوره في اواخر السنة ٩٨٧ الى ان
يصالح العزيز بعهادة كان من شروطها ان يذكر اسم العزيز في خطبة

الجامع في القسطنطينية . وكان قد قام في القسطنطينية مسجد منذ القرن الثامن^١.

ولم يكن باسيليوس الثاني في هذه الفترة نفسها أسعد حظاً في ايطالية . فان اوثون الثاني امبراطور الغرب طمع في جنوبي ايطالية . ففي كانون الثاني من السنة ٩٨٢ غزا ابولية البيزنطية وهاجم مدنها . ولكنه عندما دخل كلابرية اصطدم بجيش عربي كان قد أنفذ اليها من صقلية . فواقعه عند ستيلو في الثالث عشر من تموز سنة ٩٨٢^٢ فانهزم وكاد ان يقع في يد العرب اسيراً لولا نزوله الى البحر على ظهر جواده والتجاؤه الى سفينة بيزنطية قريبة . وعاد الى روسانو وأعاد تنظيم جيشه وتراجع شمالاً وتوفي في رومة في كانون الاول من السنة ٩٨٣ . وعاد العرب الى صقلية فتمكن الروم من اعادة سلطتهم في ابولية^٣.

وفي السنة ٩٨٨ أخذ باسيليوس ثورة البرداسين واستتب الامر له . وكان في سلم مع الروس والفاطميين فعاد الى حدود البلغار . وكان صموئيل قد استثمر انشغال خصمه باسيليوس فاستولى على قسم من دلماسية وعلى ساحل البانية فأصبح سيد ثلثي البلقان . وكان قد هاجم ثيسالونيكية واحتل بروة Berrhoe عند مداخلها الغربية . فقام باسيليوس الى ثيسالونيكية بنفسه في ربيع السنة ٩٩٠ فرمم حصونها ثم دخل في حرب بلغارية دامت اربع سنوات متتالية^٣.

وتوفي سعد الدولة الحمداني في السنة ٩٩١ فطمع العزيز الفاطمي بحلب .

Schlumberger, G., Epopée Byzantine, I, 544-572, 730-713; Dolger, F., ١ Regesten, etc, 770.

Schlumberger, G., op. cit., I, 499-507; Gay, J., Italie Méridionale, ٢ 331-335.

Schlumberger, G., op. cit., 751-755, II, 44-45; Cedrenus, G., Synopsis ٣ Historion, II, 58, 180.

فحاصرها في السنة ٩٩٢ فاستجار لؤلؤ الكبير الوصي على ابن سعد الدولة القاصر باسيلوس الثاني . فأمر باسيلوس دوق انطاكية ميخائيل بورجس ان يقدم المعونة اللازمة . فظفر الفاطميون بجيشه في موقعة العاصي في الخامس عشر من ايلول سنة ١٠٩٤ . فرأى الفيلس الكبير ان الواجب يقضي بان يشرف بنفسه على الاعمال في سورية الشمالية . ففوض نيقيفوروس اورانوس متابعة الحرب البلغارية . وجمع جيشاً خاصاً وجعل لكل مقاتل بغلين ، وهبّ بسرعة فائقة فقطع آسية الصغرى في ستة عشر يوماً وفاجأ الفاطميين عند حلب فتراجعوا عنها وفروا امامه حتى ابواب دمشق . وعاد الفيلس الى القسطنطينية في خريف السنة ١٠٩٥ .

ونشط صموئيل في غياب باسيلوس فزحف على ثيسالونيكية وواقع الهزيمة بجاكها الارمني أشوت ، ولكنه لم يفتحها بل آثر التوغل في اليونان فوصل ثانية الى برزخ كورينثوس . وتأثره نيقيفوروس اورانوس وأنزل به هزيمة شنعاء عند مضيق ثرموبيلي الشهير . ففر صموئيل متسلقاً الجبال حتى وصل الى سواحل ايروس في صيف السنة ٩٩٦ . ووصل الفيلس من سورية ولم يتمكن من استثمار هذا النصر استثماراً كاملاً واكتفى بان أنزل نيقيفوروس الى بلغارية الغربية ليدمر وينهب ويحرق . وتوفي العزيز الفاطمي وتولى الحكم بعده الحاكم بأمره (٦٩٦ - ١٠٢١) فأنزل بدوق انطاكية داميانوس دلاسانوس في تموز السنة ٩٩٨ هزيمة كبيرة . وخرّ داميانوس مقاتلاً . فاضطر باسيلوس ان يعود الى سورية الشمالية لينقذ الموقف . فدخل انطاكية في العشرين من ايلول سنة ٩٩٩ واستولى على حمص في تشرين الاول من السنة نفسها . ثم قام الى طرابلس

Schlumberger, G., op. cit., II, 68-84.

Yahya d'Antioche, Chronique Universelle, 176-177.

فارتد امامها (٦ - ١٧ كانون الاول) ، وعاد الى طرسوس لتمضية الشتاء^١.

وبينا هو يعد العدة في طرسوس لتابعة الحرب ضد الفاطميين علم بوفاة داود ملك الكرج . وكان داود هذا قد عاون برداس فوقاس في ثورته على الفسيلفس وأوصى عند انتهاء ملكه الى الفسيلفس . فقام الفسيلفس بجيشه الى ملاطية ، ثم عبر الفرات ودجلة ووصل الى هافاتشيش . فقدم امراء الكرج خضوعهم ، وضم الفسيلفس دولة داود الى الامبراطورية وعاد الى القسطنطينية عن طريق ارضروم^٢.

وترك هذا كله اثراً في نفس الحاكم بامرءه ، فأسرع يفاوض باسيلوس في السلم . ولما عاد الفسيلفس الى القسطنطينية وجد فيها اورسطيوس بطريك القدس منتظراً لابرام صلح باسم الخليفة الفاطمي . فكان صلح بين الدولتين لعشر سنوات^٣.

وانطلق الفسيلفس بعد هذا يذلل الصعاب في بلغارية . فدخل في حرب دامت سبع عشرة سنة (١٠٠١ - ١٠١٨) تمكن في اثنائها من مضايقة خصمه صموئيل بتفوق عساكره ، ومهارة قواده ، وحذقه هو في تدبير الخطط وتنفيذها ، وفي سرعته ومفاجآته . وأشهر مواقع هذه الحرب معركة كيمبالونغوس Kimbalongos . وهو يمر طبيعي في وادي السترومة كان لا بد لباسيلوس من ان يعبره في طريقه الى معاقل صموئيل الاخيرة في مقدونية الغربية . وفي التاسع والعشرين من تموز سنة ١٠١٤ كمن صموئيل لباسيلوس في هذا الممر . وما ان وصل الروم اليه حتى أمطروهم البلغاريون وابلاً من السهام من وراء أسيجة مدبرة . فأنفذ

Yahya d'Antioche, op. cit., 183-184.

١

Schlumberger, G., op.cit., II, 172-198.

٢

Dolger, F., Regesten, 788 ; Schlumberger, G., op. cit., II, 201-208.

٣

باسيلوس القائد نيقيفوروس زيفياس يهددهم من الورااء . فكان نصر ميين .
ووقع في يد باسيلوس عدد كبير من الاسرى ، فسلم عيون خمسة عشر
الفاً منهم وأطلقهم بقيادة مئة وخمسين أعور يقابلون صموئيل ملكهم . وما
ان شاهدتهم هذا حتى اغمي عليه وتوفي للحال في السادس من تشرين الاول
سنة ١٠١٤ . ونال باسيلوس لقب « ذباح البلغارين » *Bulgaroctonus* .
ونادى البلغار بان صموئيل جبرائيل ملكاً ، فدامت الحرب اربع سنوات
اخرى . وتابع باسيلوس الحرب فاحتل اوخريدة العاصمة في خريف السنة
١٠١٧ ثم حاصر كستورية . واستجار البلغار البتشناغ ، ولكن دون
جدوى . وسقط آخر ملوك البلغار مقاتلاً في اوائل السنة ١٠١٨ . فضم
باسيلوس جميع بلغارية الغربية الى ملكه . وأصبحت شبه جزيرة البلقان
بكاملها ارضاً بيزنطية للمرة الاولى بعد يوستينيانوس الكبير . وبلغت دولة
الروم بفضل هذه الفتوحات في الشرق والغرب حدودها الطبيعية^١ .

وتميزت السنوات الخمس الاخيرة من حكم باسيلوس الثاني (١٠٢٠ - ١٠٢٥)
بالسيطرة على ايطالية ، والاستعداد لاجراج العرب من صقلية ، وبمحاولة
جدية لتأمين الحدود عند القوقاس ، والصمود في وجه الاتراك السلاجقة
الذين كانوا قد بدأوا يتجهون غرباً . ففي ربيع السنة ١٠٢١ قام باسيلوس
الى ارضروم ومنها الى سهل بسان حيث أنزل بالملك جورجي هزيمة
سهلت وصول الفسيلفس المنتصر الى تفليس . ثم عاد الى طرابزون يمضي
فصل الشتاء فتقبل فيها خضوع يوحنا سمباد ملك ارمينية الكبرى ، كما
تسلم من الملك فاسبوراكان سلطته على الاراضي الواقعة جنوبي بحيرة
وان ، لانه لم يتمكن من حمايتها من غزوات الاتراك السلاجقة . وقبل

Bréhier, L., Byzance, Introduction, 5-6.

انتهاء فصل الشتاء جاءَ الملك جورجي نفسه يقدم خضوعه بلا قيد او شرط . وعاد الفسيلفس الى القسطنطينية في مطلع السنة ١٠٢٣ .
وأدّت مقاومة البلغار الطويلة وتعدّيات القرصان الصقلية والعرب في مياه الادرياتيك الى تفاهم وثيق وتعاون جدي بين الفسيلفس وحكومة البندقية التي كانت تعترف بسيادة الروم . ففي السنة ٩٩٢ منح باسيلوس تجار البندقية امتيازات تجارية اهمها انقاص المكوس وردع الموظفين عن البلص . فوعد البنادقة بوضع سفنهم تحت تصرف الفسيلفس لنقل جيوشه وعتاده الى ايطالية^٢ . وتودد الفسيلفس الى مدن بحرية ايطالية اخرى اهمها بيزا .

وفي السنة ١٠٠٩ ثار الجمهور في باري على عامل الروم فيها من جراء ضغطه وصلفه . وامتدت هذه الثورة الى جميع انحاء مقاطعة ابولية ، ودامت عشرة أشهر . وحاصر الروم باري واستولوا عليها . وفر زعيم الثورة فيها الى المانية فرحب بقدمه هنريكوس الثاني الامبراطور ومنحه لقب دوق ابولية^٣ . واستعان هذا الزعيم الايطالي بالفرسان النورمنديين الذين كانوا على استعداد دائم لتقديم خدماتهم في مثل هذه الظروف . فلبوا الطلب وجاء بهم وبغيرهم الى ابولية في ربيع السنة ١٠١٧ وأنزل بالروم خسائر عديدة . فأنفذ باسيلوس احد رجاله الاشداء باسيلوس بويانس فقضى على هذه المحاولة ، وفر زعيم الثورة ثانية الى المانيا ، الى حضن هنريكوس الثاني وتوفي فيها (١٠٢١) . وأعاد بويانس هيبة حكم الروم في ايطالية الجنوبية . وحصن الحدود الشمالية ولاسيا منطقة غارغانو - بنفنتوم . فهال

Dolger, F., Regesten, 809, 810, 811, 816 ; Schlumberger, G., op. cit , II, 1, 468 ff., 480-511, 525-536.

Dolger, F., Regesten, 789.

Chalandon, F., Hist de la Domination Normande en Italie, I, 47.

هذا الامر هنريكوس الثاني ، وقام للحال بجملة عسكرية يزعم بها نفوذ
زميله الفسيلفس ، ولكنه أخفق كل الاخفاق ! وحاول باسيليووس الفسيلفس
ان يستثمر هذا النصر فيحتل صقلية ويخرج العرب منها . وأنفذ الى
ايطالية في شهر نيسان من السنة ١٠٢٥ جيشاً ، واحتل بويانس مسينة .
وتأهب الفسيلفس للحاق ببويانس ولكنه صعق بمرض اودى به في الخامس
عشر من كانون الاول سنة ١٠٢٥ .

الفصل الخامس والعشرون

التوقف عن التوسع وانتهاء الاسرة المقدونية

(١٠٢٥ - ١٠٥٧)

ورقي عرش القسطنطينية ، بعد وفاة باسيلوس الثاني ، عددٌ من صغار الرجال وضعفاء النفوس والمهم . فأفلتت السلطة الحقيقية من يد الفيلسوف وعظم شأن الحصان في البلاط ونشبت مشادة عنيفة بين هؤلاء وبين قادة الجيش . فأدّت هذه المشادة وهذا التنافس الى تمرد الجند وضعف قوى الدفاع في وقت هدد فيه كيان الدولة عدوان جديدان هما النورمانديون في الغرب والأتراك السلاجقة في الشرق .

قسطنطين الثامن : (١٠٢٥ - ١٠٢٨) وتوفي باسيلوس بدون عقب وتولى الحكم بعده اخوه قسطنطين الثامن . وكان هذا خفيف العقل مستهتراً متصايماً مولعاً بسباق الحياول منغمساً في المذات يكره الحرب والعمل الجدي . وكان قاسياً عتياً يلاقي جميع الذنوب بسمل العينين . فما ان تبوأ العرش حتى عزل كبار القادة ابطال الحروب السابقة واستبدلهم برجال من صنعه . ولم يكن له ولد ذكر ، فاستدعى الشريف رومانوس ارغيروس اليه وأكرهه على تطليق امرأته وازوجه من ابنته زوية وذلك

في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٠٢٨ وقبل وفاته بثلاثة ايام^١.
الاباطرة الاصهار: (١٠٢٨ - ١٠٥٧) ودخل الروم بعد هذا في
حكم اصهار الاسرة المقدونية. ولم يكن اصهار القرن الحادي عشر من
بضاعة سلفائهم اصهار القرن العاشر. وكان رومانوس ارغيروس الثالث
(١٠٢٨ - ١٠٣٤) ينتسب الى بيت عسكري شهير مما يسّر له قيادة
الجنود ولكنه لم يوفق الى النصر كما سرى. وكان اول ما قام به من
الاعمال ان ألغى تشريع باسيليوس الثاني الذي حمى به الفقراء وصغار
الملاكين من جشع اصحاب الاملاك الكبيرة. فطغى هؤلاء وتجبروا،
وأدى جشعهم الى انفراط العقد وتشتت الكلمة.

وكان عند رومانوس الثالث خصي اسمه يوحنا البفلاغوني. وكان لهذا اخوة
اربعة فرقام الحصي وأدخل أحدهم ميخائيل في خدمة البلاط. وكان ميخائيل
لا يزال في عنفوان شبابه، جميل الوجه، ساحر العينين. فتعلقت به زوية فدفعتها
الى قتل الفسيلفس. فدست له السم ثم خنقته في مغطس الحمام في الحادي عشر
من نيسان سنة ١٠٣٤. وألبست ميخائيل البفلاغوني بدلة الملك وتوجته
وأجلسته بجانبها وأمرت بتعظيمه. وما ان تم جلوس ميخائيل الرابع على
العرش حتى قام اخوه يوحنا الحصي يستأثر بالسلطة. فحصر زوية بين نساء
الحرم. وألم باخيه ميخائيل الرابع داء النقطة فاستقل الحصي بالادارة ورقى
اقرباءه الى الوظائف الكبرى وعزل غيرهم من ذوي الاهلية. وانتقلت
زوية من يوحنا الحصي فدست له السم. ولكنه استدرك الامر ونجا من
الموت. ولم يبطش بها محافظة على مركز اخيه ومركزه. وكان مرض
ميخائيل الرابع يزداد من يوم الى يوم. فشعر بقرب اجله. وأنبه ضميره على
فظاظة ما عمله برومانوس الثالث، فشرع يوزع الحسنات ويبني الكنائس

Psellus, M., Chonographia, II, 10; Grummel, R. P., Regestes etc., 836. ١

ويعمد الاطفال ليكفر عن خطيئته . وزار مقام القديس ديمتريوس في
 ثيسالونيكية ولكنه لم ينتفع . ثم اصيب بالاستسقاء فطلب العزلة وسيم
 راهباً . وبعد قليل توفي في العاشر من كانون الاول سنة ١٠٤١ .
 وكان لميخائيل الرابع ابن اخت اسمه ميخائيل القلقاطي . وكانت زوية
 قد تبنته . فلما مات ميخائيل الرابع طردت زوية اخاه يوحنا الحصي واخويه
 الآخرين وتوَّجت ابنها الوضعي ميخائيل الخامس القلقاطي فيلسافاً . ولم
 ير ميخائيل الخامس بامه زوية فنفاها الى جزيرة من جزر الامراء ،
 وأكره البطريك الكسيوس على ان يذهب الى الدير ، واساء معاملته
 كثيرين من اهله . فاستاء سكان العاصمة من عمله وكانوا لا يزالون يكتنون
 المحبة والولاء للأسرة المالكة المقدونية . فاحضروا ثيودورة اخت زوية
 من الدير وخلعوا عنها ثياب الرهبنة وألبسوها الحلة الملوكية وأرجعوا
 اختها زوية ونادوا بهما فيسليستين . فلما رأى ميخائيل الخامس القلقاطي
 هياج الشعب التجأ الى دير الاستودي هو وعمه وتقبلا النذر . ولكن
 ثيودورة أمرت بمعاقبتهما فسحبا من هيكل كنيسة الدير وسملت اعينهما
 ونفيا (١٠٤٢) ٢ .

واجتهدت زوية بعد هذا في ابعاد اختها ثيودورة فلم توفق الى ذلك
 نظراً لموقف الشعب منهما . وأحبت والياً اسمه قسطنطين ارتوكليني ورغبت
 في الزواج منه ولكن زوجته علمت بذلك فدست له السمّ فمات . وكان
 ميخائيل الخامس قد نفى قسطنطين مونوماخوس الى مدلّة لتعلق زوية
 به . فلما مات ميخائيل ومات ارتوكليني أحبت الفسيلسة ان تتخذ منه

*Schlumberger, G., op. cit, III, 150-183, 276-278, 319-372; Bréhier, L., ١
 Byzance, op. cit., 242-243.
 Psellus, M., Chronographia, I, 106; Diehl, C., Figures Byzantines, I, ٢
 268-271.*

زوجاً لها فلم يرضَ البطريك عن زواج ثالث ولم يسمح به .
ولكن الفيلسفة أصرت فكللها كاهن القصر في الحادي عشر من حزيران
سنة ١٠٤٢ . وبعد ان تم لها ذلك أكرهت البطريك على تتويج قسطنطين
فيلسفاً ففعل وأصبح قسطنطين مونوماخوس قسطنطين التاسع (١٠٤٢ -
١٠٥٥)^١ .

الحدود والعلاقات الخارجية : (١٠٢٥ - ١٠٤٢) وعلى الرغم من
تصاغر هؤلاء الملوك وتحاقرهم فان جهاز الدفاع كان لا يزال قوياً
بفضل الجهود التي بذلها باسيليوس الثاني في اثناء حكمه الطويل . وظلت
حركة التوسع قائمة ولكن نتائجها كانت بطبيعة الحال أخف بكثير من
ذي قبل .

ففي السنة ١٠٢٧ قام عرب افريقية بهجوم بحري على بعض جزر ايجيه
فصمد قائد ساموس في وجههم وعاونه في ذلك قائد خيوس وأنزلا بالعرب
خسائر فادحة في الرجال والعتاد . وعاد العرب الى هجوم آخر في السنة
١٠٣٥ ليلقوا اندحاراً ماثلاً^٢ . وفي السنة ١٠٢٧ ايضاً وافق الظاهر خليفة
الحاكم (١٠٢١ - ١٠٣٥) على ترميم كنيسة القبر المقدس التي كان قد
أمر باحراقها الحاكم في السنة ١٠٠٩ ووقع معاهدة بهذا المعنى مع قسطنطين
الثامن^٣ . ثم أغارت عشائر حلب على اراضي الروم فهبّ رومانوس الثالث
في السنة ١٠٣٠ يدافع ويقتص . ولكنه أخفق وكاد يقع اسيراً . ثم كرّ
القائد مانياكيس ودوق انطاكية نيقيطاس فأكرها امير حلب على توقيع
معاهدة في ايلول من السنة ١٠٣١ دخل بها في طاعة الفيلسفس . وثار في

Psellus, M., Chron., I, 122-127; Diehl, C., op. cit., I, 271-283; ١

Schlumberger, G., op. cit., III, 392-401.

Cedrenus, G., Synopsis, II, 259-266. ٢

Dolger, F., Regesten, 824. ٣

هذه الآونة حاكم طرابلس ودخل في حماية الروم . ثم سجل منياكيس
نصراً في الرها فدخلها عنوة واستولى على رسالة السيد المسيح الى ايجر
ملك الرها . وعندئذ عرض رومانوس الثالث صلحاً على زميله الفاطمي
مشروطاً السماح باعادة بناء جميع الكنائس المحرقة والاعتراف بحق الفيلسوف
في ترميم كنيسة القبر المقدس على نفقته الخاصة . وفي السنة ١٠٣٦ وقعت
معاهدة بهذا المعنى بين ميخائيل الرابع وارملة الظاهر الوصية على ابنها القاصر
المستنصر^١ . ويستدل من كلام ناصر خسرو الذي زار بيت المقدس في السنة
١٠٤٦ ان كنيسة القبر كانت قد شيدت على نفقة الفيلسوف وزينت بالرخام
الملون والنقوش والفسيفساء المذهبة . ومما جاء في كتاب ناصر خسرو ان
فيلسوف الروم تحفسي وزار القدس متكرراً في عهد الحاكم بامرہ ، وان
الحاكم علم بذلك فارسل الى زميله يطمئنه ويعدده بالخير^٢ .

وحاول قسطنطين الثامن في السنة ١٠٢٧ ان يستغل وفاة جورجي
ملك الكرج وقصور ابنه وولي عهده ولكنه مُني بالاختفاق . وقل الامر
نفسه عن الحملة التي قام بها قسطنطين اخو ميخائيل الرابع في السنة ١٠٣٨ .
وتوفي يوحنا سمباد ملك الارمن واندلعت حرب اهلية في ارمينية فأحب
ميخائيل الرابع ان ينفذ الوصية التي أوصى بها سمباد في السنة ١٠٢١ .
فأنفذ حملة الى ارمينية ولكن الجيش الذي هاجم عانة مُزق تمزيقاً ، وأعلن
كاكيغ الثاني نفسه ملك الملوك في السنة ١٠٤٢^٣ .

وغضب قسطنطين الثامن على بويانس القائد المحنك واقاله من وظيفته

Dolger, F., Regesten, 834-843; Schlumberger, G., III, 88-91, 107-118, 194-199, 203-204.

Nasir-i-Khusrau, A Diary of a Journey Through Syria and Palestine, 2 Trans. Guy Le Strange, 59-60.

Schlumberger, G., op. cit., III, 23-24, 208-218.

في السنة ١٠٢٨ وأحل محله من لم يكن أهلاً للقيادة والقتال . فنشط
عرب صقلية للاغارة والغزو ما بين السنة ١٠٣٠ والسنة ١٠٣٢ وظهرت
مراكبهم في مداخل الادرياتيک . ولكنهم لم يتمكنوا من الصمود في
وجه راغوزة ونابولي . ففاوض اميرهم في الصلح في السنة ١٠٣٥ ووقع
معاهدة بذلك مع ميخائيل الرابع^١ . وفي السنة ١٠٣٧ حاول الروم
الاستفادة من تقسم العرب في صقلية ، فقام قسطنطين اوروبوس حاكم
ايطالية اليها وتغلب على العرب في مواقع متعددة وحرر الوف الاسرى
المسيحيين . ولكنه لم يتمكن من الاستقرار في الجزيرة . وقام في السنة
التالية ١٠٣٨ يعد العدة لحملة كبيرة على صقلية . فأمر اخاه اسطفانوس على
الاسطول وعهد بقيادة الجيش الى جورج منياكيس . واشترك في هذه
الحملة هارولد ملك نروج وعدد من الفرسان النورمانيين . ونزل الروم
الى الجزيرة واستولوا على مسينة . ثم قام منياكيس الى بالرمو فسرقوصة ،
فاستولى عليهما في صيف السنة ١٠٤٠ . وقلت جماكية العساكر فانسحب
الافرنج الى ايطالية . ووقع الشقاق بين قائد البر وقائد البحر . ووجه
الاول كلاماً لاذعاً الى قائد الاسطول لانه افسح في المجال باهماله لزعيم
تروينة المسلم ليفرّ سالمًا . فاستدعي منياكيس الى القسطنطينية وادع
السجن . وحل محله من لم يكن أهلاً لذلك ، فلم يبق بيد الروم من
صقلية في السنة ١٠٤١ الا مسينة^٢ .

قسطنطين التاسع مونوماخوس : (١٠٤٢ - ١٠٥٥) وأحب قسطنطين
التاسع خليفة اسمها اسكليرينة . فاحضرها الى البلاط ومنحها لقب سبسطة .
فجلست في المجالس ، وظهرت في المواكب ، واستتمعت باموال الدولة ،

Dolger, F., Regesten, 841.

*Chalandon, F., Hist. Domination Lombarde en Italie, I, 89-95; Psellus, ٢
M., Chronographia, II, 31-46.*

فحطت من كرامة هذا الفيلسوف في أعين الشعب . وعند وفاتها قرّب
آلائية شابة وجعلها سبسة ايضاً ، ولكنه لم يجرؤ على ان يسكنها القصر .
وظل طائشاً خاملاً مستهتراً مسرفاً مبدداً الى ان حلّ به فالج قوي
أقعه عن كل حركة . وكان قسطنطين في الوقت نفسه صافي القلب بشوشاً
بعيداً عن الحقد والتكبر يجذب القلوب بلطفه وخفة روحه^١ .

وأفضل ما ينسب اليه اهتمامه بجامعة القسطنطينية وسعيه لجعلها مؤسسة
تغذي الدولة برجال مثقفين مهذبين يخرجون الادارة من ايدي الحُصيان
والعسكريين . وكان ميخائيل الخامس قد قدّم المشترع قسطنطين ليخوذس
على غيره من رجال البلاط فابقاه مونوماخوس في هذه الوظيفة . وعطف
ليخوذس على رفاقه في العلم الذين تحدروا إما من بيوت وضيعة كيوحنا
زفيلينس Xiphilinis الطرازوني او من الطبقة المتوسطة كميخائيل بسلوس
Psellus . وجاء قسطنطين التاسع يفاخر بالعلم ويسعى لتصديق جهة
العسكريين ، فحمى الادباء والعلماء وأسند اليهم بعض الوظائف الكبرى ،
وجعل في السنة ١٠٤٣ بسلوس ، الذي كان لا يزال في الخامسة والعشرين
من العمر ، رئيساً للديوان الملكي ، ورقى يوحنا بيزنتيوس الى رتبة مستشار ،
وكل رئاسة كلية الحقوق الى يوحنا زفيلينس . وأصبح ميخائيل بسلوس
فيا بعد « قنصل الفلاسفة » فتولى ادارة الابحاث الادبية وتمتع برتبة عالية
في تشريفات البلاط . ثم انتقد ليخوذس تبذير الفيلسوف بصراحة الفلاسفة
ووقاحتهم ، فغضب عليه قسطنطين التاسع في السنة ١٠٥٠ وأبعده . ثم
حلّ سخط الفيلسوف على يوحنا موروبوس فاستقال بسلوس وزفيلينس^٢ .
وكان رومانوس اسكليروس اخو خلية الفيلسوف يكره القائد الكبير

^١ Psellus, M., op cit., I, 133-134 ; Diehl, C., Figures Byz., I, 273-276.

^٢ Psellus, M., op. cit., I, 138-140 , II, 38-60 , 66-57 ; Bréhier, L., Byzance, 252-253.

جورج منياكيس . فاستدعى قسطنطين هذا القائد من ايطالية وأبعده .
 وثار القائد ونادى به جنوده في خريف السنة ١٠٤٢ فسيلفساً . وجرح
 جرحاً بليغاً في اول اصطدام وقع بينه وبين جنود الفسيلفس . فانفض
 جنوده عنه وانتهى أمره^١ . وفي منتصف السنة ١٠٤٣ تحصم الروس
 والروم في ضواحي القسطنطينية ، وقتل أحد كبار تجار الروس . وكان
 قد سبق لتجار الروس في عاصمة الروم ان شكوا مضايقة الروم وتعسفهم
 الى امير كيّف . فرأى الامير فلاديمير ان يتخذ من قتل التاجر الروسي
 عذراً للمطالبة بشروط تجارية للروس في القسطنطينية افضل من ذي قبل .
 واحتج على مقتل التاجر الروسي وطالب بالدية . فصُد عن ذلك . فجرد
 حملة برية بحرية ودخل البوسفور . فذعر الناس ونشط الفسيلفس وقام بنفسه
 الى قتال الروس في البحر . فتمكن من ابعادهم بالنار الاغريقية في
 جزيرات سنة ١٠٤٣ . ووقعت معاهدة في السنة ١٠٤٦ لا نعرف من
 شروطها سوى زواج احد امراء الروس من اميرة بيزنطية^٢ .
 وفي السنة ١٠٤٧ تضافرت العناصر العسكرية الساخطة التي كانت قد
 ابعدت عن السلطة واتخذت من ادرنة قاعدة لها ونادت بطورنيكيوس
 الارمني فسيلفساً وزحفت على القسطنطينية . وحاولت اقتحام الاسوار
 ولكن دون جدوى . ثم وصلت قوى الشرق فأنزلت بطورنيكيوس
 وزملائه هزيمة كبرى في اواخر السنة ١٠٤٧^٣ .
 وكانت قبائل البتشناغ التركية قد وصلت الى الدانوب في عهد باسيلوس
 الثاني . وفي السنة ١٠٤٨ نشب خلاف ونزاع بين اثنين من زعمائها .

Schlumberger, G., op. cit., III, 450-456.

*Dolger, F., Regesten, 875; Revue des Questions Historiques, Couret, ٢
 Les Russes à Constantinople, 1876, 69 ff.*

Dolger, F., Regesten, 872-883; Schlumberger, G., op. cit., III, 507-528. ٣

فالتجأ احدهما الى الروم . فعبر خصمه الدانوب وتوغل في بلغارية . فأُنزل به الروم بمعاونة خصمه هزيمة شنعاء . ودخل في خدمة الروم عدد كبير من البتشناغ . وقضت ظروف داخلية في بيثينية ان يساق هؤلاء اليها . فأبوا وتمردوا وأقاموا في سهول صوفية . وانضم اليهم من كان قد بقي من اخوانهم في بلغارية . وطاردتهم جيوش الروم مراراً ولكن دون جدوى . وفي السنة ١٠٥٣ سُم هؤلاء البتشناغ الحرب وفاوضوا في الصلح واستقروا في بلغارية^١ .

وجدد قسطنطين التاسع معاهدة الصداقة والمودة بينه وبين المستنصر الفاطمي في السنة ١٠٤٧ - ١٠٤٨ وأمد الفاطميين بالقمح عند حلول القحط في سوريا في السنة ١٠٥٣ وتمكن من حماية النصارى فيها^٢ . ولكنه لم يحسن السياسة في معالجة السلاجقة . فان هؤلاء الغزّ كانوا في اثناء القرن العاشر قد انتظموا حوالي احد زعمائهم سلجوق فتركوا مراعيهم بالقرب من بحيرة اورال ودخلوا في خدمة الغزنويين وعاونوهم في حرب الهند . ثم ثاروا على مسعود الغزنوي واستقروا في خراسان (١٠٣٨ - ١٠٤٠) بزعامة طغرل بك^٣ . وما ان شعرت قبائل التركان الضاربة في اواسط آسية بشجاعة طغرل وعشائره حتى التفت حواليه وائتمرت اوامره . فقام طغرل بك بجموعه يهدد الخلافة وارمينية والروم . وكان من سوء طالع قسطنطين التاسع ان استبدل الخدمة العسكرية عند حدود آسية الصغرى الشرقية بضرية سنوية فقلّ عدد الرجال في جيش الحدود ، واضطر الفسيلنس الى ان يلجأ في معالجة السلاجقة الى التكتيك نفسه الذي لجأ

Grousset, R., *Empire des Steppes*, 238; Ostrogorsky, G., *Gesch. des Byz.* ١

Staates, 234-235; Dolger, F., *Regesten*, 888-890, 909.

Dolger, *Regesten*, 881, 912; Vincent et Abel, *Jérusalem*, 248-259. ٢

Grousset, R., *Emp. des Steppes*, 203-205. ٣

اليه اسلافه في درء خطر الحمدانيين اي ان يمتنع عن مقاومة الغزاة فلا يطبق بهم الا بعد ان يكونوا قد غنموا فتراجعوا خارجين . فاستعاض قسطنطين عن قلة الرجال بجنكة القادة امثال كتكالون وبجسن التدبير والتكتيك ، فتمكن من الاحتفاظ بجميع ولاياته الشرقية^١.

وازداد طمع النورمنديين في ايطالية وكثر عددهم . واتخذ غيار امير سلرنو لقب دوق ابولية وكلاوية وبدأ يُتطع النورمنديين الاراضي يميناً وشمالاً . وغزا النورمنديون اراضي اوترانتو ولم يتمكن الروم من صدحهم عنها ولم يبقَ بيدهم منها سوى المدن الساحلية . واستدعى الفسيلفس القائد الحاكم في ايطالية ارجيروس ليعاونه في القضاء على ثورة طورنيكيوس . وبقي ارجيروس في القسطنطينية خمس سنوات (١٠٤٦ - ١٠٥١) . ولا نعلم ماذا دار بينه وبين الفسيلفس من حديث او تبادل في الرأي . ولكننا نعلم علم اليقين ان البطريرك المسكوني ميخائيل كيرولاريوس (الشماع) لم يكن راضياً عن سلوك القائد الحاكم في ايطالية فمنعه مراراً عن تناول لانه سكت عن استعمال الفطير في خدمة القديس في الولايات الايطالية . وتدخل هنريكوس الثالث في شؤون ايطالية فحل في السنة ١٠٤٦ أزمة الباباوات الثلاثة وأجلس اقليمس الثاني على الكرسي الرسولي . ومسح اقليمس الثاني هنريكوس الثالث امبراطوراً على ايطالية وسواها من اقاليم الغرب . وزار الامبراطور جنوبي ايطالية في اوائل السنة ١٠٤٧ فقوى النورمنديين بان اعترف بحقهم الشرعي في الاماكن التي كانوا قد سطوا عليها . فنهج بذلك نهجاً مضرراً بمصالح الروم . وعلى الرغم من تبادل عبارات الصداقة والمودة بين الفسيلفس والامبراطور في السنة ١٠٤٩ فان الفسيلفس لم يرضَ

Cedrenus, G., Synopsis, II, 301-304; Schlumberger, G., op. cil., III, ١
543.

عن سياسة الامبراطور في ايطالية^١.

الانشقاق العظيم : (١٥ تموز ١٠٥٤) ولم تطل مدة البابا اقليمس الثاني ، فانه توفي في السنة ١٠٤٧ . وعاد بندكتوس فاعتصب الكرسي الرسولي واقام عليه ثمانية أشهر . فتدخل هنريكوس الامبراطور وأجلس داماسوس الثاني (١٠٤٨) فمات مسموماً بعد ثلاثة وعشرين يوماً . وعاد بندكتوس فاستولى على الكرسي مرة خامسة . فأرسل الرومانيون وفداً الى هنريكوس فتدخل فأرسل البابا لاوون التاسع (١٠٤٨ - ١٠٥٤) . وهال البابا الجديد انحطاط الكنيسة في الغرب وتأخر احوالها ، فهبّ لاصلاحها ، وعقد المجمع المحلية ، وقطع الاساقفة الذين استعانوا بالمال للوصول الى مراكزهم ، وألغى زواج الاكليروس ، وأصغى الى تدمرات الشعب بنفسه ، وأنتب النورمنديين لقساوتهم وظلمهم . فأحبه الايطاليون وتعلقوا به . واستجار سكان بنفنتوم بالبابا من النورمنديين وطلبوا حمايته ورجوه ان يتولى امورهم . فرأى ان لا بد من اللجوء الى القوة . فعاد الى المانيا ليأتي بالعساكر اللازمة . فأقره هنريكوس الثالث على بنفنتوم . وعاد الى ايطالية على رأس قوة عسكرية فوصل اليها في اوائل السنة ١٠٥٣ . وكان قد حالف أرجيروس الحاكم البيزنطي على شروط نجعلها ، فلما وصل الى ميدان القتال وجد ان ارجيروس كان قد قاتل منفرداً وانه غلب على أمره . فاضطر البابا لاوون ان يقاتل منفرداً ايضاً . فدارت الدائرة عليه عند سفح جبل غرغانو ووقع في الاسر في السابع عشر من حزيران سنة ١٠٥٣ . وبقي مأسوراً في بنفنتوم نفسها حتى اذار السنة ١٠٥٤ ، ثم عاد الى رومة وتوفي فيها في التاسع عشر

Gay, J., *Italie Méridionale*, 475-477; Chalandon, F., *Domination Normande en Italie*, 113-115; Bréhier, L., *Byzance*, 260-261.

من نيسان من هذه السنة نفسها.

وأدى اهتمام لاوون التاسع بالكنيسة واندفاعه في سبيل اصلاحها الى تثبيت السلطة فيها وتدعيمها . وكان يعاونه في هذا الاصلاح رهبان كلوني . وكثر عدد هؤلاء في ايطالية الجنوبية وتسربوا الى المقاطعات البيزنطية والى الابرسيات الخمس التي كانت تابعة لكرسي القسطنطينية . وكان هنريكوس الثالث امبراطور الغرب يعطف كثيراً على هؤلاء الرهبان ويؤيد حركاتهم . وكان هو الذي انتقى البابا لاوون التاسع وأجلسه على كرسي رومة^٢ . وكان كرسي رومة هو الذي نفذ فكرة الامبراطورية الغربية كما سبق ان أشرنا . فكان من الطبيعي جداً ان تنظر القسطنطينية بفيلسوفها وبطيريكها بعين الريب والحذر الى برنامج كلوني ولاوون التاسع فلا تفصلها عن سياسة هنريكوس الامبراطور ومطامعه في ايطالية^٣ .

فكتب البطريرك المسكوني ميخائيل في ايلول سنة ١٠٥٣ بالاشتراك مع لاوون متروبوليت اوخريدة الى رئيس اساقفة تراني (اوترانتو) ينبهه على حفظ التعاليم الارثوذكسية في الابرسيات الخمس التابعة لسلطته فيتجنب استعمال الفطير و صوم السبت واكل الدم والمخنوق . وأوضح له اوجه الخطأ في هذه ، ورغب اليه ان يطلع اساقفة الغرب على موضوع هذه الرسالة وفجواها . فلما وصلت الرسالة الى يوحنا رئيس اساقفة تراني كان عنده الكردينال هومبرت ! فلما وقف الكردينال على رسالة البطريرك المسكوني ترجمها حالاً الى اللاتينية وحملها الى البابا لاوون التاسع .

Fliche et Martin, Hist. de l'Eglise, VII, 98 ff. Gay, J., op. cit., 477-487; ١

Bréhier, L., Byzance, 261-262.

Halphen, L., Essor de l'Europe, 24-26. ٢

Vasiliev, A. A., Byz., Emp. 337-339. ٣

فاجاب لاوون التاسع عن هذه الرسالة برسالة طويلة أوضح فيها رغبته في السلام والوفاق الروحاني ولكنه ضمنها بعض العبارات القاسية وأردفها بنسخة عن منحة قسطنطين Donatio Constantini مبيناً حقه في السلطة على ايطالية وكنائسها وعلى الكنائس الشرقية . ولا يخفى ان منحة قسطنطين هذه وثيقة مزورة لا تمت الى قسطنطين الكبير بصلة وانما دُبرت في رومة في منتصف القرن الثامن لتقوي مطالبة رومة بالسلطة المطلقة على جميع الكنائس . وتزوير هذه الوثيقة أمر مسلم به اليوم في الاوساط الشرقية والغربية .

فامتعض البطريرك والفيلسوف وازدادا تثبتاً من مطامع هنريكوس ولاوون في ممتلكات الروم في ايطالية ومطالبتهما بالسيادة الزمنية والروحية على هذا الجزء من الامبراطورية الشرقية . وعلى الرغم من هذا كله فان الفيلسوف والبطريرك رأيا ان المحافظة على السلام افضل من خرقه لان النورمنديين آنئذ كانوا يهددون جنوبي ايطالية واليونان . فجاوب كل منهما جواباً رقيقاً وطلب الفيلسوف الى البابا ان يرسل وفداً الى القسطنطينية للتفاوض في الوفاق . فأرسل البابا وفداً مؤلفاً من الكردينال هومبرت ورئيس الاساقفة بطرس والكنكيلاريوس فريديركوس . وارسل معهم رسالة الى الفيلسوف ورسالة الى البطريرك . وفي الرسالة الى الفيلسوف ذكر البابا الحُرَاب العظيم الذي لحق بجنوبي ايطالية من جراء اعمال النورمنديين وعلق آماله على مساعدة الفيلسوف والامبراطور . ثم طالب بابرشيات بلغارية وايليرية وايطالية السفلى ، وذكر بسلطة الكرسي الروماني . وفي رسالته الى البطريرك اتهمه بانه رقي الكرسي البطريركي دون ان يرقى

كل الدرجات الكنائسية ، وانه يرغب في اخضاع كرسي انطاكية والاسكندرية ، ووجهه على كتابته ضد بعض ممارسات الكنيسة الرومانية . ووصل الوفد الباباوي الى القسطنطينية ومثل امام الفيلسوف فسلم الكردينال رسالة البابا وأرفقها برسالة منه رد فيها على انتقادات البطريرك ميخائيل وادعى على الكنيسة الارثوذكسية بانها تعيد معمودية اللاتين ولا تعمد الاطفال قبل اليوم الثامن ، وانها تناول الشركة المقدسة بلمعة من ذهب ، وانها تدفن في الارض ما يبقي منها او تحرقه ، وانها لا تناول المؤمنين جسد الرب ودمه كلاً على حدة .

ويستدل من المراجع اليونانية ان الكردينال هومبرت كان ينقصه شيء كثير من اللطف والوداعة والكياسة وانه دخل على البطريرك المسكوني دخولاً فظاً غريباً فلم يحن رأسه له ولم يقدم القبلة السلامية بل دفع اليه برسالة البابا دفعاً وان البطريرك بعد ان اطلع على الرسالة ظن ان لأرجيروس يداً فيها وانها ربما لم تكن صحيحة . وتدل المراجع اليونانية ايضاً على ان البطريرك لم يقطع الشركة مع اعضاء الوفد الباباوي حالاً بل بعد ما رأى من اصرارهم . فرفض مواجعتهم ومنعهم من اقامة الخدمة في ابرشيته وافادهم ان المسألة يجب ان تعرض على الكنيسة الجامعة في مجمع مسكوني .

فطار رشد الكردينال فكتب بالاتفاق مع زميله الآخرين حرماً ضد البطريرك المسكوني وضد كل من يوافقه . وفي الخامس عشر من تموز سنة ١٠٥٤ دخل رجال الوفد الباباوي الى كنيسة الحكمة الالهية واتجهوا نحو الهيكل فدخلوا اليه والقداس قائم ووضعوا الحرم على المذبح تحت الانجيل وبحضور الاكليروس والبطريرك . ثم خرجوا وهم يقولون : الرب يحكم فيما بيننا وبينكم . ولم يحرك البطريرك ساكناً وغض النظر عن التشويش الذي احده الوفد في الكنيسة وسمح لاعضاء الوفد بالخروج . وبعد

خروجهم مكثوا يومين في القسطنطينية ثم سافروا .

ومما جاء في هذا الحرم ما يلي : « فليعلم اننا قد ادركنا هنا من اين لنا فرح كثير بالخير العظيم ومن اين لنا حزن شديد بالشر الجسيم ، لان المدينة بالنسبة الى اركان المملكة وأشرفها ورجالها هي في غاية من الايمان المسيحي ومستقيمة الرأي . ولكن بالنسبة الى ميخائيل المسمى بطريكاً على سبيل المجاز وبالنسبة الى مشاركته في جنونه يُبذَر في وسطها كل يوم مقدار كثير جداً من زؤان الهرطقات لانهم مثل السيمونيين يبيعون موهبة الله ، ومثل الآريوسيين يعيدون تعييد المعمدن ، ومثل الدوناتيين يتشبثون بان كنيسة المسيح والذبيحة الحقيقية والمعمودية فيما عدا كنيسة اليونان قد فقدت في كل العالم ، ومثل النيقولائيين يسمحون لحدام المذبح المقدس بالزيجات اللحمية ، ومثل المقدونيين قطعوا من الدستور انبثاق الروح القدس من الابن .

» ونقول ان ميخائيل المسمى بطريكاً الحديث في الايمان المتقلد اسكيم الرهبنة عن خوف بشري الذي اشتهر عند كثيرين بجرائم فظيعة ومعه لاوون المدعو اسقف اخريس ونيقيفوروس ساكيلاريوس ميخائيل نفسه فليكونوا اناثا ماران آثا (محرومين الرب جاء) .

واما البطريرك المسكوني فانه بعد ان اطلع على ترجمة هذا الحرم اتصل بالفيلسوف قسطنطين التاسع . فأرسل هذا واستدعى الوفد الى القسطنطينية بعد ان رحل عنها بيوم واحد . فعاد الوفد وأصر على ما جاء في الحرم وأبى ان يواجه البطريرك او ان يمثل امام مجمع الكرسي القسطنطيني . فكتب الفيلسوف الى البطريرك المسكوني يقول : « ايها السيد الجزيل القداسة ، ان دولتي قد بحثت في الامر الذي حصل فوجدت أصل الشر ناشئاً من المترجم ومن ارجيوس . أما غرباء الجنس فبما انهم غرباء ومرسلون من آخرين لا نستطيع ان نعمل معهم شيئاً . وأما المسببون

فقد ضربوا ثم أرسلناهم الى قداستك لكي يؤدب بهم آخرون غيرهم حتى لا يرتكبوا مثل هذا الهذيان . أما الورقة فن بعد حرمها هي والذين أشاروا بها والذين أصدروها والذين كتبوها والذين لهم أقل علم بعملهم اياها فلتحرق امام الجميع ، لان دولتي أمرت ان يحبس الفستارشيس صهر ارجيروس وابنه الفيستياربوس في سجن لكي يقيا فيه تحت الشدة . « وعندئذ حرم البطريرك المسكوني الصك المذكور والذين كتبوه والذين يوافقون عليه دون ان يس البابا او احداً غيرهم .

وكتب دومينوس رئيس اساقفة البندقية الى بطرس بطريرك انطاكية (١٠٥٢ - ١٠٥٧) يطلب رأيه في ما جرى وأمضى « بطريرك اكليئية » او البندقية . فلما اخذ بطرس كتابه اجابه جواباً لطيفاً ولفت نظره الى الطريقة التي وقع بها امضاءه فقال : « ما تعلمت ولا سمعت ان رئيس اكليئية يسمى بطريركاً لان النعمة الالهية دبرت ان يكون في كل العالم خمسة بطاركة وهم الروماني والقسطنطيني والاسكندري والانطاكي والاوروشيمني . ومن هؤلاء الخمسة البطريرك الانطاكي وحده يسمى بطريركاً على وجه الحقيقة ، لان الروماني والاسكندري يسميان باباوات ، والقسطنطيني والاوروشيمني رؤساء اساقفة . أو كيف نستطيع ان نقيم بطريركاً سادساً على وجه آخر ما دام الجسد ليست فيه حاسة سادسة . ثم يقول بطرس البطريرك في رسالته هذه : « ان بطريرك القسطنطينية يعرف حق المعرفة انكم ارثوذكسيون وتؤمنون مثلنا بالثالوث الاقدس وبسر التجسد ، ولكنه متكدر من انكم تخالفون في مسألة الفطير وحده فلا تقدمون الذبيحة مثل البطاركة الاربعة وكل الكنيسة » .

وكتب البطريرك الانطاكي الى بطريرك القسطنطينية موجباً السلام

والحجة « لان الغريبين هم ايضاً اخوتنا وان كانوا يخطئون احياناً كثيرة بسبب توحشهم وجهالتهم ، اذ لا يمكن لاحد ان يطلب عند البربر الكمال الذي عندنا نحن الذين منذ نعومة الاظفار نربي في مطالعة الكتب المقدسة ، فيكفيهم ان يحفظوا التعليم القديم في الثالث القدوس وسر التجسد . أما الشر العظيم المستحق الاناثيا فهو زيادة « والابن » في دستور الايمان . »

نهاية العهد : وتوفي قسطنطين التاسع مونوماخوس بعد هذا بقليل في الحادي عشر من كانون الثاني سنة ١٠٥٥ ، فنودي بالعقب الوحيد الباقي من الاسرة المقدونية ثيودورة ابنة قسطنطين الثامن الصغرى . وكانت قد قضت معظم حياتها في الدير فنشأت تقية فظة بقدر ما كانت اختها زوية متيماً بالحب . ورأى البطريك المسكوني ان تزوج فتشرك معها في الحكم من كان أهلاً لذلك لاسيا وانها كانت قد ناهزت السبعين . ولكن الحُصيان حولها رأوا غير ذلك ابقاءً للسلطة في يدهم . وغلب البطريك على أمره وحكمت ثيودورة وحدها ومارست السلطة فاستقبلت السفراء وعينت بالقوانين ووزعت العدل . وخصت الحُصيان بمراتب الدولة العليا فأقضت مستشاري قسطنطين التاسع واكتفت بأراء هؤلاء ونصائحهم . فتقاومها العسكريون واعوانهم وتفاقم الشر . وفي صيف السنة ١٠٥٧ أشرفت الفسيلسة على الموت . فهرع الحُصيان يستدركون دوام النعمة بتعيين من يركنون اليه قبل وفاة ثيودورة . فصرحت هذه وهي على فراش الموت بانها اتخذت ميخائيل استراتيوتيكوس Stratoticus

Patrologia Latina, CXLIII, 1004; Labedev, A. P., Separation of The Churches; Bréhier, L., Le Schisme Oriental du XI Siècle; Gay, J., Les Papes du XI Siècle; Jugie, M., Le Schisme de Michel Cerulaire, Echos d'Orient, 1937, 440-473.

جراسيموس ، متروبوليت بيروت ، الانشقاق ، ج ٢ ، ص ٧٧ - ١٠٧ .

خليفة لها . وتبنته قبل وفاتها . وماتت في الثلاثين من آب سنة ١٠٥٧
فاضطر البطريك ان يتوجه فيسلفساً .

ودام حكم ميخائيل السادس سنة وعشرة ايام . واشتد في اثنائه النزاع
بين العسكريين والحصيات . فكان شغل الزعماء العسكريين الشاغل تحقير
الفسيفس ومعاندته . اما هو فقد كان يرد مطالبهم بانتظام . وتفجر الحصار
يوم عيد الفصح في الثلاثين من آذار سنة ١٠٥٨ عندما طالب الزعماء
العسكريون بالحقوق المهضومة ، فنفر الفسيفس منهم واشتد في القول .
وكانت مؤامرة وكان اصطدام عند نيقيه في العشرين من آب سنة ١٠٥٨ .
وتدخل البطريك المسكوني فأرسل وفداً من المطارنة يشيرون على
ميخائيل السادس بالتنازل . فسأل الفسيفس المطارنة ماذا تعطونني بدل
المملكة . فقالوا نعطيك ملكوت السموات . فرمى شعار الملك وترك
البلاط والتجأ الى الدير . وتوفي بعد ذلك بقليل^١ .

ولم يحسن الحصيان السياسة الخارجية فدخلت الدولة في منازعات متعبة
مزعجة . ومثال ذلك ان قسطنطين التاسع كان قد حافظ على اواصر
الصدقة بينه وبين الخليفة الفاطمي المستنصر ليتسنى له شيء من حرية العمل
في جميع جهات الدولة . فجاءت ثيودورة تستبدل هذه الصدقة بحلف
يربط الدولتين . فأبى المستنصر ، فمنعت ثيودورة تصدير الحبوب الى مصر
وسوريا ، فمنع المستنصر دخول الحجاج الى المدينة المقدسة وأمر باضطهاد
النصارى^٢ . وكان طغرل بك قد أصبح زعيم بغداد بلا منازع فتطلب
ان يذكر اسمه في خطبة المسجد في القسطنطينية بدلاً من اسم الخليفة

Cedrenus, G, Synopsis, II, 319-311, 341-352, 365-368 ; Schlumberger, G., ١
op. cit., III, 742, 754-756, 763-778, 785-786, 798-814.

Wustenfled, Gesch. der Fatimiden Kalifen, 250.

الفاطمي^١.

فأدى هذا كله الى التعاون مع هنريكوس الثالث وعقد تحالف بين

الامبراطوريتين^٢.

Dolger, F., op. cit., 929 ; Diehl et Marçais, Monde Oriental, 573 574. ١

Dolger, F., op. cit., 930. ٢

الفصل السادس والعشرون

اسس الدولة ونظامها في القرنين العاشر والحادي عشر

المسيح هو الملك : وتنصرت الحكومة وفاخرت بنصرانيتها واعتزت بها . وأصبح السيد في نظر الحكومة والشعب هو الملك . وأصبح الانجيل دستور الدولة . فكنت اذا قصدت القصر الملكي وذهبت اليه ماشياً متريثاً تقرأ على جدران بعض البنايات المعموية العبارة « المسيح الفسيلفس » او « المسيح الامبراطور » . وقد تسمع وانت في طريقك الى القصر جماعات يرتلون . فاذا ما اقتربوا منك وجدتهم جنوداً حاملين الصليب عالياً هاتفين : « المسيح المنتصر » . واذا ما وصلت الى مداخل القصر وجدت فوق العتبة ايقونة مقدسة تمثل المسيح مرتدياً لباس الملك متوجاً . واذا ما تابعت السير وصرت الى داخل القصر ظننت انك في كنيسة لا في قصر ملكي . فمن ايقونة للعدراء والدة الاله حامية العاصمة ، الى ذخيرة تضم عود الصليب ، الى ايقونة عجائبية تمثل السيد مصلوباً كان قد ظفر بها يوحنا جيمسكي في اثناء مروره في بيروت ، الى زاوية مكرمة تحفظ حذاء السيد الذي وجده يوحنا هذا في جبيل ، الى المنديل الذي كان لا يزال يحمل رسم وجه السيد وقد احتفظت به الرها اكثر من تسعة قرون . وقد تقف قليلاً متأملاً مصلياً ، فيدخل القاعة رئيس اساقفة تتبعه حاشيته وقد جاء خصيصاً لتكريم هذه الآثار وتجديد تكريس المكان . وقد

تكون احد اعضاء الوفود العربية المفاوضة في تبادل الاسرى فيفتح لك
الدخول الى قاعة العرش . فتجد العرش عرشين احدهما عليه الانجيل
المتقدس وهو عرش المسيح الملك والثاني لنائبه على الارض الفسيلفس .
فاذا قابلت العرش الاول او مررت من امامه رسمت شارة الصليب
وانحنيت . وقد تكون احد القضاة الزائرين فيدفعك اهتمامك بالقضاء الى
الوقوف في المحكمة العليا لاستماع المرافعة وصدور الاحكام فتذكر هناك
ايضاً بان الملك للسيد المسيح ، فالتقوانين والاحكام تستهل « باسم سيدنا يسوع
المسيح » . وقد تكون تاجراً فتضطر ك الظروف الى زيارة احد المصارف
لتقبض تحويلاً مالياً معيناً ، فتشقى الدراهم والدنانير فتجد رسم السيد المسيح
على احد الوجوهين^١ .

الفسيلفس نائب المسيح : ولما كان الملك الحقيقي روحاً غير منظور
أصبح الملك المموس رمزاً الملك السيد ونائبه على الارض : ثوبه ثوب
الايقونات ، وتاجه وصورجانه مشرفان بالصليب المتقدس . ولما كانت ثيابه
هذه هبة ربانية حملها الملائكة الى قسطنطين الكبير أصبح المحل الوحيد
اللائق بحفظها هو الكنيسة . وامسى قصر الفسيلفس من حيث التخطيط
وهندسة البناء وتزيين الزوايا والقبب والجدران اشبه بالكنيسة من اي
بناء آخر . وأمست ابواب قاعة العرش تفتح وتغلق في اوقات معينة
كابواب الايقونسطاس في الكنيسة . وقام العرش في حنية تشبه حنية
الميكل . وقضت هذه الصلة بين الفسيلفس وبين السيد الروح غير المنظور
ان يظهر الفسيلفس ظهوراً على عرشه في الاستقبالات الرسمية دون اي
كلام او تبادل افكار . وتغرد الطيور الذهبية وتزأر الاسود المصطنعة ويسجد
الحاضرون ثلاث سجدة . وما هي الا لحظة حتى يرتفع الفسيلفس بعرضه

Guerdan, R., *Vie, Grandeurs et Misères de Byzance*, 1-5.

نحو السماء فيختفي . واذا قضت الظروف بان يستقبل الفسيلفس في باسيلكة
المنيورة جلس على عرشه الذهبي صامتاً مسبل الجفنين . فاذا ما رغب في شيء
رفع جفنيه ونظر الى رئيس الحصيان . فتصدر اشارة عن هذا فيتم تنفيذ
الامر الصادر دون كلام . وتنتهي المقابلة عندما يرسم الفسيلفس شارة الصليب
فيخرج الزائرون متراجعين خاشعين . وقضت نيابة المسيح على الفسيلفس بان
يشترك مع البطريك في ممارسة بعض الطقوس الدينية . فيخرج الاثنان
الى الشوارع بسحابة من البخور وموكب كبير . ويركب البطريك
حملاً ابيض ويمطي الفسيلفس جواداً عربياً ، فيزوران في كل يوم جمعة
كنيسة السيدة حامية العاصمة . وفي يوم الخميس الكبير يتفقدان العجزة في
المآوى فيغسل الفسيلفس ارجل هؤلاء ويقبلها مذكراً بعمل السيد قبل
الصلب^١ .

ومما جاء في كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته (٩٠٣) انه اذا خرج
الفسيلفس الى كنيسة الحكمة الالهية مشى امامه « اثنا عشر » بطريقاً
وحمل هو بيده حقاً من ذهب فيه تراب . فاذا مشى خطوتين وقف ونظر الى
التراب وقبّله وبكى . وما يزال يسير كذلك حتى ينتهي الى باب الكنيسة ، فيقدم
رجل شيخ طشتاً وازيقاً من ذهب . فيغسل الفسيلفس يده ويقول لوزيره :
اني بريء من دماء الناس كلهم . ويخلع ثيابه التي عليه على وزيره ويأخذ
دواة بيلاطس ويجعلها في رقبة الوزير ويقول له : دن بالحق كما دان
بيلاطس^٢ .

واذا دخل الفسيلفس الكنيسة ليصلي استوى على عرش خاص وأعتبر
ممسوحاً من الله لينوب عن المسيح في الارض . واستحق التناول بيده من المائدة

Guerdan, R., op. cit., 4-7.

١
٢ ابن رسته ، ص ١٢٣ - ١٢٦ .

المقدسة . ولكنه لم يرثس الكنيسة كما توهم البعض .
وكان على الفيلسوف ان يراعي هذا التقليد في حياته الخاصة ايضاً .
فكان كلما انتهى من الطعام كسر الخبز وشرب الخمر . واذا ما جلس
الى المائدة ، جلس حواليه اثنا عشر شخصاً . وعند كثرة الضيوف كانت
تقام اثنتا عشرة مائدة . وفي ليلة عيد الميلاد ، كان عليه ان يدعو أفقر
الفقراء لتناول الطعام معه . فالكل اخوان في المسيح . وكان يضيء غرفة
نومه صليباً أخضر وعدد من الكواكب . وكان يطل عليه من فسيفساء
الجدران باسيلوس الاول المقدوني وعائلته وفي ايديهم الانجيل !
ولما كان الفيلسوف نائب المسيح على الارض كانت ارادته مطلقة
وكان الشعب عباده . وكان هو مصدر جميع السلطات التنفيذية والتشريعية
والقضائية . فهو يعين الوزراء ويعزلهم ، ويسن الشرائع ويلغيها ، ويوافق
على انتخاب البطريرك المسكوني ويعزله اذا شاء . وكانت سلطته بطبيعة
الحال مسكونية تشمل العالم بأسره فلا تقف عند حد من الحدود ولا
يعترض عليها معترض . وأصبح البطريرك الجالس الى يمينه الثاني بعده في
الدولة بطريكاً مسكونياً ايضاً له حق التقدم على سائر البطاركة بعد
بطريك رومة .

وضاقت لا بل نضاءت صلاحيات مجلس الشيوخ مصدر السلطة في
رومة القديمة ، فأضحى في هذين القرنين متفرجاً يشاهد الحوادث الجسام
دون ان يشترك فيها . وأمسى الشعب بعيداً عن المشاورة ، وبات الزرق
والخضر في جملة المتفرجين لا مجالس لهم ولا صلاحيات . واستبدلوا
اهازيج القتال بتراويل الصلاة ، يأترون باشارة الموسيقى بدلاً من سيف
القائد المغوار .

البطريك المسكوني : وجارت الكنيسة الدولة في نظمها واحكامها ،
فكانت كنيسة واحدة جامعة كما كانت الامبراطورية واحدة جامعة .

وكما جاز للامبراطورية ان يكون لها امبراطوران في آن واحد ، كذلك جاز للكنيسة ان تخضع لاكثر من رأس واحد^١. وتقبل الجمع المسكوني الثاني (٣٨١) هذه النظرية فأوجب في قانونه الثاني على الاساقفة الا يتعدى احدهم على الكنائس التي تقع خارج حدود ابرشيته . وأقر في قانونه الثالث ان يكون التقدم في الكرامة لاسقف القسطنطينية بعد اسقف رومة « لكونها رومة الجديدة^٢ » . ثم أقر الجمع المسكوني الرابع في قانونه الثامن والعشرين هذا التقدم في الكرامة لبطريك القسطنطينية بعد بطريك رومة^٣. وجاء يوستينانوس الكبير يشترع فتعرف الى بطاركة خمسة في امبراطوريته : بطاركة رومة والقسطنطينية والاسكندرية وانطاكية واوروشليم ، واعتبرهم اساس النظام والسلطة في الكنيسة^٤.

وكان هذا البطريرك في بادىء الامر ينتخب انتخاباً . وكان الشعب يشاطر الاكليروس حق الانتخاب . ثم قضى قانون يوستينايوس الكبير بان ينتخب الاكليروس ووجهاء العاصمة ثلاثة ، فينتقي الاسقف المشرطن افضل هؤلاء للسدة البطريركية^٥. ثم حرّم المجمعان المسكونيان النيقاوي (٧٨٧) والقسطنطيني (٨٧٠) سيامة بطريك ينفرد امير بانتيقائه ، كما حرّم ما تدخل الشعب في الانتخاب . وأصبح انتخاب البطريرك بعد هذا محصوراً في مطارنة الكرسي . وجاء في كتاب التشريعات لقسطنطين السابع (٩١٢-٩٥٩) ان المطارنة ينتخبون ثلاثة ينتقي الفيلسفس احدهم . وبقي الحال على هذا

Bréhier, L., *Inst. Emp. Byz.*, 447.

Mansi, *Amplissima Collectio Conciliorum*, III, 559.

Mansi, *Amplissima*, VII, 428-429.

Lingenthal, *Novelles de Justinien*, 109, 123, 131.

Lingenthal, *op. cit.*, 174.

المنوال حتى آخر ايام الامبراطورية : المجمع ينتخب والفيلسفس يرقى^١.
وبعد هذا كان الفيلسفس يدعو اعضاء مجلس الشيوخ والمطارنة وعدداً
كبيراً من رجال الاكليروس الى القصر ليقول : « ان النعمة الالهية
وقدرتنا المستمدة منها تعلنان ترقية فلان الى رتبة بطريك القسطنطينية » .
ويظهر البطريرك ليتقبل تهاني الشيوخ والمطارنة . ثم يصار الى رسامته
بطريكاً في الاحد التالي في كنيسة الحكمة الالهية . فيترأس حفلة الرسامة
رئيس اساقفة هرقلية . ويقدم له الفيلسفس العكاز والمنذية الارجوانية
والصليب^٢. ويدعى بعد هذا صاحب القداسة ويخطبه المطارنة بالعبارة :
« ايها السيد الفائق القداسة » ، ويوقع هكذا : « بنعمة الله رئيس اساقفة
القسطنطينية رومة الجديدة وبطريرك المسكونة^٣ » . وقد سبق وأشارنا ان
لقب بطريك المسكونة ظهر في شرائع يوستينيانوس ، وان رومة لم تعترض
عليه قبل ايام البابا بلاجيوس الثاني وغريغوريوس الكبير ، وان المجمع
الخامس السادس أقره على الرغم من اعتراض رومة واحتجاجها^٤.

وكان البطريرك بموجب نص الاباناغوغ (٨٨٤ - ٨٨٦) صورة المسيح
على الارض وراعي نفوس المؤمنين وحمي العقيدة . وكان ايضاً صاحب
السلطة الروحية العليا . ولذا احيط بهالة من الاحترام فلا تمس كرامته
ولا يعتدى عليه . ولما كانت الدولة والكنيسة متحدتين متفتحتين كان
للمتنام البطريركي نفوذ كبير في شؤون الدولة ، فأصبح لازماً عليه اذاً ان

Pa'rologia Graeca, CXII, 1040-1048.

١

Patrologia Graeca, CLV, 441-444.

٢

*Patrologia Graeca, CVII, 403, 415-416; Laurent, Byzantion, 1929, 3
629-631.*

*Vailhe, S., Titre de Patriarche Oecumenique, Echos d'Orient, 1908, 4
65-69.*

يعاون الفيلسوف في ادارة دفة الامور . فكانت الاوامر العليا والبيانات تصدر ، في بعض الظروف الهامة ، باسم الاثنين معاً . ولا يغيب عن البال انه كان على الفيلسوف ان يتسلم تاجه من يد البطريرك وفي الكنيسة وان يعلن موقفه من بعض الشؤون الهامة الى البطريرك قبل التتويج . وكان لا يتم تتويج بدونه لان الفيلسوف الحقيقي كان في عرف الشعب المسيح نفسه كما سبق ان أشرنا . وكان للبطريرك على الفيلسوف سلطة روحية . فهو عراب الامراء ابناء الفيلسوف ، وهو الذي يعلن شرعية ولادتهم ، وهو الذي يعقد زواج الفيلسوف والامراء^١ .

الفيلسوف والكنيسة : وقال الروم بان الدولة والكنيسة شخص واحد يديره الفيلسوف والبطريرك ، وان الاول يتسلط على الجسم والثاني على الروح ، وانه لا دولة بدون كنيسة ولا كنيسة بدون دولة^٢ . ولا يخفى ان الآباء الاولين رأوا في شخص قسطنطين الكبير الداعي الاكبر للصرانية فمنحوه لقب « المساوي للرسل » Isapostolos وان احداً من خلفائه المسيحيين لم يتنازل عن هذه المنحة وان اساقفة الجامع المسكونية نادوا مراراً بالفيلسوف حبراً أعظم Pontifex Maximus لانهم رأوا فيه ابناً روحياً اعلى واكبر من المؤمنين العاديين . ومن هنا في الارجح نشأت هذه الامتيازات الروحية التي تمتع بها ملوك الروم في داخل الكنيسة كمنح ولي العهد الكليل الاكليروس ، والسماح للفيلسوف بالدفاع في اثناء مسحه فيلوسافاً كأنه شماس ، ودخوله الى الهيكل من الباب الملوكي وتناوله الذبيحة بيده عن المائدة^٣ .

Dolger, F., Regesten, 823; Grummel, R. P., Regestes des Actes du ١ Patriarcat Byzantin, I, 830; Schlumberger, G., Epopée, III, 60.

Epanagoge, II-III; Tretinger, O., Die Ostromische Kaiser und ٢ Reichsidee, 158-159.

Bréhier, L., Institutions, 432.

وأدّى هذا التمسك الشديد بالنصرانية والتعصب لها الى انقسامات وتحزبات آلت في بعض الاحيان الى العنف والاخلال بالامن . واضطر الفيلسوف ان يتخذ موقفاً معيناً من بعض العقائد الدينية فكان يلجأ عادة الى دعوة المجامع المحلية والمسكونية فيرعاها بعنايته وينفذ مقرراتها . وكان في بعض الاحيان يفرض الحل فرضاً . فاما ان يؤيد هذا الفريق او ذاك او ان يقترح حلاً لا يرضي هذا او ذاك كما فعل هرقل عندهما اقترح القول بالمشيئة الواحدة^١.

وكان على الفيلسوف ايضاً ان يتدخل في شؤون الكنيسة للمحافظة على نظامها ، وتنفيذ قرارات مجامعها واصحاب السلطة فيها . ففرض احد قوانين يوستينيانوس الكبير (٥٣٥) بان يحافظ على شرف الكهنوت فيقول كلمته في انتقاء الكهنة والاساقفة^٢. وقال بعض كبار رجال الناموس بوجود ترأس الفيلسوف للمجامع ووجوب اشرافه على تنفيذ مقرراتها وتدخله لضبط سلوك الكهنة وللتثبت من صحة احكام الاساقفة^٣.

وكان للفيلسوف ايضاً ان يتدخل فيقرر بعض الاعياد الكنائسية الرسمية . فيوستينيانوس الاول (٥١٨ - ٥٢٧) هو الذي عمم الاحتفال بعيد الميلاد في الخامس والعشرين من كانون الاول . ويوستينيانوس الكبير هو الذي ثبت عيد دخول المسيح الى الهيكل في الثاني من شباط^٤. وموريقيوس (٥٨٢ - ٦٠٢) هو الذي قرر الخامس عشر من آب عيداً

Bréhier, L., Institutions, 432-435.

١

Lingenthal, Z., Nov. Just., 16 Mars, 535.

٢

Jus Craeco - Romanum, V, Responsio II; Patrologia Graeca, ٣ Balsamon, 93.

Pargoire, Eglise Byzantine, 114; Leclercq, H., Dict. d'Arch. Chrét., ٤ XII, 910-916, XIV, 1720.

لانتقال العذراء^١. ويعود الفضل في الاحتفاء بعيد النبي الياس في العشرين من تموز الى باسيليوس الاول (٨٦٧ - ٨٨٦) فانه كان شديد التعلق به والتوسل اليه^٢. وفي السنة ١١٦٦ تدخل الفيلسوف عمانوئيل كومنينوس فجعل الاعياد الكنائسية انواعاً منها ما تجب البطالة فيه طوال النهار، ومنها ما تنتهي البطالة فيه عند الانتهاء من خدمة القديس^٣.

الانجيل دستور الدولة: وقضت هذه الفلسفة الدينية السياسية بان يُعترف بقدسية الانجيل الطاهر ووجوب تطبيق احكامه. فأصبحت دولة الروم ديموقراطية في تساوي ابناءها، مطلقة مستبدة في تنفيذ مبادئ الانجيل واحكامه. فلم يبقَ فيها اي تفوق نظري لطبقة على سواها. وأصبح بإمكان اوضع الرجال ان يتسّم اعلى المراتب. أولم يكن لاوون الاول لحاماً، ويوستينوس الاول راعياً للخنازير، وفوقاس قائد مئة، ولاوون الثالث شحاذاً متسولاً، وباسيليوس الاول فلاحاً، ورومانوس ليكابينوس افثاقاً؟ أولم يُنعت قسطنطين الخامس بالزبلي، وميخائيل الثالث بالسكير، وميخائيل الخامس بالقلقاط اي نقال البضائع؟ والفيلسفات ألم تكن احداهن خزرية، واخرى مغنية، وغيرها مروضة للدببة او عمومية؟ أولم يكن عدد كبير منهن بنات موظفين عاديين؟

وترفع الفيلسفس، عملاً بتعاليم الانجيل، عن الشموخ والتكبر فدعا الى مائدته البؤساء والمتشردين. وفتح بابه لجميع الرعايا من عباد الله يلجونه اني ساؤوا. ومما يروى عن ثيوفيلوس الفيلسفس انه خرج في يوم احد من الآحاد في موكب رسمي ممتطياً جواداً. فاعترضت سميله بأعنة سمك

Dolger, F., Regesten, 147.

Theophanes Continuatus, V, 8.

Dolger, F., Regesten, 1466.

وامسكت بمقود الجواد وقالت : « هو لي وقد صدره احد عمالك
فاعده اليّ » . فنزل ثيوفيلوس عن ظهر الجواد وقدمه لها . وتابع سيره
مشياً على الاقدام ! وشخص امامه في الملعب مهرّجان وهزّ كلُّ منهما
قارباً صغيراً بيده وقال احدهما للآخر : أبلغني هذا القارب . فقال الآخر :
ابداً لا يمكنني ذلك . فقال الاول : وكيف ؟ أو لم يبلع مدبر القصر
مركباً بكامله محملاً بضائع ؟ فأدرك الفيلسوف معنى التلميح واستدعى المدعى
عليه وقابله بالمدعين . وظهر له الحق . فأمر بحرق الجاني ببيزته الرسمية في
الهيبيذروم .

واشتدت عناية الفيلسوف والبطريك وغيرهما بالمرضى والمصابين والعجز .
فكثرت المآوى والمياتم ولاسيما المستشفيات . فانشأ الكسيوس كومنينوس
(١٠٨١-١١١٨) مؤسسة خيرية اشتملت على ميم ومآوى للعميان ، ومستشفيات
متنقلة للجيش ، وآوت في وقت من اوقاتها سبعة آلاف شخص . وأشهر
هذه المؤسسات دير الاله القوي Pantocrator الذي انشأه يوحنا كومنينوس
(١١١٨ - ١١٤٣) في عاصمة ملكه ، وفيه مستشفى للرجال ، وآخر
للنساء ، وثالث للأمراض المعدية . وقد خص كل مريض بغرفة مؤثثة
بسرير نظيف وفراش ووسادة وحاف ومشط واسفنجة ومغطس وسطل
ومناشف اربع وقيص ، ويبلغ من المال يوم عيد الفصح يتمكن به
المريض من شراء ما يلزمه من الصابون . وكان يمرّ المفتشون في كل
صباح على المرضى يصغون لتذمراتهم ويسألونهم عن الطعام . وكان بين
وسائل الراحة طريقة خاصة للتدفئة . وكان يؤم المستشفى لمعالجة المرضى
طبيب استاذ ورهط من طلبة الطب وعقاقيري . وكان يفاخر الاستاذ
الطبيب بطريقته الخاصة في تنظيف ادوات الجراحة وتطهيرها .

Oeconomus, L., Les Oeuvres d'Assistance et les Hopitaux Byzantins ;
Codellas, S., The Pantocrator, Bull. of Hist. of Medicine, 1942, 392-410.

وساوت نصرانية الدولة بين الرجل والمرأة فكان للنساء شأن كبير في الحياة الاجتماعية ولاسيما بعد الزواج . وشاطرن ازواجهن السلطة في كثير من الاحيان . ولم يتناول الطعام ذيخانس اكريتاس قبل حضور والدته . وقاسى تورمارخوس بزية نقداً شديداً وأعتبر مسيحياً مقصراً لانه حبس زوجته في خدر الحريم يوم الاستقبال . وتكنى الاولاد في بعض الاحيان بامهاتهم فعائلة دلسانة تحدثت من اب اسمه شارون . ولكن والدتهم حنة دلسانة فاقت زوجها شهرة واحتراماً . ومن هنا هذه الصعوبة التي يعانها العلماء عندما يعنون بالانساب البيزنطية . وقضى العرف بان يتظاهر الوالد بمشاركة الام باوجاع الولادة ان هو رغب في ان يسيطر على المولود فيما بعد!

واهم من هذا وذاك في التدليل على تحرر المرأة عند الروم حقوق الفيلسفة زوجة الفيلسوف . فانها شاركت زوجها حق السيادة والسلطة ونيابة المسيح على الارض ، وسبقته الى تقبل طاعة الشعب وولائه . فالسجود وتعفير الرؤوس بالتراب وتقديم الاعلام كانت لها وحدها قبل ان تكون للفيلسوف . وكان الشعب لدى خروجها من الكنيسة يهتف لها وحدها : « اهلاً بالاوغسطة المنتقاة من الله ، اهلاً بالاوغسطة المحيية من الله ، اهلاً بلابسة الارجوان ، اهلاً بمحبوبة الكل » . وقضى العرف بان تشترك في جميع المآدب وجميع الحفلات في القصر ، وان تطل على الشعب في الحفلات العمومية . وكانت لها موازنة خاصة تتصرف بها كيف تشاء ودون استئذان الفيلسوف . وما يروى من هذا القبيل ان ثيوفيلوس الفيلسوف رأى يوماً من نافذة القصر مركباً تجارياً فحماً يدخل الميناء . فهب لساعته الى المرفأ ليتفرج على السفينة . ولدى وصوله اليها سأل عن صاحبها فقبل له

هي الفيلسفة ! وكانت هذه السفينة محملة بضائع ثمينة استقدمتها الفيلسفة
للاتجار بها . وأبجح وأغرب وأدل على مكانة الفيلسفة وحريتها واستقلالها
ان ثيودورة زوجه يوستينانوس الكبير كانت تميل الى القول بالطبيعية
الواحدة فأجلست على كرسي القسطنطينية انثيموس الشهير . ثم قضت الظروف
السياسية بعزله ونفيه فاختمى . وبعد التفتيش الدقيق عنه ظُنَّ انه توفي .
وبعد اثنتي عشرة سنة توفيت ثيودورة . ودخل يوستينانوس الى خدرها
فالتقى البطريرك المعزول في خدر زوجته حياً صحيحاً . وتوفي زينون
الفيلسفس ، فلم تبكه ارملة في خدرها بل انتقلت فوراً الى القصر ثم الى
الهيودروم وقامت تخطب في الشعب . فقالت ان مجلس الشيوخ والمجلس
الملكي الاعلى سيجتمعان برئاسة للنظر في الولاية وستعاونان مع الجيش
لانتقاء خلف صالح . ثم عادت الى الخطابة فقالت انها ستعنى هي بذلك !
فهتف الشعب موافقاً مؤكداً انها هي صاحبة السيادة والامبراطورية^٢ .

والواقع هو ان هذه الديموقراطية البيزنطية لم تكن في اي وقت من
الاقوات وليدة نضح سياسي او فلسفي ، ولكنها تأتت بطبيعة الحال
عن تقبل الانجيل واتخاذ دستوراً للدولة . فالدافع نفسه الذي جعل من
الفيلسفس نائباً للمسيح على الارض أدى الى السعي لجعل المجتمع الارضي
مماثلاً بقدر المستطاع للمجتمع الرباني . ومن هنا ايضاً هذه القسوة في
العقوبات : في قطع يدي التاجر المزور ، وزج الحياض الذي تقاضى اكثر مما
سمح به القانون في الفرن نفسه الذي كان يخبز فيه عجينه ، وحرق المدرس
المرثسي حياً في الهيودروم . فالقانون الهني في مصدره والخروج عليه
خطيئة تستوجب نار جهنم !

Guerdan, R, op. cit., 27- 28.

Bury, J. B., Later Rom. Emp., I, 429-432.

الدولة ومن لا يدينون بالنصرانية : وهؤلاء واحد من اثنين اما يهودي يصر على تهوده فيستحق الازلال والتضييق او غير يهودي يجب اجتذابه وهديه . وكان اليهود قلة لا يتجاوز عددهم الخمسة عشر الفاً . ولم يكونوا من طبقة الاغنياء . ولكنهم كانوا مصرين على تهودهم مستمسكين به . فاعتبرهم الروم احفاد اولئك الذين صلبوا السيد واضطهدوا الرسل والآباء والشهداء ، فحجبوا عنهم الثقة وانزلوا بهم الواناً من الذل والهوان . فلم تسمع لهم دعوى او شهادة على مسيحي ، ولم يقبلوا في وظائف الدولة . وحرّم عليهم الاتجار بالرقيق ، وتملك الاراضي المقدسة ، ودخول الحمامات العمومية . ووجبت عليهم ضريبة خاصة دفعوها صاغرين . وحرّم على اطبايهم ركوب الخيل وختن الاطفال النصراري ، واستحقوا الموت ان فعلوا . ومن تنصّر منهم ثم ارتد ارتكب جرماً كبيراً .

واما التجار والاسرى من المسلمين المقيمين في هذه الدولة المسيحية فانهم كانوا احراراً طلقاء يتمتعون بقسط وافر من الحقوق المدنية والاجتماعية . وكان لهم في عاصمة الدولة مسجد يقيمون فيه الصلاة كأنهم في بلادهم . وكان شغل الروم الشاغل اقناع هؤلاء بتقبل الدين المسيحي . فالسلطات صارحت امير اقريطش الاسير انه اذا تنصّر أصبح فور تنصره عضواً في مجلس الشيوخ . ولكنه لم يفعل . وقبل ابنه النصرانية فرقي المراتب العسكرية بسرعة وقاد الروم الى النصر اكثر من مرة .

الادارة : وبقيت الادارة المركزية رومانية لاتينية في جوهرها والقباه حتى نهاية القرن السادس . فكان يحيط بالامبراطور الشرقي عدد قليل من كبار الموظفين يحملون القاب الرومانيين القدماء . ثم تمشقت الدولة فكثرت الوظائف وكثر عدد الكبار في الدولة وقلت صلاحياتهم

وصفرت ادوارهم وأمست القابهم يونانية .

وأصبح عظماء الدولة في القرنين العاشر والحادي عشر القيصر والشريف
Nobilissimus ، ومارشال القصر Curopalates . وجاء بعد هؤلاء افراد
الاسرة المالكة كل بلقبه ، ثم ثمانية من كبار الحُصيان يتوعمهم الحاجب
الاعظم Parakoimumenos . وأدار دفة الحكم خارج القصر اربعة وزراء
حمل كل منهم لقب لوغوثيرت Logothetes . وكان أعظم هؤلاء لوغوثيرت
الذروموس ويده الامور الداخلية والخارجية وكان يدعى اللوغوثيرت
الاعظم . وجاء بعده لوغوثيرت المالية ، ولوغوثيرت الجيش ، فلوغوثيرت
الخاصة الملكية . وكان هنالك محاسب عام يدعى السكيلاريوس Sakillarios
ووزير عدل يحمل اللقب اللاتيني القديم الكوايستور Quaestor . وخضع
الجنود للذوميستيكوس الاعظم Domesticus ، والبجارة للذرونغار الاعظم
Drungarius . وكان يرئس حكومة العاصمة ابارخوس Eparchus ، ويدير
كل ثيمة من الثيمات الثلاثين استراتيجوس عسكري Strategos^١ .

الاحزاب السياسية : واختلفت الآراء في لاهوت السيد وناسوته وفي
العدراء وتباينت ، فانقسم رجال الدين والشعب احزاباً وتخاصموا . فمنهم
من قال بخلق الابن في الثالث ، ومنهم من قال بمساواته للآب في
الجوهر ، ومنهم من قال بالطبيعة الواحدة ، ومنهم من قال بالطبيعتين ،
ومنهم من قال بالمشيئة الواحدة ، ومنهم من قال بالمشيئتين ، ومنهم من
كرّم الايقونات ، ومنهم من حرّمها ، وما الى ذلك من اختلافات
لاهوتية نشأت عن هذه المحاولة الاساسية لجعل الدولة تتفق قدر المستطاع
والوضع الذي يريده لها السيد المخلص ملكها وراعياها . وهكذا فانك

Bury, J.B., *The Emperial Adm. System*; Benesevic, *Die Byz. Ranglisten* ١
Nach dem *Kletorologion Philothei*; Bréhier, L., *Institutions*, 89-165.

كنت ترى وتسمع الجدل في اللاهوت أنى وجدت ، ان في الحانات
والحجرات ، او في الملاهي والملاعب ، او في المشاغل والمصانع ، او في القصور
والمجالس ، او في الاديرة والكنائس . فالليزني لم يكن ذاك التقى الضجور
الذي لا يرى في هذه الدنيا الا حياة فانية يتبرم بطولها وينتظر نهايتها
للتخلص من متاعها ومشكلاتها ، وانما كان تقياً متحمساً مندفعاً في سبيل
تطبيق الدين القويم قدر المستطاع ليوث ملكوت السموات .

نزاع الطبقات : والغريب المستغرب الا يكون هذا الاستمساك
الشديد بالانجيل قد اثر في نفوس الافراد . فهذه الدولة المسيحية المتطرفة
في مسيحيتها عانت نزاعاً شديداً وغيظاً متطيراً وحقداً ضغوناً بين الفقراء
والاغنياء . ولم يدر هذا النزاع ، كما هي الحالة بيننا اليوم ، على مثال اعلى
يعترف بصحة الطرفين ويحاول كل منهما ان يقنع الآخر بان الوصول
اليه هو عن هذه الطريق لا تلك . وانما كان نزاعاً فجأ حاول فيه
القوي ان يتلع الضعيف ابتلاءً . ولم يقم هذا النزاع في المصانع وبين
المداحن ، وانما دارت رحاه في الحقول الباسمة والمراعي الضاحكة في الريف
لا في المدن . فالمزارع الصغير كان يقاسي الامرّين من الحروب الطاحنة
والغزوات الحاربة والضرائب الفادحة والوسائل الزراعية العاشمة . وكان
جاره الكبير الطامع كبيراً في المال والجاه والنفوذ . وما زاد في الطين بلة
ان العرف السياسي في الدولة قضى بان يتربع المزارع الكبير على كراسي
الحكم وان يسعى كل موظف كبير الى استملاك الاراضي .

وأدى هذا التكالب على المراعي والمزارع الى الغش والحداع . فقد
يعرض مزارع كبير على جار فقير استكراء ارضه لقاء مبلغ معين من
المال يغريه به . فيقبل الفقير وتم الصفقة ثم يمتنع المزارع الكبير عن الدفع
فيلجأ الفقير الى القضاء . فيمتطي الكبير جواده ويهدد ويعربد ويستخف
بادعاء جاره ويؤكد ان الملك له وان مثله لا يلجأ الى فقير يستكري

ارضه . واذا اضطر ابتاع ضمير القاضي . وقد تمحل المواسم فيدس هذا الطامع الكبير عملاءه بين جيرانه الفقراء يزئنون لهم بيع املاكهم ، فيبيعونها بانحس الاثمان . وقد يشرف فقير ضعيف على الموت ولا وريث له ، فيطل عليه احد اخصاء جاره الكبير يسأل عنه ويقدم له المعونة والهدايا ثم ينصح له ان يتبنى جاره الغني العظيم . فتأخذ الفقير العاطفة وتعتبره موجة من الكبرياء فيرضى . وقد يلجأ الكبير القوي الى الاحتيال ، فيحيط هذا المريض المحتضر برجاله فيشهدون لدى وفاته بانه اوصى بممتلكاته الى جاره الكبير . وكان القانون البيزنطي يميز الوصية امام شهود ثلاثة . وقد يستهوي الكبير الطامع جاني الضرائب فينقده شيئاً من النقد ليتطلب من فريسة اخرى اكثر بكثير مما يجب فيقضي على معنويات هذا المزارع الفقير ويمهد الطريق لجاره الغني القوي كي يستولي على املاكه . ولا نجد كبار الرهبان أقل جشعاً من هؤلاء المزارعين الاقوياء . فانهم رغبوا في الدنيا بقدر ما كان يجب عليهم ان يزهدوا فيها . وتعدوا على حقوق الجيران الفقراء فوسعوا حدود الاوقاف على حسابهم واستولوا في بعض الاحيان على المواشي وعلى الخيل والجمال . وعاشوا عيشة هناء ورخاء . ودعوا لرهبانيتهم فتزايد عدد الرهبان تزايداً خفيفاً . فافرغوا الحقول من اليد العاملة وقطعوا عن صندوق الخزينة العامة دخلاً كبيراً . وتضاءلت الطبقة المتوسطة في الارياف ، وازداد الاقوياء قوة والضعفاء ضعفاً ، وقلت الثقة بالحكومة . وافظع ما هنالك ان نجاح الاقوياء في ابتلاع الضعفاء المدنيين شجع اولئك على مد الايدي الى مزارع العسكريين الذين كانوا قد أقطعوا الاراضي ليعيشوا منها ويتسلحوا بمدخولها . وهبت الحكومة المركزية تعالج هذه المشكلات ، فمنعت الكبار بادىء ذي بدء من الاستفادة من ديون هي موضع جدل وخصام بينهم وبين الصغار . ومنعت هؤلاء عن وضع شعائر الكبار على ابواب بيوتهم ما دامت

هذه البيوت او الحقول موضع خصام بينهم وبين كبير قوي . وأصدرت الحكومة في القرن التاسع ، كما سبق وأشرنا في حينه ، قوانين ثلاثة منعت بموجبها انتقال الملكية من ضعيف الى قوي بالتبني او الهبة او الوصية ، كما حرمت بيع املاك الضعفاء وتأجيرها . وألغت كذلك مفعول مرور الزمن في جميع هذه الحالات ، فجمدت بذلك كل علاقة من هذا النوع بين الفريقين^١ .

وعلى الرغم من هذا كله فان هؤلاء الكبار Dunatoi ما فتئوا يطاردون الصغار Penes حتى فسّخوا الدولة تفسيحاً وقضوا على معنوياتها ودفاعها .

الدولة ورجال الصناعة : وفي الوقت الذي كان فيه الفلاح الصغير يعاني هذه المتاعب والمصاعب كان الصانع في المدن منهمكاً في اشغاله ميسوراً . فدولة الروم لم تعرف عهداً في تاريخها زهت فيه الصناعة والتجارة زهوها في هذين القرنين . ولم تكن القسطنطينية في اي وقت من اوقاتها اكثر نتاجاً وأوفر ربحاً . وأصبحت بوفرة مالها وحقق صناعتها امّ المال والذهب والفن والعجائب للعالم اجمع . وقصدها أمهر الصناع وأطمع التجار من سواحل البلطيق حتى الاسود والادرياتيكي ، ومن ارمينية والقوقاس حتى اسبانية والبرتغال . وتمنى بذخها وثروتها امراء الاقطاع في الغرب المسيحي وأسباد السياسة في الشرق الاسلامي .

ويستدل من وثيقة ترقى الى عهد لاوون السادس سماها رجال الاختصاص « كتاب البرايفكتوس » (حاكم العاصمة) انه علاوة على البقالين واللحامين والحجازين والبنائين والنحاتين والرخامين والنجارين والحدادين والحياطين

Vasiliev, A.A., *On The Question of Byzantine, Feudalism, Byzantion*, ١
1933, 584-604; Diehl et Marçais, *Monde Oriental*, 523-531.

والرسامين ، كان هنالك طبقة من التجار والصناع يعنون بنسج الحرير وصبغه وتزيينه بالرسوم وبالفضة والذهب ، وان هؤلاء أدهشوا العالم بدقة صنعهم ومهارتهم ، فجمعوا اموالاً طائلة ، وجعلوا من القسطنطينية ، ومن ثيسالونيكية وثيبة وكورونثوس وبتراس ، قبلةً انظار أهل البذخ والترف في الشرق وفي الغرب معاً . ويستدل من هذه الوثيقة ايضاً ان صناعة الروائح الطيبة لم تقل شأناً عن صناعة الحرير ، وان رجالها توصلوا الى درجة من الرقي مكنتهم من بسط بضاعتهم في كنف القصر نفسه « وان روائحهم الطيبة التي تصاعدت كالبخور الى ايقونة المسيح فوق باب خلقة عطرت جو هذا المدخل الفخم » .

ولمست الحكومة اهمية هذه الصناعات فضبطت احوالها وأخفت اسرارها وراقبتها مراقبة شديدة . فحددت مدى اختصاص كل حرفة ، وعينت شروط الانتماء اليها ، وحددت عدد الصناع فيها ، ونوع النتاج وكميته ، ومقدار الاجور . ودققت في قيودها وحساباتها وموازينها . ونهت عن الغش في الصنع وأنزلت بالمرتكب عقاباً صارماً . ثم حمت هذه الصناعات من مزاحمة الاجانب فحددت الاستيراد او منعه كما جاء في كتاب البرايفكتوس عن صابون مرسلية .

الفصل السابع والعشرون

الآداب والفنون في عهد الاسرة المقدونية

بميزات آداب هذا العصر : وكان قد انسلخ عن الدولة عدد من العناصر غير اليونانية ومعظم من خرج على تعاليم المجامع المسكونية فطغت اليونانية بعنصرها ولغتها وفكرها وبدأت الدولة متجانسة اكثر بكثير من ذي قبل . ونزع القوم الى لغة الاجداد وعلومها وآدابها ، فتميز هذا العصر بالعودة الى الخلفات الهلينية الكلاسيكية . فكانت يقظة في عالم الفكر والفن ادت بنتائجها الى عصر اليقظة والنهضة في ايطالية فسائر انحاء اوروبة . وفاخر ادياء القسطنطينية بجموعاتهم الادبية واستنسخوا المراجع الكلاسيكية اليونانية الكبرى وتباحثوا فيها كما يستدل من مصنف البطريرك فوطيوس العظيم ال Myriobiblion وقد سبقت الاشارة اليه فلتراجع في محلها . وعرف جميع المثقفين هوميروس وبنذار وارستوفانس وافلاطون وارسطو وبلوتارخوس وليبانيوس وثوقيديذس وبوليبيوس وغيرهم . واصبحت الآداب اليونانية الكلاسيكية ، نحوها وبيانها ونصوصها ، اساس التهذيب البيزنطي . واعيدت جامعة القسطنطينية الى سابق عهدها وزهت مدرسة الحقوق فيها ، وقام عدد من كبار الاطباء يبحثون كسلفائهم من قبل . ومن مميزات هذه النهضة الفكرية الادبية ان رجالها آثروا الاحاطة في المقام الاول فمالوا نحو التوسع والموسوعات . وهي خطوة لازمة لكل

نهضة في بدء عهدها . ومن هنا مجموعات القرن العاشر في القانون ، ومن هنا ايضاً مجموعة الاكسريبتة Excerpta التي أشار بتصنيفها قسطنطين السابع خدمة للتاريخ والمؤرخين ، فجاءت في ثلاثة وخمسين كتاباً . واعيد النظر في كل ما سبق تأليفه في العصور الغابرة لاستخلاص النافع منه في الحياة العملية فظهرت رسالة السفراء ، ورسالة الفضائل والرزائل ، ورسالة التآمر ، ورسالة الفتوحات . وصنفت رسالة في الزراعة Geoponica ، وفي الطب Iatrica^١ . ومما تجب ملاحظته في هذا الباب انه قام في هذا العهد ، بالاضافة الى هؤلاء المنقبين عن الماضي الناقلين عن غيرهم ، عددٌ من العلماء الباحثين المجددين وفي طليعة هؤلاء البطريرك فوطيوس ، والاستاذ المربي ميخائيل بساوس . فالاول اضاف الى ما تحلى به من سعة اطلاع وتفوق في الانشاء جراً لابل جسارَةً في التفكير الحر المستقل يغبطه عليها كل من أطلع على رسائله . والثاني كان ألمع أهل زمانه وأشدهم رغبة في الاطلاع واكثرهم تجرداً^٢ .

ومما تجب اعادته هنا هو عطف لاوون السادس « الحكيم » على معلمه البطريرك فوطيوس وحمايته لعلمه وتفكيره واستعداده لتشجيع جميع العلماء . وقد قيل ان القصر في عهده تحول الى معهد علمي^٣ . وجاء قسطنطين السابع فألف وشجع غيره على التأليف .

المؤلفون والمؤلفات : وأهم مؤلفات قسطنطين السابع سيرة جده باسيليوس الاول وارشاداته في ادارة الدولة وقد دونها خصيصاً لابنه ووريثه ، ورسالته في الثيمات ، وكتابه في التشريفات ، ووصفه لكيفية

Ramnaud, A , *Empire Grec au Dixième Siècle*, 50 ff. ١

Ramnaud, A., *Etudes*, 109-171; Diehl, C., *Figures Byzantines*, I, ٢
291-316.

Popov, N., *Leo VI*, 232. ٣

نقل المنديل المقدس من الرها الى القسطنطينية .

وبين المؤلفين الذين كتبوا في ظل قسطنطين السابع يوسف غناسيوس
Genesius الذي دوّن اخبار لاوون الخامس ولاوون السادس (٨١٣ -
٨٨٦) . وبين الموسوعات التي اعدت في كنف هذا الفيلسوف اخبار
القديسين لسبعان متافراستس Metaphrastes ، وقاموس سويداس Suidas .
وهو مؤلف نفيس كثير الفائدة يبين معاني المفردات واسماء الاشخاص
والاشياء^١ .

وفي طليعة رجال العلم في القرن العاشر البطريرك نيقولاوس ميستيكوس .
فقد خلف مئة وخمسين رسالة وجهها الى امير اقريطش العربي ، وسبعان
البلغاري ، ورومانوس ليكابينوس ، وعدد من الباباوات والاساقفة والرهبان .
وبما جاء في رسالته الى امير اقريطش قوله : « الروم والعرب أعظم
قوتين في العالم يعلوان ويتألقان كالشمس والقمر في السماء . ولذا يجب
ان نعيش إخوة على الرغم من اختلافنا في الطبائع والعادات والدين » .
وعاصر باسيليوس الثاني لاوون الشمس وشاهد حوادث الحرب
البلغارية ، فكتب عشرة كتب في حوادث السنوات (٩٥٩ - ٩٧٥) ، وذكر
اشياء عن الحرب العربية . وآثاره مفيدة جداً لتاريخ نيقيفوروس فوقاس
ويوحنا جيمسكي لانه المرجع اليوناني المعاصر الوحيد . ومن أشهر مؤرخي
القرن العاشر مؤلفان مجهولان احدهما أكمل تاريخ ثيوفانس والآخر ذيل تاريخ
هامارتولوس^٢ . وبين هؤلاء ايضاً لاوون النحوي وسبعان المايستر واللوغوثيت^٣ .
وقارب القرن العاشر النهاية وتعددت الحروب وراقبها نصر ميين ،

Krumbacher, K., *Gesch. der Byz. Litt.*, 568.

Shestakov, S P , *Continuation of Theophanes*, (*Congrès International
des Etudes Byzantines*, 1929) .

Leo the Grammarian, *Symeon Magister*, (*Corpus Script. Hist. Byz.*)

فتغنى الناس بالحرب وتضاءلت عنايتهم بالعلم . ومن هنا قول حنة كومنينة في القرن الثاني عشر ان معظم الناس أعرضوا عن العلم في الفترة بين عهد باسيلوس الثاني وعهد قسطنطين مونوماخوس ، وانه لم يبقَ من يعنى به سوى افراد قلائل سهرروا الليالي في طلب المعرفة على ضوء القناديل^١ . وفي منتصف القرن الحادي عشر عاد بعض كبار العلماء وفي طليعتهم ميخائيل بسلوس الى المطالبة بتشجيع العلم والعطف عليه ، فكان لكلامهم وقع في نفس الفسيلفس قسطنطين مونوماخوس فوعد خيراً ، فانقسموا فئتين ، فئة تطالب بانشاء مدرسة للفلسفة بزعامة بسلوس نفسه ، وفئة تطالب بمدرسة للحقوق . واشتد الجدل في هذا الموضوع ووصل الى الشارع . فحقق الفسيلفس طلبتهم في السنة ١٠٤٥ بانشاء مدرسة للحقوق ومدرسة للفلسفة^٢ . واشتهر ميخائيل بسلوس برسائله وبمؤلفاته في اللاهوت والفلسفة ولاسيما فلسفة افلاطون ، وفي العلوم الطبيعية ، وفقه اللغة ، والتاريخ . ويعتبر تاريخه افضل المراجع لتاريخ القرن الحادي عشر^٣ .

ويرى رجال الاختصاص ان القصائد الحماسية والاهازيج الشعبية تطورت تطوراً سريعاً في العصر المقدوني فتألفت بانتصارات الاسرة المقدونية واعتزت بعزها . وهم يرون ايضاً ان القتال المتواصل في الجبهات الشرقية الجنوبية فسخ في المجال للمغامرات الحربية وللبنالة الفردية ، فهزّ الشعراء ورجال الزجل هزاً ودفع بهم الى النظم والمفاخرة . وأشهر ما ينسب الى هذه الفترة ملحمة باسيلوس ديجينيس اكريتس . وديجينيس digenes لفظ يوناني معناه المولود من شعبين . فوالد باسيلوس كان عربياً مسلماً وامه

Anna Comnena, Alexias, V, 8; Buckler, G., Anna Comnena, 262. ١

Fuchs, F., Hohern Schulen von Konstantinopel, 24-25. ٢

Psellus, Michael, Chronographia, Bibliotheca Graeca Medii Aevi, IV; ٣

French Translation by E. Renaud, in 2 vols., Paris, 1926-1927.

رومية مسيحية . وأكريتس akrites لفظ يوناني ايضاً معناه الذي ينتسب الى حدود الدولة . وباسيليوس هذا قضى معظم حياته في مناطق الحدود محارباً العرب مغامراً منتصراً . وقد حفظت لنا ملحمته دوافع القتال والاستماتة (فهي في نظره الدفاع عن الارثوذكسية وعن الروم) كما خلدت صوراً رائعة لقتلاع أسياذ البر وقصورهم في آسية الصغرى^١ . ولا يزال ابناء قبرص يتغنون باجماد باسيليوس حتى يومنا هذا ، كما لا يزال ابناء طرابزون يشيرون الى مشواه ويؤكدون ان زيارة قبره تحمي الصغار من الارواح الشريرة . ولا يزال بعض رجال الاختصاص يتابعون البحث في تاريخ هذه الملحمة . وهم يميلون الى الاعتقاد بانها نشأت اولاً حول مغامرات ديجينس في الحروب العربية في اواخر القرن الثامن ، ثم تطورت فازدهرت باجماد الاسرة المقدونية . ويرون علاقة متينة بينها وبين قصة بطال غازي التركية وبعض نواحي الف ليلة وليلة العربية^٢ . ويلمس المؤرخ الروسي كرمزين صلة وثيقة بين هذه الملحمة وبعض اساطير الروس القديمة^٣ .

بقي علينا ان نشير الى مؤلِّفين مفيدين خلفهما ميخائيل أتالياتس Attalates اولهما يتضمن حوادث السنوات ١٠٣٤ حتى ١٠٧٩ ، وفيه وصف دقيق لما جرى في اواخر عهد المقدونيين ، وهو مبني الى حد كبير على الخبرة الشخصية . والثاني موجز في الحقوق وضعه أتالياتس للدحامين وغيرهم ممن يرغب في الاطلاع^٤ .

الفن وآثاره : ويرى رجال الفن ان العصر المقدوني هو العصر

Bury, J. B., *Romances Chivalry on Greek Soil*, 18-19. ١

Crégoire, H., *Autour Digenes Akritas*, Byzantion, 1931, 481-508, 1932, 287-320. ٢

Pascal, P., *Le Digenis Slave*, Byzantion, 1935, 301-334. ٣

Vasiliev, A.A., *Byz. Emp.*, 371. ٤

الذهبي الثاني في تاريخ الفن عند الروم . والعصر الذهبي الاول في عرفهم هو عصر يوستينيانوس الكبير . ويقولون انه بعد ان حرر محاربو الايقونات الفن البيزنطي من قيود رجال الاكليروس والرهبان تطور تطوراً سريعاً في انتقاء مواضيعه من خارج الكنائس والاديار، فعاد الى الطبيعة والى مخلفات العصر الهليني والى فن الزخرف العربي . وجاء العصر المقدوني بتعلقه بالمخلفات الكلاسيكية والهلينية ، فازداد رجال الفن فيه اكباراً للماضي البعيد واستيحاءً منه^١ . ولم يكتبوا بهذا الوحي ولم ينقلوا نقلًا بل اضافوا الى جمال المظهر الهليني ولطفه شيئاً كثيراً من قوة العصر الكلاسيكي السابق وجدده . واسبعوا عليه شيئاً من الهيبة والتركيز والتوازن والنقاء والصفاء فأصبح بيزنطياً بكل معنى الكلمة^٢ .

وذهب الفنان المؤرخ النمساوي استرجيكوفسكي مذهباً خاصاً لا يقره عليه معظم زملائه . فهو يرى ان وصول الاسرة المقدونية الارمنية الاصل الى الحكم جرّ وراءه اقبالاً على الفن الارمني وتأثراً به . ويرى بعبارة اخرى ان العلاقة الظاهرة بين الفن البيزنطي والفن الارمني التي عزاها المؤرخون الى اثر بيزنطة في ارمينية هي في الحقيقة اثر ارمينية في بيزنطة^٣ . وقام في القسطنطينية في عهد هذه الاسرة المقدونية من برز في تصوير الايقونات وتزيين جدران الكنائس ، فأخرج عدداً كبيراً جداً من الايقونات وصدّرها الى سائر انحاء الامبراطورية . وعني رجال الفن ايضاً بتزيين المخطوطات بالصور الملونة المذهبة .

Diehl, C., *Monde Oriental*, 516-517.

Dalton, O. M., *East Christian Art*, 17-18.

Strzygowski, J., *Die Baukunst der Armenier und Europa*; Diehl, C., *Art Byzantin*, I, 476-478.

الباب التاسع
تأخر الدولة وانحطاطها

(١٠٥٧ - ١٢٠٤)

•

الفصل الثامن والعشرون

الفوضى والفتن الداخلية

(١٠٥٧ - ١٠٨١)

وتوفيت ثيودورة وانتطعت سلالة باسيلوس الاول مؤسس الاسرة
المقدونية . وكان خلفها ميخائيل السادس قد أصبح هرمًا كبير السن .
وكان لا يزال في صفوف الجيش وخارجها عدد من القادة الطامعين . فنشبت
مشادة عنيفة بين كبار المدنين في النصر وبين هؤلاء العسكريين . وقبل ان
تنتهي السنة الاولى من حكم ميخائيل السادس دبر العسكريون مؤامرة
خلع ميخائيل . فوصل الى عرش رومة الجديدة اسحق كومنينوس زعيم
العسكريين .

اسحق كومنينوس : (١٠٥٧ - ١٠٥٩) وانتسب الكومنينيون الى
قرية كومننة في ضواحي ادرنة . واشتهر والد اسحق ايروتيكوس في

دفاعه عن نيقية ضد هجمات برداس اسكليروس في السنة ٩٧٨ وذلك في عهد باسيلوس الثاني ، فاكسب ارضين واسعة في آسية الصغرى مكنته من الدخول في عداد الارستوقراطيين العسكريين^١. وانتصر العسكريون بوصول اسحق الى العرش واستوائه عليه . ووزع الفيلسفس الجديد المكافآت على من عاونه في الوصول ، وأمر بتمثيله بمشقة حسامه على العملة التي سُكت باسمه دلالة على انتصار العسكريين^٢. ولكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بالسلطة اكثر من سنتين .

وأصيب اسحق في السنة الاولى من حكمه بالمرض . وجوبه بخزينة خاوية فلجأ الى الاقتصاد ولم يستثن منه احداً ، فأغضب الشيوخ والشعب والجنش والرهبان . وكان في بداية عهده قد كافأ البطريرك المسكوني ميخائيل لاشتراكه في ازاحة الفيلسفس السابق ميخائيل السادس استراتيجوس عن العرش فمنحه الحق في ان ينتقي ويعين ايكونوموس كنيسة الحكمة الالهية (اي مدبر املاكها) ، وامين الاواني الكنائسية فيها (اسكيفوفيلاكس) . وكان البطريرك قد طلب ذلك من ثيودورة وميخائيل السادس فلم يفلح^٣. وظن البطريرك انه سيتمكن من ارشاد الفيلسفس وتوجيهه . ولكن اسحق تقبل هذا الارشاد بشيء من الفتور في اول الامر ثم رث ما جاء من نوعه بعدئذ . فنشأ شيء من البغض بين الاثنين ما لبث ان تحوّل الى عداة . وسرعان ما أخذ البطريرك يهدد الفيلسفس ثم احتذى الحذاء الارجواني ، وادعى ان الاحتذاء بالارجواني حق قديم من حقوق السدة

Cedrenus, G., Synopsis Historion, II, 353.

Sabatier, Monnaies Byzantines, II, 162; Ostrogorski, G., Gesch. des Byz. Staates, 238-239.

Dolger, F., Regesten, 938, Sept., 1, 1057; Cedrenus, G., Synopsis Historion, II, 353.

البطيركية^١. وكانت الاقدام على الاحتذاء بالارجواني في عرف الروم
 آنذ اول دليل على الطمع في السلطة العليا^٢. وفي الثامن من تشرين
 الثاني حين كان البطيريك متوجهاً مع اخصائه لخدم القداس في دير
 الملائكة ألقى الفيلسوف القبض عليه ونفاه مع اولاد اخيه الى جزيرة
 ايبوس. وهاج الشعب وطلب ارجاع البطيريك. فاستحضره الفيلسوف
 وجمع جمعاً وطلب محاكمته لانه عطف على راهبين كانا يتعاطيان الشعوذة،
 ولانه كان يقرأ أشعار الشعراء وقت الخدمة، ولانه ايضاً ثار على
 الفيلسوف السابق. ولم يحرج البطيريك جواباً عن شيء من هذا. وقام في
 النهاية وسامح الفيلسوف والقضاة، ودعا للشعب ولاعدائه، وسقط ميتاً
 وهو يقول: «السلام لجميعكم» مشيراً بيده اليمنى اشارة البركة. فأمر
 الفيلسوف بدفنه بحفاوة فائقة في دير الملائكة واشترك بنفسه في تشييع
 الجثمان^٢. ورقى الكرسي المسكوني بعده قسطنطين الثالث (ليخوزي).
 ومرض الفيلسوف فاستقال فبدل الارجوان بثوب الرهينة وأقام في الدير
 الاستودي^٣.

قسطنطين العاشر (دوكة): (١٠٥٩ - ١٠٦٧) وتحدّر هذا ايضاً
 من اسرة عريقة في الشرف. ولكن شرفها لم يكن عسكرياً ريفياً بقدر
 ما كان ارستقراطياً مدينيّاً. وهذا سبب التفاهم بينه وبين أقطاب رجال
 السياسة والادارة في العاصمة. ومن هنا نفوذ ميخائيل بسلوس في عهده
 وتوليه تربية الامير ميخائيل ابن الفيلسوف، ووصول قسطنطين الثالث الى
 السدة البطيركية، واكراه يوحنا الثامن على قبول العكاز البطيركي بعد

Cedrenus, G., op. cit., II, 372; Bréhier, L., Schisme Oriental, 276-277. ١

Bréhier, L., Byzance, 273-274; Cedrenus, G., op. cit., II, 372-373. ٢

Psellus, M., Chronographia, II, 129-138. ٣

وفاة قسطنطين الثالث (١٠٦٤)^١. ومن هنا ايضاً عطف الفيلسوف على العلم واکرامه للعلماء واکراه ولي العهد ميخائيل على الدرس والمطالعة واجتياز امتحان في الحقوق العمومية قبل اشراكه في الحكم^٢. ولهذا ايضاً منح عضوية مجلس الشيوخ الى عدد من كبار رجال الطبقة المتوسطة مما اغضب طبقة الـ Archontes^٣. واضطر قسطنطين العاشر الى ان يعنى بالخرينة عناية سلفه اسحق ، فاقتصد في كل شيء . وأدى به اقتصاده الى الاقدام على عمل جنوني اذ سرح عدداً غير يسير من الجنود ، وأنقص مرتبات الباقين ، بينما كان خطر الحرب يهدد الدولة في اكثر من جبهة واحدة^٤.

وفي عهد قسطنطين العاشر ، وعهد البطريرك المسكوني يوحنا الثامن ، وعهد البابا الكسندروس الثاني (١٠٦١ - ١٠٧٣) ، وفي السنة ١٠٦٤ توجه عدد من اساقفة الغرب يتقدمهم سيغفريد رئيس اساقفة ماينتز ، وعدد كبير من الاشراف وغيرهم ، الى زيارة الاماكن المقدسة . ومرّوا بالقسطنطينية فأكرمهم الفيلسوف اكراماً جزيلاً وزاروا كنيسة الحكمة الالهية . ولدى وصولهم الى المدينة المقدسة خرج صفرونيوس البطريرك الاوروشليمي بنفسه لملاقاتهم ومعه الاكليروس والشعب بالمباخر والشموع وأدخلهم باحتفاء عظيم كنيسة القبر المقدس^٥! وهو أمر ذو بال في موقف رجال الدين في الغرب والشرق معاً من حرم البابا لاوون التاسع ،

Bréhier, L., Byzance, 274-275; Dolger, F., Regesten, 951.

Psellus, M., Chron., II, 144.

Psellus, M., op cit., II, 146-147.

Psellus, M., op. cit , II, 139.

Annales Altahenses Majores (M. B. SS., XX); Lambert de Hersfeld (M. G. SS., V, 168-169).

وحرم البطريرك المسكوني ميخائيل الاول ، الذين صدرا قبل ذلك بعشر سنوات فقط ! وحسن قسطنطين العاشر علاقاته مع الخليفة الفاطمي فتحسنت بذلك حالة المسيحيين في المدينة المقدسة اذ منح الخليفة الفاطمي بطريرك هذه المدينة حق السلطة المدنية على ابناء رعيته في القدس^١.

وفي شهر ايار من السنة ١٠٦٧ اقترب أجل قسطنطين العاشر فأوصى بالملك لاولاده الثلاثة بوصاية امهم افذوكية على ان لا تتزوج^٢. وكانت افذوكية من افذاذ عصرها في العلم ، وكانت تجيد النظم ايضاً . ولكنها بعد وفاة زوجها لم تستطع القيام باعباء الحكم وحدها نظراً لتحرج الموقف الحربي الدولي . وأخذ سكان العاصمة يتهامون عن مستقبل المملكة ، ثم قالوا بضرورة اقامة ملك قدير . وخشيت افذوكية سوء العاقبة فأخذت صك قسم اليمين من البطريرك وتزوجت بعد سبعة أشهر من وفاة قسطنطين بالقائد رومانوس ديوجانس قائد الجيش في بلغارية^٣.

رومانوس الرابع (ديوجانس) : (١٠٦٨ - ١٠٧١) وكان رومانوس من كبار رجال الجيش واهحاب الاملاك الواسعة في قبدوقية . وكان محبوباً محترماً من الجند شجاعاً قوياً . ولكنه كان يجب السلطة ، فاستأثر بها . فاغضب افذوكية بعد مرور شهرين فقط على زواجهما . فخرج من القصر وأقام في آسية عبر البوسفور يعد حملة عسكرية شنها على الاتراك السلاجقة^٤.

وكانت احوال الروم قد ساءت في البلقان وفي ايطالية . فالجر عبروا

Guillaume de Tyr, *Historia Rerum*, IX, 17-18. ١

Psellus, M., *op. cit.*, II, 147-148. ٢

Psellus, M., *op. cit.*, II, 154-157 ; Cedrenus, G., *Synopsis*, II, 391-396. ٣

Psellus, M., *Discours*, II, 159. ٤

الدانوب وحاصروا بلغراد ثلاثة أشهر في السنة ١٠٦٤ . وكان الغز أبناء عم السلاجقة قد نزحوا من شمالي قزوين الى جنوبي روسية ، فأجلوا البتشناغ عن مراعيهم ودفعوا بهم الى مصب الدانوب . فعبر هؤلاء الدانوب في السنة ١٠٦٥ وأوغلوا في البلقان حتى نيسالونيكية وثيرسالية . ولم تقوَ الجيوش على صدّهم . فسمح قسطنطين العاشر ببقائهم في مقدونية على ان ينخرطوا في خدمة الدولة . وأدى النزاع في ايطالية بين البابا نيقولاوس الثاني والبابا بندكتوس العاشر في السنة ١٠٥٩ الى تفاهم وتحالف بين نيقولاوس الثاني والنورمندين . فأقر البابا نيقولاوس شرعية مطالبة هؤلاء بكابوة وكلابرية . وانطلق روبر غيسكار واخوه روجه فأخضعوا كلابرية . فأنفذ قسطنطين العاشر حملة الى ايطالية الجنوبية . فعاد روبر من صقلية حيث كان يعاون اخاه روجه في اخضاع هذه الجزيرة ليحافظ على ممتلكاته الجديدة في جنوبي ايطالية . وبدأت بذلك حرب بين الروم والنورمندين انتهت بسقوط باري في السادس عشر من نيسان ١٠٧١ وخروج الروم من ايطالية الجنوبية بعد حكم دام ثلاثة قرون متتالية . ولم يجد قسطنطين العاشر نفعاً تدخله في سياسة الكنيسة الرومانية وتأييده للبابا اونوريوس الثاني مناظر الكسندروس الثاني^٢ .

وكان طغرل بك زعيم الاتراك السلاجقة قد توفي في السنة ١٠٦٢ فخلفه السلطان ألب ارسلان واستولى على آني Ani الارمنية في السنة ١٠٦٤ فذبح ونفى . ثم قام الى الرها فصدّه عنها دوق انطاكية في السنة ١٠٦٥^٣ . وفي ربيع السنة ١٠٦٧ هاجم ألب ارسلان الروم من الشرق

Cedrenus, G., Synopsis, II, 384-385 ; Dolger, F., Regesten, 955.

Bréhier, L, Byzance, 278-279.

Matthieu d'Edesse, Chronique, 91.

والجنوب في آن واحد ، فدخلت جيوشه البونط وقيليقية . ووصل الى
قيصرية قبدوقية فخرّبها .

واستوى رومانوس على العرش فتولى مهمة صد الاتراك السلاجقة ،
وقاد الى الميدان كل رجل استطاع ان يجنده في اوروبة وآسية . فطردهم
من البونط اولاً وأنزل بهم هزيمة كبيرة عند تفريقية . ثم قام الى سورية
الشمالية فأحرز نصراً مبيناً في العشرين من تشرين الثاني سنة ١٠٦٩ عند
هيرابوليس (منبج) . وكان السلاجقة قد توغّلوا في غلاطية فعاد رومانوس
اليها وحررها . وفي السنة ١٠٧٠ حاصر ألب ارسلان مدينة الرها دون جدوى .
وجاءت السنة ١٠٧١ فأعاد رومانوس تنظيم جيشه وقام في منتصف آذار
الى الجبهة الشرقية الجنوبية فوصل الى منزيكرت (ملاذكرد) على
الفرات الاعلى فوجد نفسه وجهاً لوجه ، ليس امام جيش واحد من
جيوش السلاجقة فحسب ، بل امام قوة السلطنة السلجوقية كلها ، وامام
ألب ارسلان نفسه . وكان قد حلّ بجيش الروم شيء من الارتباك بسبب
السير الطويل . وكان الفيلسفس قد ارسل فرقة كاملة الى روسل دي
بايول القائد النورمندي الذي كان قد اتجه نحو بحيرة وان . وعلى الرغم
من هذا كله بقي الفيلسفس متلهفاً الى القتال ، شاعراً ان السلاجقة لم
يتيحوا له من قبل ميداناً صالحاً للقتال مثل هذا ، متيقناً من ان جنوده
المدرعين سيقضون قضاءً مبرماً على الفرسان السلاجقة مهما بلغ عددهم .
وكان ألب ارسلان قد زاد خصمه وثوقاً من نفسه بان ارسل اليه تقارير
كاذبة تفيد ان السلاجقة عازمون على الرحيل متجهين الى بغداد . وفي
السادس والعشرين من آب سنة ١٠٧١ انبرى ألب ارسلان لقتال الروم .

*Michel d'Attalie, 94; Cedrenus, G., Synopsis, II, 389; Laurent, J., ١
Byzance et les Turcs Seljoucides, 25.*

فأبلى فرسان الروم المدرعون بلاءً حسناً وظلوا يوماً كاملاً يخترقون خطوط اعدائهم . ولكن هؤلاء كانوا دائماً يسدون الثلثات بسرعة وبمجموع جديدة كانت تفقد باستمرار . وفي المساء كان القتال لا يزال مائعاً . وفي اثناء الليل رأى رومانوس ان يسحب جنوده الى المعسكر . فأساء بعضهم فهم الاوامر فانقلب التراجع المنظم الى فرار مستعجل . وأصبح القسم الذي قاده الفسيلفس محاطاً بالعدو من جميع النواحي . وجرح رومانوس نفسه وسقط عن حصانه ووقع اسيراً .

وسيق رومانوس الى خيمة عدوه واستقبل بجاورة . ثم تفاوض الكيبران في الصلح فاتفقا على ان يدوم خمسين سنة ، وعلى ان يدفع الروم في كل سنة ثلاث مئة وستين الف قطعة ذهبية ، وعلى ان يفدي رومانوس نفسه بمليون ونصف مليون من هذه القطع عينها . وتصدت جبهة الروم واختل نظامهم الدفاعي في هذا القطاع . ثم اندلعت نيران حرب اهلية مكنت السلاحقة من الدخول الى آسية الصغرى والاستقرار فيها .

ميخائيل السابع : (١٠٧١ - ١٠٧٨) وما ان علمت افذوكية

بما حل برومانوس حتى استقدمت الى العاصمة القيصر يوحنا دوкас اخا قسطنطين العاشر وأعلنت نزول رومانوس الرابع عن العرش . وترك ألب ارسلان الفسيلفس رومانوس دون ان يدفع له شيئاً معتمداً في ذلك على وعده فقط . واتجه رومانوس نحو العاصمة على رأس من تمكن من جمعهم من الرجال . فصدده قسطنطين دوкас ابن القيصر يوحنا . والتجأ رومانوس الى قلعة تيروبويون Tyropoion . وكاد يخسر كل شيء ولكن دوق

١ اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٩٨ .

٢ Psellus, M., Chron., II, 161-162; Michel d'Attalie, 159 ff; Laurent, J., op. cit., 1-44; Dolger, F., Regesten, 972; Ostrogorsky, G., Gesch. des Byz. Staates, 243-244.

انطاكية مدّه بالمساعدة فأنقذه وقام به الى قيليقية ليستعدا معاً للمقاومة .
وفي بدء السنة ١٠٧٢ أكره رومانوس على الدخول الى ادنه والاعتصام
بها . ثم سلّم شرط ابقائه في قيد الحياة . ولكن القيصر يوحنا أمر بقص
شعره وسمل عينيه ثم نفاه الى دير في جزيرة بروتي حيث مات بعد
قليل^١ .

وكان ميخائيل السابع مهذباً مثقفاً ، يحب العلم ويكرم العلماء ، ولكنه
كان خوّاراً متورداً بعيداً عن الجيش لا يرغب في الحرب والقتال . وتمكن
الحصي نيقيفوريتزس دوق انطاكية من الوصول الى القصر والسيطرة على
ميخائيل ، فأبعد بسلوس عن القصر ، وأزال الخطوة عن القيصر يوحنا .
ثم انصرف الى جمع المال فاستحوذ على تجارة القمح واحتكرها . ثم رفع
الاسعار فضايق العباد ، فنال سيده ميخائيل لقب Parapinakes ومعناه
ابو الربة . والسبب في هذا ان الناس اصبحوا نتيجة لاحتكار الخنطة
يبتاعون ربع المد بالقيمة نفسها التي كانوا يدفعونها من قبل لشراء مد
كامل^٢ .

الأتراك السلاجقة : وتدل المصادر العربية والاسلامية على ان يوم
منزكرت أقر السلاجقة في ارمينية نهائياً ، وأمّلمهم في الاستيلاء على
مناطق الرها وانطاكية . وفيما سوى هذا اعترف ألب ارسلان بالوضع
الراهن ، وبالع في احترام الفسيلفس الاسير واطلق سراحه محملاً بالهدايا^٣ .
وبدلاً من ان يتبع النصر بالنصر في آسية الصغرى ، قام ألب ارسلان

Psellus, M., Chron., II, 168-172 ; Bréhier, L. Byzance, 281- 282. ١

*Laurent, J., Byzance et Antioche, (Revue des Etudes Arméniennes, ٢
1929), 64-65 ; Cedrenus, G., Synopsis, II, 444-445.*

*Laurent, J., Byzance et les Seljouci-des 95 ; Cahen, Claude, La ٣
Campagne de Menzikert, (Byzantion, 1934), 636-639.*

الى حدوده الشرقية وتوفي عندها (١٠٧٢). فتولى الحُكم بعده ابنه جلال الدولة ملكشاه. ويستفاد من هذه المراجع الاولية وغيرها ان الروم انفسهم تشاغلوا عن حماية حدودهم الشرقية والجنوبية، ولهوا بمطامع قادتهم وامرائهم، وان الجنود تركوا الحدود والثغور ليؤيدوا هذا او ذاك في حروب داخلية، مما أتاح للسلاجقة ان يتدفقوا عصابات عصابات للنهب والسلب^١.

وطمع روسل دي بايول النورمندي في السنة ١٠٧٣ بالاستقلال في مناطق قونية وانقرة. فاستعان ميخائيل السابع بالسلاجقة. فدخل مئة الف من هؤلاء بقيادة سليمان قطلمش فغشوا البلاد حتى ضفة البوسفور (١٠٧٤). ووقع روسل النورمندي في الاسر ثم اقتدى نفسه وجمع حوله عصاباته من جديد وحارب الاتراك والروم في منطقة سيواس. فهرع اليه اليكسيوس كومنينوس باسم الفيلسفس لاختضاعه. وظهر في هذه اللحظة قائد تركي جديد تتخ (طوطاخ) بجموع سلاجوقية جديدة فاستعان به اليكسيوس وقضى على روسل وعلى حركته النورمندية. ولكن هذا النصر جاء على حساب الروم لان طوطاخ وجماعته استقروا في قبدوقية^٢.

نيقيفوروس الثالث (بوتانياتس) : (١٠٧٨ - ١٠٨١) وبينما كان السلاجقة يزدادون قوة وتقدماً في اراضي الروم كاد كل قائد من قواد هؤلاء ينادي بنفسه فيلسفساً. وأهم هؤلاء القادة الطامعين نيقيفوروس بريانيوس Bryennius في البلقان، ونيقيفوروس بوتانياتس Botaniates في آسية الصغرى. وقبل هذا في صفوفه عدداً كبيراً من الاتراك السلاجقة، فاستولوا باسمه على قيزيقة ونيقية ونيقوميدية وخريسوبوليس واستقروا

Laurent, J. op.cit., 63 ; Cahen, op. cit., 641.

١

Chalandon, F., Alexis Comnène, 30-31.

٢

فيها^١، وكانوا لا يزالون جيوشاً مرتزقة في خدمة الروم . وتدخل الشعب في العاصمة لوضع حد لهذه الفوضى . واهتم رجال الدين للامر نفسه . فنادى اميليانوس بطريك انطاكية ، الذي كان آنئذٍ في العاصمة ، بنيقفوروس بوتانياتس فيسلفساً . ونزل ميخائيل السابع عن العرش ولبس ثوب الرهينة^٢ . وكان نيقيفوروس الثالث عسكرياً لامعاً فطناً متبصراً في الامور ولكنه لم يتمكن من اعادة النظام الى صفوف الجيش . وطمع نيقيفوروس ميليسانوس في الحكم وثار على نيقيفوروس الثالث . فحالف سليمان ابن قطنش على شروط اهمها ان يقدم سليمان الرجال للزحف على القسطنطينية « فيستولي » على نصف المدن والمقاطعات التي تستخلص من يد نيقيفوروس^٣ . فرحب بهؤلاء من سبقهم من اخوانهم الى ضفة مرمره والبوسفور بمن تربع في المدن المشار اليها اعلاه باسم نيقيفوروس الثالث نفسه . فأرسل هذا قسطنطين اخا ميخائيل السابع بجيش لمحاربة السلاجقة واخراجهم من المدن التي امتنعوا فيها ، فعصا قسطنطين بدوره وطالب بالعرش .

البابا غريغوريوس السابع : (١٠٧٣ - ١٠٨٥) وعلى الرغم من الانشقاق الذي وقع في السنة ١٠٥٤ بين فرعي الكنيسة الرئيسيين ، فان العلاقات بين الفيلسوس والبابا لم تنتزع . ولذا فان ميخائيل السابع كتب الى غريغوريوس السابع يطلب المعونة ضد الاتراك السلاجقة واعداً بالسعي لاعادة العلاقات بين الكنيستين الى ما كانت عليه قبل الانشقاق . فقبل البابا اقتراح الفيلسوس وارسل الى القسطنطينية رئيس اساقفة البندقية يمثله فيها (١٠٧٣) . وقام هو في الغرب يدعو الى حملة عسكرية يكون هدفها تحرير الكنائس الشرقية من تسلط المسلمين . ولكن دعوة البابا

Allalates, 241, 266-269, 276-278

Bréhier, L., Byzance, 275-287.

Laurent, J., op cit., 98.

١

٢

٣

لم تلقَ آذاناً صاغية ، فعدل الحبر الروماني عن مشروعه العظيم^١.
 واتصل ميخائيل السابع في الوقت نفسه بروبر غيسكار النورمندي خاطباً
 احدى بناته لاختيه قسطنطين . فرفض غيسكار هذا التحالف العائلي . ثم رزق
 ميخائيل ولداً ذكراً وريثاً فأعاد الكرة وخطب احدى بنات غيسكار
 لولي العهد . فوافق غيسكار ، وقامت الاميرة الصغيرة الى القسطنطينية حيث
 دعيت هيلانة . ثم جاء انقلاب السنة ١٠٧٨ ففضى على هذا التحالف . وأمر
 نيقيفوروس الثالث باقامة الاميرة النورمندية في دير من الاديار . فغضب
 لميخائيل السابع كل من البابا وغيسكار . فحرم البابا غريغوريوس السابع
 نيقيفوروس الثالث ، وأعلن غيسكار نفسه مدافعاً عن حقوق الفسيلس
 الخلع^٢.

ارمينية الصغرى : وكان الروم قد استولوا على ارمينية الكبرى
 واكرهوا الاسرة الازرونية على التخلي عن الحكم في السنة ١٠٢٢ ، كما
 اكرهوا الاسرة البغراتية على الامر نفسه في السنة ١٠٤٥ والسنة ١٠٦٤ .
 وكانوا قد أخفقوا في الدفاع عن الارمن ضد الأتراك السلاجقة . وجاءت
 موقعة منزيكرت في السنة ١٠٧١ فاحتفظ احد قادة الروم براخامبوس
 فيلاريتوس Brakhamios Philaretos الارمني الاصل بجنوده المرتقة . وكان
 عدد هؤلاء لا يقل عن ثمانية آلاف جلهم من الفرنجة . وامتنع فيلرته
 هذا عن الاعتراف بميخائيل السابع واعتصم بجبال مرعش . وأراد في السنة
 ١٠٧٣ ان يفرض سلطته على طورنيق ابن موشيل Thornik Mouchel
 زعيم ساسون ولكنه خسر المعركة وفقد احد كبار زعماء جنوده الافرنج .

Dolger, F., Regesten, 988; Mansi, Amplissima Collectio, XX, 74-75, 100, 153; Chalandon, F., Domination Normande, I, 235-236.
Dolger, F., Regesten, 939, 1003; Anne Comnène, Alexiade, I, 10-12; ٢
Grégoire VII, Registre, I, 330.

فاستعان بالاتراك السلاجقة وقضى على طورنيق واقتسم امواله مع أمير ميفارقين (١٠٧٤) . وتقطعت اوصال دولة الروم في هذه الفترة فأصبح فيلرته ، بقوته العسكرية وبصفته المسلكية العسكرية العالية ، الممثل الوحيد الفعّال لسلطة الفسيلفس الشرعية في مناطق الحدود الجنوبية . وكثر قصاده ، وعلت مكانته في أعين الموالين للروم في هذه المناطق ، فانقاد الناس اليه وتعاونوا معه وشدوا ازره ، فبلغت قواته العسكرية ثلاثين ألفاً ، وامتد سلطانه من خربوط شرقاً حتى طرسوس غرباً . وفي السنة ١٠٧٧ أرسل احد ضباطه باسيلوس ابن ابي خاب الى الرها ليحكمها ويدبر شؤونها ، فصدّه حاكمها عن ذلك ولكن اهلها ثاروا على هذا وذبحوه وسلموا المدينة لممثل فيلرته . وجرى مثل هذا تماماً في انطاكية ، ففي شتاء السنة ١٠٧٨ - ١٠٧٩ قام سكانها الروم على حاكمها الارمني فاساك باهلافوني Vassak Pahlavouni فقتلوه وطلبوا الى فيلرته ان يتولى امرهم ففعل^١ . اما شيزر حصن الروم على العاصي بالقرب من حماة فانها سقطت في يد علي ابن منقذ في التاسع عشر من كانون الاول سنة ١٠٨١ . واعترف نيقيفوروس بالواقع فحكم فيلرته باسم الفسيلفس جميع هذه المناطق واسس بذلك ارمينية الصغرى^٢ .

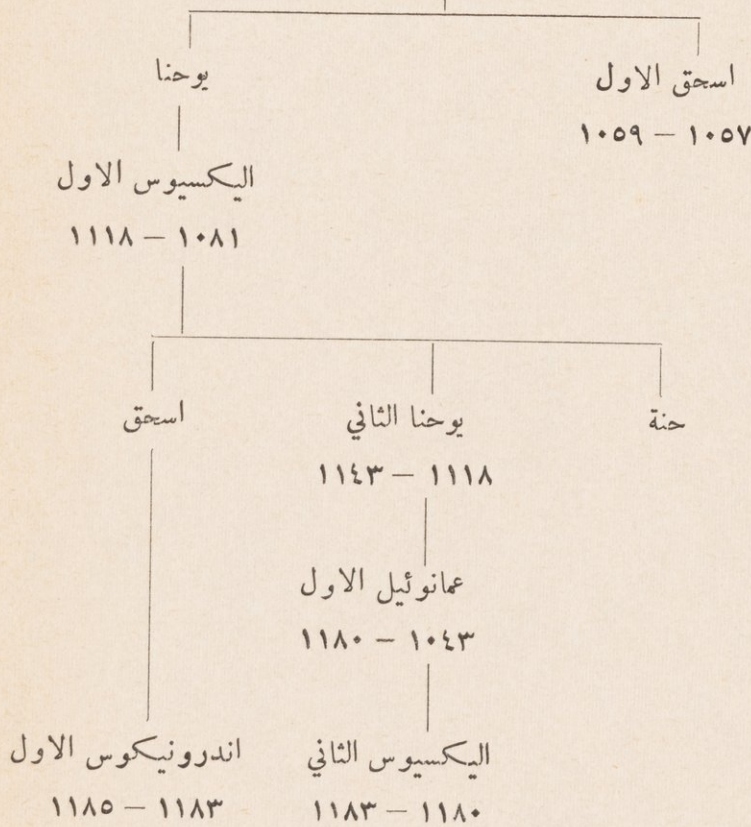
ثورة اليكسيوس كومنينوس : (١٠٨١) ولم يوفق نيقيفوروس الثالث في مساعيه . وتطورت احوال الدولة من سيء الى اسوأ . وتزوج الفسيلفس للمرة الثالثة واتخذ مريم زوجة ميخائيل السابع زوجة له . وكان ميخائيل لا يزال في قيد الحياة ، فلم يرض الشعب . ثم ثار ثأره عندما

١ Mathieu d'Edesse, ch. 107, 175-176 ; ch. 116, 180-181 ; ch. 111, 178-179.
 ٢ Laurent, J., Byzance et Antioche, (Rev. des Etudes Arméniennes), 1929, 69-07 ; Grousset, R., Emp. du Levant, 176-181.

علم ان نيقفوروس سيجعل ابن عمه وريثاً له بدلاً من قسطنطين ابن ميخائيل السابع . وخشيت اسرة كومنينوس ما كان يدبره لها وزراء نيقفوروس من دسائس ومكائد ، فانتهزت هذا الظرف وخرج اليكسيوس واخوه من العاصمة في منتصف شباط من السنة ١٠٨١ الى تشرلو حيث

اسرة كومنينوس
(١٠٨١ - ١١٨٥)

عمانوئيل



كانت تتجمع قوى الجيش لمحاربة السلاجقة . ولدى وصولهما نادى الجند
باليكسيوس فسيلفساً . وفي اواخر اذار ظهر الفسيلفس الجديد بمجنوده
امام اسوار العاصمة ، فالتحاز اليه القائد ميليسينوس ، وخان المرتزقة
الالمانيون نيقيفوروس ، فدخل اليكسيوس كومنينوس العاصمة في اول
نيسان سنة ١٠٨١ وتنازل نيقيفوروس ودخل الدير وعاش راهباً باقى عمره ١ .

الفصل التاسع والعشرون

اليكسيوس الاول كومنينوس

(١٠٨١ - ١١١٨)

شخصه : وجاء في كتاب الاليكسيادة حنة ابنة اليكسيوس كومنينوس ان والدها الفيلسوف تبوأ العرش في الثالثة والثلاثين من عمره ، وانه كان قصيراً ، ممتلئ الجسم ، قاسي الوجه ، أسود اللحية ، برّاق العينين ، ثاقب النظر . وتعترف حنة بانه كان ينقص والدها شيء من الهيبة والوقار حين يخالط القوم ويمتزج معهم ، ولكنه كان جليلاً عظيماً عندما يستوي على عرشه ويتولى السلطة ويحكم بين الناس^١.

ويستدل من هذه الاليكسيادة ايضاً ومن غيرها من المراجع الاولية ان اليكسيوس الاول كان مهذباً مثقفاً ، متضلعاً من الفلسفة واللاهوت ، سريع الخاطر ، فصيح اللسان خطيباً ، وانه كان دمث الاخلاق سلساً حلو المعشر عطوفاً رؤوفاً رحيماً سموحاً في كل شيء ما عدا العقيدة الدينية . فانه كان فيما يظهر شديد التمسك « بالعبادة الحسنة الارثوذكسية » ، مندفعاً في سبيلها ، محارباً الهرطقة والخروج على مقررات المجامع المسكونية . وظل اليكسيوس يتعشق الحرب ويحن اليها ، وبقي طوال عهده يعطف

Anne Comnène, *Alexiade*, I, 110.

على الجنود ويرعاهم بعنايته . وظل هؤلاء بدورهم متعلقين به متفانين في سبيله . وكان الفيلسوف الجديد مفاوضاً من الطبقة الاولى ، يخاطب كلاً باللغة التي يفهم ، كما كان سياسياً محنكاً يجيد فن التفرقة ويحسن اساليب التقريب والجمع . وكان لبقاً للغاية ، لا كذباً كما اتهمه بعض المتطفلين على التاريخ من كتاب الفرنجة الذين لا يدرون ، ولا يدرون انهم لا يدرون^١ .

مطامع النورمنديين الايطاليين : وكان ميخائيل السابع ، كما سبق ان أشرنا ، شديد الرغبة في التحالف مع البابا والنورمنديين الايطاليين للصمود في وجه الاتراك السلاجقة . وكان قبيل نزوله عن العرش قد خطب ابنة روبر غيسكار النورمندي الايطالي لابنه وولي عهده قسطنطين واستقدمها الى القسطنطينية . وكان روبر غيسكار يطمع في توسيع دولته الايطالية عبر الادرياتيك . فلما أنزل ميخائيل عن العرش أعلن روبر غيسكار نفسه مدافعاً عن حقوق هذا الفيلسوف . وكان ما كان من أمر نيقفوروس الثالث ومن أمر الفوضى التي عمّت جميع انحاء دولة الروم . فعهد روبر في ربيع السنة ١٠٨١ الى تحقيق مطامعه عبر الادرياتيك ، فأنفذ ابنه بوهيموند بطلائع الجيش الى أفلونية Avlona وقام هو بنفسه على رأس الجيش الى إبيروس^٢ .

وكان اليكسيوس الاول يخشى الاتراك السلاجقة في آسية الصغرى ، وينظر بعين الحذر الى مطامع البتشناغ عبر الدانوب . ولم تكن نفسه مطمئنة لموقف السكان في شاطيء الادرياتيك الشرقي . أما خزينته فقد كانت خالية ، وجيشه كان مضطرباً ضعيفاً لا يعتمد عليه . وكان يعلم

Diehl, C., *Europe Orientale*, 7-8.

Anne Comnène, *op. cit.*, I, 53.

ان امبراطور الغرب هنريكوس الرابع كان لا يزال معوزاً فأرسل وفداً يقدم اليه مبالغ من المال كبيرة ووعوداً سياسية عظيمة ، ويطلب في الوقت نفسه تدخلاً في ايطاليا ضد العدو المشترك روبر غيسكارا^١. ثم اتصل بالبنادقة وأبان لهم الخطر المحدق بهم وبتجارتهم من احتلال النورمنديين لشاطئي الادرياتيك عند مداخله ، ووعدهم بفتح جميع مرافئء الدولة لمراكبهم وتجارتهم ما عدا البحر الاسود ، وأعفى جميع بضائعهم الداخلة الى هذه المرافئء والخارجة منها من جميع الضرائب . فدخل البنادقة معه في حلف عسكري شامل ضد النورمنديين^٢.

وكان روبر قد احتل جزيرة كورفو وفرض الحصار على مدينة ديراترو وذلك في حزيران من السنة ١٠٨١ . فعزم اليكسيوس على ان يقوم بنفسه الى منطقة القتال لئلا يترك هذا الحصار . فأسند الحكم الى والدته حنة دلسانة وعين لوغوئيتاً قديراً يعاونها في ذلك^٣ ، وقام الى جبهة القتال . ورأى كبار القادة ان يحصر النورمنديون المحاصرون بين اسوار ديراترو والبحر وان يضيق عليهم هذا الحصار فتضطرهم قلة المؤن الى طلب الصلح . ورأى غيرهم ممن كانوا دونهم سناً وخبرة ان يصار الى القتال حالاً . فأصغى اليكسيوس الى هؤلاء فأخفق اخفاقاً ذريعاً وسقطت ديراترو في يد النورمنديين في الحادي والعشرين من شباط سنة ١٠٨٢ . وكان من الطبيعي ان يتجه روبر بجيشه نحو القسطنطينية . وما ان وصل الى كستورية حتى تسلم رسالة من البابا غريغوريوس السابع ينبئها بقدم الامبراطور هنريكوس الرابع الى ايطاليا ويرجر معونته . وعلم روبر

Anne Comnène, op. cit., I, 133-136.

١

Dolger, F., Regesten, 1081.

٢

*Diehl, C., Un Haut Fonctionnaire Byzantin, (Mélanges Jorga, 1933), ٣
217 ff.*

ايضاً ان بعض زعماء النورمنديين في ايطالية شقوا عصا الطاعة ، فوكل
أمر القيادة الى ابنه بوهموند وعاد الى ايطالية . ولم يتابع بوهموند
الزحف على القسطنطينية بل اتجه جنوباً وحاصر بينينة . وجيش اليكسيوس
جيشاً جديداً وقام الى الجبهة يعيد الكرة في ايار السنة ١٩٨٢ ولكنه
أخفق مرة ثانية . فاحتل بوهموند منطقة البحيرات وسيطر على جميع
مقدونية الغربية ثم نزل الى ثيسالية وحاصر لاريسة . فجاءه اليكسيوس
في ربيع السنة ١٠٨٣ وأتاه بالحيلة فألبس ميليسنوس احد رجاله ثياب
الفيلسوس واحاطه بالهبة والوقار وجعله ينازل بوهموند . وتخاذل ميليسنوس
امام بوهموند ، فلحق به القائد النورمندي ، فابتعد عن قاعدته ، فسطا
عليها اليكسيوس وأتلف ما فيها . فاضطر بوهموند الى ان يتراجع نحو
الشاطيء . وكانت مراكب البنادقة قد اوقعت بمراكب النورمنديين خسارة
كبيرة في بحر الادرياتيك ، وتأخرت جماكية العساكر والضباط ،
فاستغل اليكسيوس هذا الموقف وأوغر صدور هؤلاء الضباط كما اغدق
على بعضهم المال ليعودوا الى ايطالية . فاضطر بوهموند الى ان يذهب
الى ايطالية بنفسه لتأمين إعطيات الجند وضباطهم . فاضطرت احوال الجيش
النورمندي واستعاد اليكسيوس كستورية في خريف السنة ١٠٨٣ . وعاد
روبر الى القتال في السنة ١٠٨٤ وأنزل بالبنادقة خسائر كبيرة واحتل
كورفو ثانية . ولكن وباء حلاً في صفوف الجيش فشل كل حركة
عسكرية . وأعاد روبر الكرة في صيف السنة ١٠٨٥ ولكنه توفي في
الجبهة . وكان روبر قد خص ابنه الاصغر روبر بالملك بعده فنشبت حرب
اهلية اوقفت كل عمل عدائي ضد الروم .

ثورة مانوية بتشناغية : (١٠٨٤ - ١٠٩١) وكان يوحنا جيمسكي
قد سبا جماعات من المانويين من حدود الدولة الشرقية الجنوبية الى منطقة
فيلبي في البلقان . وحافظ هؤلاء على عقيدتهم الخاصة فلم ينسجموا مع
الروم واصبحوا مشكلة سياسية داخلية . وفي الحرب النورمندية اقتوفوا
خيانة ضد الدولة وانسحبوا من ساحة القتال في أخرج الاوقات . فاعتاظ
اليكسيوس واستدعى زعماء المانويين اليه وأنزل بهم أشد الوان العذاب .
فغضب قومهم لهم واعلنوها ثورة على الحكم (١٠٨٤) واستعانوا بالبتشناغ .
فعبه هؤلاء الدانوب مخربين محرقين ، وما فتئوا كذلك حتى مداخل ادرنة والى
مسافة قصيرة من شاطيء مرمره . وقدر للروم ان يصمدوا في وجههم في
السنة ١٠٨٦ والسنة ١٠٨٧ فارتدوا على أعقابهم الى ما وراء الدانوب . ورأى
اليكسيوس ان يستغل هذين النصرين فأعد حملة كبيرة . وقطعت جيوشه
البلقان الى الدانوب ، وقام اسطوله عبر البحر الاسود الى مداخل هذا
النهر . وكانت موقعة كبيرة امام دريستره في صيف السنة ١٠٨٦ . فانكسر
الروم وخسروا رداء العذراء العجائبي . واضطر البتشناغ الى ان يجاربوا
من جاورهم من القبائل عبر الدانوب فلم يعودوا الى الحرب مع الروم
قبل السنة ١٠٨٩ ، وفيها وصلوا ثانية الى مداخل ادرنة ، فاضطر الفسيلفس
الى ان يشتري السلم شراءً . ولكن البتشناغ عادوا الى الحرب في السنة
١٠٩٠ وهددوا العاصمة نفسها . واشتد القتال وطال أمده فاستعان الروم
باعداء البتشناغ : قبيلة البولوف Polovtzes . وكانت موقعة حاسمة في التاسع
والعشرين من نيسان سنة ١٠٩١ عند نهر اللابورنيون Leburnion فانهمزم
البتشناغ وتراجعوا ليقعوا في قبضة البولوف ، فكانت مجزرة كبيرة .

Anne Comnène, op. cit., II, 43, 87-101, 143; Chalandon, F., op. cit., 104, 113-116, 129 ff.

ازدياد نفوذ الاتراك السلاجقة : وفي اثناء هذا كله ، بينما كان اليكسيوس يحارب النورمانيين في الغرب ، والبتيشاغ في الشمال ، كان الاتراك السلاجقة يزدادون نفوذاً وسلطاناً في آسية الصغرى وفي شمالي سورية . فأصبح حق الفسيلفس في السيادة على سليمان ابن قطلمش حقاً نظرياً لا فاعلية له . واتخذ هذا لقب سلطان وشرع يوسع حدود منطقتة ويعمل وكأنه دولة مستقلة . فاحتل انطاكية في كانون الاول من السنة ١٠٨٤ دون ان يبدي اليكسيوس اية حركة . ثم تناول على فيلرته وبسط سلطته على جميع امارته^١ . وعبثاً حاول فيلرته ان يحتفظ بسلطته بتقبل الدين الاسلامي^٢ . وما ان طالب امير حلب سليمان بالمال الذي كان يدفعه فيلرته له حتى قام اليه بجيشه وفرض سلطته عليه . فذب الذعر في نفوس سائر امراء سورية . وجيش تتش امير دمشق وقام الى حلب فنازل سليمان بالقرب منها في شهر تموز من السنة ١٠٨٥ وقضى عليه . وما ان توفي سليمان ابن قطلمش حتى رفض معظم الامراء الذين كانوا قد دخلوا في حكمه ان يقرروا بالطاعة لابنه وولي عهده قلعج أرسلان . فسادت الفوضى جميع ارجاء سلطنة سليمان (سلطنة الروم فيما بعد) . وأنفذ ملكشاه قوة الى سورية وأعاد توزيع الاقطاع والسلطة فيها . وغضب جلال الدولة ملكشاه على وزيره الكبير نظام الملك ودس^٣ اليه من قتله ، ثم توفي هو في التاسعة والثلاثين من عمره (١٠٩٢) . فاضمحلت عظمة الدولة السلجوقية وتفككت اواصرها . وكان الخليفة المستظهر قد أقر ابن ملكشاه الرضيع في السلطنة فطلبها اخوه بركياروق فقام عليه عمه تتش . فبذر التشويش وعمت الفوضى سورية والعراق . وأحب

Anne Comnène, *op. cit.*, II, 64; Laurent, J., *Byzance et Antioche*, Rev. ١
Etudes Arm., 1829, 71-72.

Laurent, J., *Byzance et les Turcs Seljoucides*, 85-86.

اليكسيوس الفيلسوف ان يستغل الموقف لصالحه وصالح الروم ، ولكن الغرب كان قد بدأ يتمخض بالحروب الصليبية .

الروم والصليبيون : ولم يكن امر الجهاد في سبيل الدين امراً مستحدثاً جديداً . فمنذ ان تنصرت الدولة الرومانية أصبح رئيسها حامي الدين مجاهداً ومبشراً ايضاً . ولم تنطبع حروب النصارى وحدهم بهذا الطابع الديني . فحروب الفرس ضد الروم كانت تحمل ايضاً طابعاً دينياً خاصاً . وحروب العرب كانت في اساسها حروباً دينية لا قومية كما سبق ان أشرنا . ولكن الجديد في الحروب الصليبية كان اشتراك جميع الطبقات فيها لغرض ديني معين . ولا يختلف اثنان فيما نعلم في ان بعض الصليبيين اندفع بدوافع مادية غير دينية ، ولكن التيار الجارف ظل دينياً في الدرجة الاولى .

والحروب الصليبية كانت حروباً غربية قبل ان تكون حروباً شرقية . والمحرك الاكبر فيها كان البابا اوربانوس الثاني (١٠٨٨ - ١٠٩٩) . فانه خشي فيما يظهر تجدد النشاط الاسلامي بظهور الاتراك السلاجقة وبانتصاراتهم المتواترة ، وآلمه ضعفهم المتزايد على الكنائس الشرقية ، فأحب ان يتحد جميع ملوك النصارى وامرائهم وشعوبهم في حملة واحدة لتحرير هذه الكنائس الشرقية ولحماية القبر المقدس وتأمين سبل الحجاج . فسعى منذ ان تبوأ السدة الرومانية لتقريب القلوب بين فرعي الكنيسة الام . ورفع الحرم الذي كان قد وضعه سلفه غريغوريوس السابع على اليكسيوس فيسيلفوس الروم . وأرسل وفداً الى القسطنطينية يعلن هذه السياسة الجديدة ويرجو السماح باستعمال الفطير في كنائس القسطنطينية اللاتينية واعادة اسمه

الى الذبيخة^١. وتقبل اليكسيوس الفيلسوف والبطريك المسكوني هذه
 البادرة الطيبة بجرارة وأرسلا وفداً الى رومة يرجو حبرها العظيم ان
 يشرف القسطنطينية ويرأس مجعاً مسكونياً يعيد المياه الى مجاريها. وهب
 اكيريكي أمالفي اللاتيني ورئيس اساقفة اخريدة الارثوذكسي بيتان خسة
 التخاصم حول «الطقوس» عندما تكون العقيدة «واحدة»^٢. وعلم
 مناويء اوربانوس الثاني وخصمه اقليمس الثالث بهذا كله فعرض على
 الفيلسوف ان يوقع هو صك الاتحاد بين الكنيستين. ولكن اليكسيوس
 آثر الامانة لاوربانوس لان الفضل في ذلك عائد اليه. فشاغب البابا
 المناويء، فلم يتمكن اوربانوس من القيام الى القسطنطينية^٣. وهكذا
 يكون الواقع التاريخي ان اليكسيوس لم يتلمس حرباً صليبية ولم يحث
 الغرب عليها «ليقلب لها ظهر المجن» كما جاء في بعض المؤلفات الحديثة.
 وفي اوائل تموز من السنة ١٠٩٦ وصلت الى البلقان جموع بطرس
 الناسك ناهبة مقتلة مخربة. وتقدمت هذه الجموع نحو القسطنطينية فرحّب
 بها الفيلسوف واكرمها، واستقبل بطرس الناسك ووضح له وجوب
 الانضباط واحترام حقوق السكان. وكان اتباع بطرس قد أقاموا خارج
 اسوار المدينة، فعاثوا في الضواحي فساداً وخرقوا حرمة الكنائس. فرأى
 اليكسيوس ان يجابههم بجيرانه الاتراك السلاجقة عبر البوسفور لعلهم
 يفقهون. وما ان حطت رحالهم في آسية حتى هاجموا الاتراك، فبدد
 هؤلاء شملهم. فارعوا وكفوا عن القبيح ورضوا ان يعودوا الى ضواحي
 القسطنطينية عزلاً.

١ Malaterra, G., *Historia Sicula*, P. L., 149; Bréhier, L., *Byzance*, 307.

٢ Michel, A., *Amalfi und Jerusalem*, 34-37; Holtzmann, *Kaiser Alexios und Papst Urban II*, *Byz. Zeit.*, 1928, 38 ff.

٣ Bréhier, L., *Byzance*, 310.

وفي صيف هذه السنة قذف البحر إلى شاطئه إيبروس أخا ملك
فرنسة هوغ دي فارمندوى Hugues de Vermandois ، فوقع في أيدي الروم
ونقل إلى القسطنطينية . فحاطه اليكسيوس بشيء كثير من الأكرام
والاحترام ، ورأى فيه خير وسيط بينه وبين زعماء الصليبيين القادمين .
وزاد في أكرامه فتعلق الأمير الأفرنسي بالفيلسوف وباعه على الطاعة
والولاء .

ثم جاء في كانون الأول من هذه السنة نفسها غودفروي دي بويون
Godefroy de Bouillon بجموعه . وكان اليكسيوس قد سمع بشجاعته وثرأته
وكرمه فأكرمه . ولكن غودفروي رفض مبايعة الفيلسوف . فتوترت
العلاقات بين الاثنين . وقلت المؤونة لدى اتباع غودفروي خارج أسوار
العاصمة ، فلجأوا إلى العنف وارتادوا اقتحام أحد مداخل القسطنطينية .
فصدم الروم بالقوة وتغلبوا عليهم . فأخذوا إلى السكنية . ودعا الفيلسوف
الزعيم الصليبي إلى مأدبة أقيمت في القصر المقدس على شرفه ، فباع
غودفروي الفيلسوف على الطاعة والولاء ، ومضى في نيسان سنة ١٠٩٧
بجموعه إلى آسية .

وفي ربيع السنة ١٠٩٧ أطلّ بوهيموند النورمندي الإيطالي ، فأعلن
فور وصوله استعداداه لمبايعة الفيلسوف على الطاعة والولاء ورغبته الأكيدة
في التعاون مع الروم إلى أقصى الحدود . وكان بوهيموند قد حارب
اليكسيوس في ألبانية وفي اليونان ، كما سبق أن أشرنا ، فاعتور علاقاته مع
الروم في بادئ الأمر شيء من الحذر والبرودة . ولكن شخصيته الجذابة
ومواهبه الكبيرة ونجاحه في التظاهر بالصدق والاخلاص عاونت على إزالة
هذا الحذر وذلك الفتور . فقد قالت ابنة الفيلسوف صاحبة الأليكسياذة
أن بوهيموند فاق جميع رجال عصره في جميع أنحاء الإمبراطورية جسماً
وروحاً ومقدرة . وأعجبت على الرغم من كرهها للعنصر اللاتيني بليته

ومرونته ولباقته ومقدرته في التعبير وفصاحته . ولم ترَ أفضل منه سوى والدها العظيم . وزال الشك وتفاهم الكبيران ، واستقبل الفيلسوف ضيفه واهدى اليه شيئاً كثيراً من الذهب والدرهم والاقمشة النفيسة ، ثم ارسل اكثر منها الى محل اقامته . فاغتنب بوهيموند بما أوتي من نعمة وطلب الى الفيلسوف ان يدخل في خدمته ويتولى قيادة جيوشه . فاجابه اليكسيوس ان كل آتٍ قريب وانه بانتظار ذلك سيقطعه اراضي فسيحة في منطقة انطاكية . ولم يتردد بوهيموند في دخوله في طاعة الفيلسوف فاقسم بين الولاة^١ . ثم جاء روبر دي فلاندر Robert de Flandre فدخل في طاعة الفيلسوف . اما ريموند دي سان جيل Raymond de Saint - Gilles فانه وصل 'مكدرراً مستاءً غير مستعد لمبايعة اليكسيوس . فأقنعه بوهيموند النورمندي بوجود الدخول في طاعة الفيلسوف ففعل وأصبح من أخلص اصداق اليكسيوس وأشدهم وفاءً له . وأعجب اليكسيوس بحكمة هذا القومس واتزانه وصدقه واخلاصه واستقامته . أما تنكريد الصقلي Tancrede نسيب بوهيموند فانه لم يرضَ ان يمر بالقسطنطينية او ان يقسم بين الولاة والطاعة لفيلسوف الروم ، وأعلن ان هذا القسم لا يفرض عليه الا نحو سيده بوهيموند^٢ .

وكان ينقص هؤلاء جميعاً فيما يظهر الشيء الكثير من آداب السلوك وحسن المعاشرة ، فكانوا يدخلون على الفيلسوف في الصباح الباكر ولا يفارقونه الا في نهاية المساء متطلبين متطاولين او مسترشدين او متحدئين مسامرين . وكانوا في كثير من الاحيان متهتكين سفهاء خالعين بوقع الحياء ضعفاء

Anne Comnène, *Alexiade*, II, 224-226, 234.

Diehl, C., *Europe Orientale*, 19-21.

الارادة لا يمتنعون عن شيء مما يرغبون فيه ، متكلمين بما لا ينبغي متشدقين^١. وكان اليكسيوس مثال الدمائه والطف والصبر . فأحبوه واعجبوا به . وتمكن بصبره ودهائه ولطفه وكرمه من التوصل الى تفاهم تام معهم . ففي شهر ايار من السنة ١٠٩٧ وقع الطرفان معاهدة قضت بان يرفع الفسيلفس علم الصليب ، وان يضع تحت تصرف الزعماء فرقة محاربة ، وان يحمي طريقهم في اثناء مرورهم في اراضي الدولة البيزنطية ، مقابل دخول هؤلاء في طاعته ومبايعته^٢.

وقام الزعماء الصليبيون من القسطنطينية بما لديهم من رجال وعبروا البوسفور وانضموا الى جموع غودفروي دي بويون ، وحاصروا نيقية فسقطت في يدهم ، فاستولوا على الغنائم وأعادوا المدينة الى الفسيلفس . ثم اتجهوا جنوباً مذللين الصعاب في قلب دولة السلاجقة ، متعاونين في ذلك مع فرقة بيزنطية بقيادة تتيكيوس Tatikios أحد كبار قادة الروم . وجهز اليكسيوس حملة برية بحرية بقيادة يوحنا دوقاس فاستولى على افسس وساردس وازمير وازالية . وقام الفسيلفس بنفسه على رأس قوة ثانية فاضع جميع بيثينية . وُغلب قلعج ارسلان وتقوضت اركان سلطته . واستعاد اليكسيوس قلب آسية الصغرى وشواطئها الغربية^٣.

مشكلة انطاكية : ونفذ كل من الطرفين المتعاقدين ما نصت عليه المعاهدة وساد الحب والوثام . وقام اليكسيوس من القسطنطينية على رأس جيش قوي ليلتحق بالصليبيين . ولكن بودوان استأثر بالرها وجهاتها ولم يعدها الى الفسيلفس . وطفى بوهموند وتجير وطمع بانطاكية وملحقاتها ،

Diehl, C., Figures Byzantines, Série II, ch. I, 5 ff.

١

Hagenmeyer, H., Epistulae et Chartae ad Historiam Primi Belli Sacri Spectantes, XII, 154.

٢

Anne Comnène, Alexiade, III, 3-27.

٣

وكذب على تتيكيوس القائد الرومي فقال له ان زعماء الصليبيين لا يضررون الا السوء له ولسيده وحرّضه على الخروج ثم وصمه بالجن . وقام كربوقا امير الموصل لصد الصليبيين . فخشي اليكسيوس هجوماً تركياً جديداً على فتوحاته في آسية الصغرى فعاد الى عاصمته^١ .

وما ان تربع بوهيموند في انطاكية حتى بدأ يطمع في توسيع امارته . فحاول في حزيران السنة ١٠٩٩ ان يخرج الروم من اللاذقية . وفي السنة ١١٠٠ هجم على ابامية وحلب ثم مرعش . وكانت هذه قد اعيدت الى الروم بموجب شروط المعاهدة . وعلى الرغم من وقوع بوهيموند في يد الاتراك اسيراً في تموز السنة ١١٠٠ فان نسيبه تنكريد الذي تولى الحكم في انطاكية في غيابه استولى على طرسوس واذنة . ثم حاصر اللاذقية ثمانية عشر شهراً واستولى عليها في السنة ١١٠٢ وأخرج الروم منها^٢ . وأفسد هذا الطمع السياسي مرة اخرى العلاقة بين الكنيسة الارثوذكسية والكنيسة اللاتينية . فانه على الرغم مما كان قد حدث في السنة ١٠٥٤ بين البطريرك المسكوني وبابارومة ظل البطريرك الانطاكي يذكر بابارومة في الذبيخة^٣ . ولكن طمع بوهيموند دفعه الى طرد البطريرك الانطاكي يوحنا السابع من انطاكية لانه كان يونانياً والى اسناد هذا الكرسي الرسولي الى القس برناردوس فلانسية اللاتيني . ولا صحة في القول بان يوحنا السابع استقال استقالة فشفغر كرسيه فنُصب برناردوس ، لان يوحنا لم يستقل قبل وصوله الى القسطنطينية ، ولان استقالته هذه ارتبطت منذ لحظةها الاولى بانتخاب خلف ارثوذكسي له يوحنا الثامن (?) وذلك بالطريقة القانونية المرعية

Grousset, R., *Hist. des Croisades*, I, 100 ; Dolger, F., *Regesten*, 1210. ١

Grousset, R., *Croisades*, I, 382-386. ٢

Runciman, S., *First Crusade*, 237. ٣

الاجراء آنثذ١.

وعاد بوهيموند من الاسر في صيف السنة ١١٠٢ واستقر في انطاكية . فطلب اليه اليكسيوس الفسيلفس ان ينفذ شروط المعاهدة المعهودة ويعترف بسلطته على انطاكية ، فرفض بوهيموند . فلجأ اليكسيوس الى العنف والحرب . واحتل الروم طرسوس واذنة وميسترة ، وحاصروا اللاذقية وأنزلوا قواتهم في نقاط متعددة على الشاطئ السوري . وهبّ السلاجقة للاخذ بالتأر وأوقعوا بالصليبيين هزيمة شنعاء عند الرقة ثم حاصروا الرها . وخشي بوهيموند سوء العاقبة فانسلّ من بين قوات الروم البحرية ووصل الى كورفو وكتب منها رسالته الشهيرة الى اليكسيوس الفسيلفس : « وسأصل الى القارة الاوروبية وسأجمع اللومباردين واللاتينيين والالمان ومواطني الافرنج فأعود اليك مائثاً مدنك بجثث القتلى وبالدم ، ولن اتوقف الا بعد ان اكون قد غرزت رحلي في أرض بيزنطة٢ » . ووصل بوهيموند الى ايطالية في اوائل السنة ١١٠٥ واتصل بجبر رومة ، فرحب به وعين ممثلاً يطوف معه ليستنهض الهمم . ثم زار فرنسة فاستقبله مليكها فيليب الاول بالاكرام والاحترام وأصهر اليه . وكان بوهيموند حينما حلّ يطعن بفسيلفس الروم ويلقي على عاتقه مسؤولية اخفاق الصليبيين في سورية الشمالية . فاوغر الصدور ضد الروم في عواصم اوروبة وامهات مدنها . ونشأ كره لاليكسيوس دام قرولاً طوالاً . وما فتئت اوروبة تلوم هذا البطل الشرقي حتى قام علماءها يبحثون ويدققون في النصف الثاني من القرن الماضي . وفي خريف السنة ١١٠٧ أنزل بوهيموند اربعة وثلاثين الفاً في أفلونة ، ثم قام الى ديراتزو وبدأ بحصارها . وما ان فعل حتى هبّ اليكسيوس

Grummel, *Les Patriarches d'Antioche du nom de Jean*, Echos ١
d'Orient, XXXII, 286-298 ; Runciman, S., *First Crusade*, 320-321.
Anne Comnène, *Alexiade*, II, 129-130.

لقتاله براً وبحراً. فقطع اسطول الروم كل علاقة بين بوهيموند واوروبه الغربية، وحصر الفسيلفس بنفسه بوهيموند في البر. قتلت المؤن لدى بوهيموند واضطرت جموعه، فاضطر الى ان يفاوض في الصلح. فأملى عليه الفسيلفس شروطاً أهمها ان يعتبر بوهيموند نفسه احد رجال الاقطاع في خدمة الفسيلفس، وان يقسم بين الولاء والطاعة للفسيلفس ولولي عهده من بعده، وان يمتنع عن حمل السلاح في وجهه، وان يجارب في صفوف الفسيلفس كلما قضت الحاجة بذلك، وألا يطمع في توسيع سلطته على حساب دولة الروم، وان يعيد الى الروم جميع الاراضي التي كان قد اقتطعها من جسم الدولة، وان يعيد اليها اللاذقية وغيرها من ساطيء سورية، وان يحكم انطاكية باسم الفسيلفس، وان يكون بطريركها ارثوذكسياً من رجال كنيسة الحكمة الالهية. ثم انعم اليكسيوس على بوهيموند بالهدايا وبلقب سفاستوس^١.

وعاد بوهيموند الى ايطالية وتوفي فيها بعد قليل فلم يبصر انطاكية ثانية. ورفض تنكريد ان ينفذ شروط هذه المعاهدة، وعاد الى التوسع على حساب الروم فاحتل ابامية في السنة ١١٠٦ فاللاذقية وميستره وجزءاً من قيليقية في السنة ١١٠٨ فجبلة في السنة ١١٠٩. وجرت مفاوضات حول هذه الامور في طرابلس وفي مدينة القدس فلم تسفر عن شيء. وتوفي تنكريد في السنة ١١١٢ وبقيت مشكلة انطاكية تنتظر الحل طوال القرن الثاني عشر^٢.

ملكشاه الثاني والحرب التركية : وتوفي قلعج أرسلان في السنة ١١٠٦ فخلقه ابنه ملكشاه الثاني وتوحدت صفوف السلاجقة وعادوا الى الأغارة.

Anne Comnène, *Alexiade*, III, 228-248.

١

Diehl, C., *Europe Orientale*, 26-27.

٢

وهاجموا فيلادلفية في السنة ١١١١ وحاصروا نيقية في السنة ١١١٢ وتوغلوا في اراضي الروم في السنة ١١١٥ . فتصدى لهم اليكسيوس بنفسه في السنة ١١١٦ محاولاً اقتحام قونية . فأحرز نصراً كبيراً عند فيلوميليون وأملى على ملكشاه الثاني معاهدة وطدت اقدام الروم في آسية الصغرى لأول مرة بعد منزكرت . فاستحوذ اليكسيوس على دوقية طرابزون وقسم من ثيمه ارمينية ، وعلى كل ما وقع غربي خط امتد من سينوب حتى فيلوميليون ، وعلى شواطىء الاناضول الجنوبية^١ .

اليكسيوس والغرب : وخلا الجو لاليكسيوس في ايطاليا الجنوبية اذ اصبحت هذه المناطق وليس فيها سيد كبير يدبر شؤونها . واشتد النزاع بين هنريكوس الخامس والبابا باسكال الثاني (١٠٩٩ - ١١١٨) وطلب حبر رومة معونة الفسيلفس . فأرسل اليكسيوس وفداً مفاوضاً الى رومة في صيف السنة ١١١٢ . وكانت محادثات وعود حول اتحاد الكنيستين وتوحيد التاج الامبراطوري بين الشرق والغرب ولكنها لم تثمر . فالاكليروس الشرقي أظهر استعداداً تاماً للعودة الى ما كانت عليه الحال قبل الانشقاق ، اي الى التمشي بموجب قرارات المجامع المسكونية ، ولكن حبر رومة لم يرضَ بالتقدم بالكرامة فقط بل طالب بالسلطة^٢ .

السياسة الداخلية : وكانت الفوضى قد عمّت جميع دوائر الدولة ، فعمل اليكسيوس الاول على اعادة النظام وتوطيد الامن وتوزيع العدل . ورأى ان شيئاً من هذا لن يكون الا اذا استعاد هو السلطة كل السلطة الى يديه . ولم يرضَ بمجرد تسيير دفعة الحكم ، بل رغب في السيطرة كي يصبح سيد الموقف فيعيد الهيبة والوقار اللازمين للحكم .

Dolger, F., Regesten, 1269 ; Anne Comnène, Alexiade, III, 208-209. ١

*Patrologia Latina, 127 (Chrysolaras), 911 ff; Chalandon, F., Alexis ٢
Comnène, 263 ; Bréhier, L., Byzance, 318.*

وبدا بالجيش . ولمس نقصاً مخيفاً في عدد الحياالة ونوعهم . فأدخل
تعديلاً على نظام الاقطاع العسكري وانشأ البرونية . فاقطع الرجال عدداً
من القرى وسمح لهم بحماية الضرائب فيها شرط ان يقدموا للجيش عدداً
معيناً من الفرسان بخيولهم وأسلحتهم . وكان النظام القديم يقضي باقطاع
الجنود ارضاً معينة يستغلونها للقيام بالخدمة العسكرية في زمن الحرب .
وأضاف الى هؤلاء الحياالة الجدد عدداً من الفرسان المترتبة . وجاء هؤلاء
من شعوب اوروبة ولاسيا السكسون . فاستعاض بذلك عن النقص الذي
حلّ بفرق الحياالة من جراء تقلص الدولة في آسية الصغرى . ثم التفت
الفيلس الى الاسطول فرأى ان معونة البندقية لم تكن كافية وانه
لا يجوز الاعتماد عليها وحدها فعاد الى انشاء اسطول رومي جديد . ثم
رأى ان يعهد بقيادة قواته البرية والبحرية الى انسابه الاقرباء ليضمن
بذلك ولاء القادة للعرش .

وكانت طبقة الاشراف قد خسرت شطراً كبيراً من نفوذها واحترامها
في القرن الحادي عشر وكان عدد اعضائها قد قلّ . فانشأ اليكسيوس
طبقة جديدة بالقاب افخم وأعظم كانت مخصصة من قبل لافراد الاسرة
المالكة . فمنح هذه الالقاب لعدد كبير من انسابه واقربائه .
فأحاط نفسه بطبقة جديدة من الاشراف موالية له . وقلّ اكتراث
الفيلس بن بتي من اعضاء مجلس الشيوخ وانشأ مجلساً خاصاً من الاشراف
ذوي النسب العالي ومن كبار المرظفين المدنيين والعسكريين . وامتعض
بعض الشيوخ وبعض القادة وبعض افراد الطبقة الارستوقراطية القديمة ،
وكثر التآمر فصادر الفيلس اموال المتآمرين المنقولة وغير المنقولة وزاد

هؤلاء ضعفاً على ضعف .

وكان دخل الخزينة قد نقص نقصاً فاضحاً لاسباب اهمها : كثرة الحروب الداخلية والخارجية ، وتقلص مساحة الدولة ، وقلة النتاج في الارياض . فأمر اليكسيوس بفتح جديد وضم الى املاك الدولة جميع الاراضي التي احتلها الكبار دون حق شرعي^١ . ثم لجأ الى تزييف النقد فسك نقوداً لا تحمل القيمة نفسها من معدنها التي كانت تحملها قطع العملة السابقة . وفرض الضرائب على اساس العملة الجديدة ولكنه جباها بقيمة العملة الصحيحة . فأحدث عمله هذا اضطراباً في الاسواق وهياجاً في النفوس مما حمله على اعادة النظر في الضرائب بين السنة ١١٠٦ والسنة ١١٠٩ وطرق جبايتها . وعدل اليكسيوس في فرض الضرائب وجبايتها فقلل الاعفاء وتساوى القوم^٢ . وكثر دخل الخزينة فأورث الفيلسوف ابنه جيشاً منظماً مدرباً ومالاً وافراً^٣ .

اليكسيوس والدين والكنيسة : وكان اليكسيوس شديد الورع والتقوى وكان يجب علم اللاهوت ويناقد فيه ويؤلف في بعض مسائله . وكانت ابنته حنة صاحبة الاليكسيادة تعجب بسعة اطلاعه في هذا العلم وبتقواه فجعلته « ثالث عشر الرسل » . ومما يروى عنه في هذا الشأن ان جنوده في ابان الثورة التي اوصلته الى العرش نهبوا العاصمة وسلبوا وسبوا . فهب اليكسيوس بعد ان استوى على عرشه يحمل نفسه وافراد أسرته صوماً وتقسفاً وغير ذلك ليكفر عما جرى .

Roullare, G., *Un Ouvrage Recent sur l'Etat Byzantin*, *Rev. de Philologie*, 1942. ١

Chalandon, F., *Alexis Comnène*, 302. ٢

Diehl, C., *Europe Orientale*, 31-33. ٣

Anne Comnène, *Alexiade*, II, 300. ٤

وفي السنة الاولى من ملكه استقال البطريرك المسكوني قزما
الاوروشليمي لانه كان قد قضى حياته كلها في الزهد بعيداً عن العالم
ومشاكله فلم يرق له البقاء في سياسة الكرسي . ففي الثامن من شهر ايار
١٠٨١ أكمل خدمة القداس ثم قال لحُادمه « هات المزامير واتبعني » ،
وترك الكنيسة وذهب الى ديره ولم يعد . فتولى السدة المسكونية بعده
افستراتيوس . وكان قليل الثقافة ضعيف الارادة فسقط في بدعة يوحنا
الايطالي وقال بتقمص الارواح ، فأنزله المجمع القسطنطيني عن كرسي
الرئاسة وأقام بعده البطريرك نيقولاووس الثالث الملقب بالغراماتيكوس .
وكان عالماً كبيراً وراهباً باراً وديعاً تقياً . فساس السدة القسطنطينية
سبعة وعشرين عاماً . وتوفي شيخاً طاعناً في السن في السنة ١١١١ . وكان
يوحنا الايطالي الاستاذ الاول و « فنصل الفلاسفة » في جامعة القسطنطينية .
وكان افلاطونياً في فلسفته يكبر رجال الفكر الكلاسيكي فيقدمهم على
بعض آباء الكنيسة . وكان يقول فيما يظهر بأزلية المادة وازلية الافكار ،
وبتناسخ الارواح وتقمصها . وفي السنة ١٠٨٢ شكاه البعض الى الفيلسوف ،
فأمر بالتحقيق معه ، ثم بثوله امام المجمع المتمدس . فاعترف يوحنا بركوبه
متن الشطط في بعض النقاط ولكنه أصر على غيرها وامتنع عن التراجع
عما اعتقده حقاً ، فحرمه المجمع . ولكنه لم يضايق تلامذته واتباعه فبقيت
هذه الافكار الافلاطونية شائعة في الاوساط العلمية العالية في القسطنطينية
وظل اللقب « محب افلاطون » لقباً مشرفاً في عاصمة الروم . وقام بعد
ذلك الراهب المصري نيلوس تلميذ يوحنا الايطالي يعلم في القسطنطينية ان
جسد المخلص تأله حالما اتحد باللاهوت فحرمه المجمع القسطنطيني في السنة

Uspenski, T., Jean Italos, Bull. Inst. Russe de Constantinople, 1897 ; ١
Oeconomus, L., Vie Religieuse au Temps des Comnènes, 18 ff ; Bréhier,
E., Hist. de la Phil., I, 627 ff.

١٠٩٤ وحرّم اتّباعه^١.

وكان قد رغّب بعض أسلاف اليكسيوس من أباطرة القرن الحادي عشر في إصلاح الرهبنة ، فأقطعوا بعض العلمانيين الأكلفاء أديرة معينة وأوقفها ووكّلوا اليهم أمر إدارتها وذلك لكي ينقطع الرهبان والراهبات فيها للتعبّد وعمل الخير . وعُرف هذا النوع من الأقطاع بالخرّستيخة . فعصمه اليكسيوس ليرضي به بعض كبار الرجال من أهل السياسة وليزيد دخل الخزينة . ولكن هذا التعميم أدى إلى امتعاض شديد في بعض الأوساط الدينية . فقد جاء في ذكريات يوحنا الأنطاكي أن هؤلاء الملتزمين العلمانيين أكلوا الأخضر واليابس ومنعوا عمل الخير وقسّروا على الرهبان فيما يأكلون ويشربون وتصرفوا بالأوقاف كأنها أملاكهم الخاصة . وجاؤوا بذويهم وأصدقائهم إلى الأديرة وأكلوا وشربوا وغنّوا ما لا يليق ، وأفسدوا حياة الرهبان وسلوكهم^٢.

وسمع اليكسيوس هذا وأكثر منه ولكنه أبقي على نظام الخريستيخة لأنه أوقف توسع أوقاف الأديار وزاد في دخل الخزينة . وحاول أن يصلح الرهبان ، وعلم باندفاع أحدهم الراهب خريستوذيلوس في هذا السبيل ، فقربه إليه وشمله بعطفه وشجعه على إنشاء دير نموذجي في جزيرة باتموس . وفي السنة ١٠٨٨ وهب هذا الدير الجديد جميع ما في الجزيرة وأعطى جميع أوقافه من الضرائب ورفع عنه سلطة البطريرك^٣ . وأظهر الفسيفس اهتماماً مماثلاً في شؤون الكهنة خدام الرعية ، فأمر بوجوب تقديم بقواعد

Draeseke, Zu Eustratios, Byz. Zeit., 1896, 323 ff.

Patrologia Graeca, Vol. 132, cols. 1117-1149.

Miklosich et Muller, Acta et Diplomata Graeca, VI, 44-48 ; Dolger, F.,

Regesten, 1147 ; Oeconomus, L., op. cit., ch. VIII.

السلوك وبانتقاء الصالحين من العامة للقيام بهذه الخدمة الشريفة وبوجوب تثقيفهم وتنوير عقولهم .

اقتراب الاجل : وكبرت حنة الفسيلسة الوالدة (حنة دلسانة) وتنحت عن السياسة (١١٠٩) فجاء دور كنتها ايرينة الفسيلسة . وكان اليكسيوس قد بدأ يشكو من داء المفاصل . فعينت به ايرينة عناية فائقة فاعترف بجميلها . وراقبت سير السياسة في القصر مراقبة مجدية ونقلت اخبارها بامانة الى الفسيلفس . فشكرها هذه الامانة ايضاً . ولكنه شعر في الوقت نفسه بميلها نحو ابنتهما حنة وصهرهما نيقيفوروس بريانوس وتأيدها لهما في سعيهما للوصول الى العرش بعده ، فأمر بوجوب بقائها معه . فكانت تنتقل معه حيثما توجه في خارج العاصمة . وفي السنة ١١١٨ أحس باقتراب الاجل فاستدعى ابنه يوحنا اليه وألبسه خاتم الملك وأمر بتتويجه فسيلفساً . فكان له ذلك . ثم توفي بعد قليل في السادس عشر من آب سنة ١١١٨ .

الفصل الثلاثون

خلفاء اليكسيوس كومنينوس

(١١١٨ - ١١٨٥)

يوحنا الثاني : (١١١٨ - ١١٤٣) وكان يوحنا في الثلاثين من عمره عندما تبوأ عرش والده. وجاء في الاليكسياذة لشقيقته حنة انه كان صغيراً ، صغيراً ، اسمر اللون ، عريض الجبهة ، أسود العينين ، ضامر الوجه. ومن هنا لقبه « المغربي » . وأجمع شعبه على حبه واحترامه للطفه ودمائة اخلاقه ورحابة صدره وكرمه وتأدبه واستقامته فأطلقوا عليه لقباً آخر وعرفوه به هو « يوحنا الصالح » Caloyan . وكان كسائر افراد اسرته جندياً كاملاً حازماً عادلاً جريئاً شجاعاً يشارك جنوده المشقة ويسهر على راحتهم . وكان يشعر بمسؤولية الحكم ويحافظ على وقاره ويسعى سعياً حثيثاً للدفاع عن كرامة الدولة^١.

وليس لدينا لتاريخ الروم في عهد هذا الرجل الصالح من المراجع الاولية ما يمكننا من التوسع في اخباره وفهمه فهماً كافياً . فحنة صاحبة الاليكسياذة وقتت فيما يظهر في روايتها عند وفاة والدها .

*Nicetas Choniates, Historia, 45, 63, 64; Anne Comnène, Alexiade, II, 63; ١
Vasiliev, A. A., Byz. Emp., 375-376.*

وقنماموس Cinnamus ونيقيتاس مؤرخا القرن الثاني عشر عُنيا باخبار
عمانوئيل الاول ابن يوحنا . وما جاء في كتابيهما عن يوحنا انما ورد
مقدمةً لخبار عمانوئيل . ويجوز القول ان يوحنا الثاني سعى لاعمار الدولة
فاستقدم بعض العناصر الجديدة وانشأ لهذه الغاية بعض القرى والداكر .
ويستدل من الحريسوبولة التي أصدرها لانشاء دير البانتوقراتور Pantocrator
انه سعى ايضاً لتخفيف البؤس والشقاء والعوّز . ولكن همه الاول كان
فيما يظهر اعلاء شأن الدولة وتدعيم كرامتها .

اخباره في اوروبة : وفي السنة الثالثة من حكمه عبر البتشناغ
الدانوب وانتشروا في البلقان مخربين ناهيين . ولكنهم لم يتمكنوا من
الوقوف في وجه جيش منظم مدرب . فخسروا معركة بيردة وانقطعت
اخبارهم . وتدخل يوحنا في امور الصرب تدخلاً فعلياً فأقام على هؤلاء
امراء مواليين له مخلصين للروم كل الاخلاص .

وعلى الرغم من ان زوجته الفسيلسة كانت اميرة مجرية فان طمع
بعض الزعماء المجرين في الوصول الى ساحل الادرياتيک عن طريق البلقان
والتقارب بين هؤلاء وبعض الزعماء الصربيين أوجب اللجوء الى القوة
لابقاء المجرين ما وراء الدانوب . وتفوق الجيش البيزنطي المدرب على
العشائر المجرية وأنزل بهم خسائر جمة ولكن هذا كله لم يحل المشكلة
المجرية حللاً دائماً^٢ .

وكبر على يوحنا الثاني ان يدفع للبنادقة المال السنوي الذي كان
قد أقره والده في اثناء محنته ، فأعلن البنادقة الحرب وأنفذوا اسطولهم
الى مداخل الادرياتيک والى بحر ايجه فاحتلوا كورفو ورودوس وخيوس

Diehl, C., *Europe Orientale*, 40-41.

Regel, W., *Fontes Rerum Byzantinarum*, II, 334.

في السنة ١١٢٤ وساموس ولسبوس وانذروس ومودونة في المورة سنة ١١٢٥ وقيفالونية في السنة ١١٢٦ . فاضطر يوحنا الى ان يعترف بمعاهدة السنة ١٠٨٢ وان ينفذ شروطها . ورأى يوحنا ان يوثق علاقته مع بعض المدن الايطالية الاخرى ليحد من نفوذ البنادقة ، فأقر لتجار بيزة امتيازاتهم في السنة ١١٣٦ ودخل في تعاون مماثل مع تجار جنوى في السنة ١١٤٢ . ومن هنا ما جاء في تاريخ نيقيتاس من ان مراكب ايطالية سارت مبسوطة القلوع نحو ام المدن^١ .

حروبه في آسية : وكان يحيط بملكه في آسية إمارات تركية سلجوقية ثلاث : مسعود في قونية وما جاورها ، وملك غازي في سيواس وجهاتها ، وطرغل أرسلان ابن قليج أرسلان في ملاطية وتوابعا . وكان السلطان مسعود يهدد وادي المياندر وسهل دوريلة لايجاد المراعي اللازمة لجموعه الرحل . اما ملك غازي فانه كان يطمع في مرافئ البحر الاسود . وكان طغرل لا ينفك عن الاغارة على سواحل ادنة وسائر قيليقية . فهب يوحنا في السنة ١١١٩ الى قلب آسية الصغرى ، الى حدود سلطنة مسعود ، فاحتل لاذقية الاناضول وانشأ فيها حصناً منيعاً يسيطر به على وادي المياندر^٢ . وفي السنة ١١٢٠ استولى على سوزوبوليس Sozopolis فتيسر له تأمين المواصلات مع اضالية في الجنوب^٣ . وفي كانون الاول من السنة ١١٢٤ هجم كل من السلطان مسعود وملك غازي على امارة طغرل في ملاطية فاكرهاه على الالتجاء الى يوحنا^٤ . ثم دب الشقاق في سلطنة قونية فثار عرب على

Nicetas Choniates, Historia, 25; Dolger, F., Regesten, 1304.

١

Chalandon, F., Les Comnènes, II, 45-47.

٢

Cinnamus, J, Historia, I, 2.

٣

Historiens des Croisades, (Arm.), I, 142

٤

اخيه مسعود فالتجاً هذا الى القسطنطينية . ثم تعاون مسعود وغازي على
عرب ، فاكرهاه على اللجوء الى القسطنطينية^١ . فعظم أمر ملك غازي واتسع
سلطانه واشتدت مطامعه في ساحل البحر الاسود وفي وادي الفرات . فحاربه
القسيلفس اكثر من مرة بين السنة ١١٣٢ والسنة ١١٣٥ واستولى على قسطنطيني
وعلى جميع شاطئ البحر الاسود . وبعد وفاة ملك غازي في السنة ١١٣٤
صادق القسيلفس السلطان مسعود واتجهت انظاره نحو قيليقية^٢ . وفي السنة
١١٣٧ حشد يوحنا قوة كبيرة في ارضية . وبعد ان وصل اليها بجرأ قام
على رأسها الى قيليقية فأبعد عنها اميرها لاوون الارمني واولاده واحتل
مدنها وسهولها . وفي السنة التالية القي القبض على لاوون واولاده وارسلوا
مخفورين الى القسطنطينية^٣ .

وكانت مشكلة انطاكية لا تزال قائمة تنتظر حلاً لائثاً . وكان قد
توفي بوهيموند الاول في ايطالية كما سبق ان أشرنا . وكان قد قتل في
الميدان كل من تنكريد الصقلي (١١١٢) وبوهيموند الثاني (١١٣٠) وتولى
الوصاية على قسطندية ابنة بوهيموند الثاني روجه السالارنوي Roger de Salerne .
فارتأى يوحنا الثاني ان يُزوج ابنه عمانوئيل من قسطندية . ووافقت
والدة الاميرة الوريثة . ولكن فولك دانجو ملك القدس ازوج الاميرة
من ريمون قومس بواتيه . فغضب يوحنا الثاني لكرامته . وكان عماد
الدين زنكي حاكم الموصل احد اتابكة السلاجقة يتأهب للاغارة على
دول الافرنج . فما كاد يستولي على Montferrand في بعيرين في تلال
النصيرية المطلة في حماه ويحصر فيها ملك القدس وقومس طرابلس حتى

Michel le Syrien, III, 223-224.

١

Michel le Syrien, III, 227, 232-237.

٢

*Nicetas, Choniates, Historia, 6-7 ; Chalandon, F., Les Comnènes, II, 3
107-118.*

ظهر يوحنا امام اسوار انطاكية (آب ١١٣٧) . فحاصرها فسقطت في يده فرفع علمه على قلعتها وأكره اميرها ريمون على بين الولاة والطاعة^١ . وفي السنة ١١٣٨ زحف على حلب بجموعه وجموع الافرنج المواليين له فلم يتمكن من دخولها . وحاصر شيزر على العاصي ثلاثة اسابيع (٢٦ نيسان - ٢١ ايار) فلم يقوَ عليها^٢ . فعاد الى انطاكية ليجهز ثورة دبرها له امير الرها جوسلان Jocelin . فقام الى القسطنطينية بمتمعضاً^٣ .

ولم يتمكن يوحنا من العودة الى ميدان القتال في سورية لان محمداً ابن ملك غازي أغار على حدود الدولة الشرقية . فصدّه يوحنا في السنة ١١٣٩ ثم تأثره داخل حدوده محاولاً الاستيلاء على حصن قيصرية الجديدة الذي انشأه محمد فلم يفلح واضطر الى ان يعود الى عاصمته في اواخر السنة ١١٤٠ .

وتوفي محمد وتنازع الحكم بعده ابناؤه وغيرهم . فأعد يوحنا حملة جديدة قام بها الى انطاكية ليؤسس امارة لابنه عمانوئيل تشمل قبرص واذالية وما جاورها حتى انطاكية^٤ . وفي شتاء السنة ١١٤٢ تقبل خضوع جوسلان Jocelin قومس تل باشر وتقدم نحو انطاكية واضطر الى ان يحاصرها . وكتب الى فولك ملك القدس انه ينوي زيارة الاماكن المقدسة بجمعه . فأجاب فولك انه يتعذر عليه ايجاد المؤن اللازمة لجيش صديقه الكريم . فكتب يوحنا ثانية مبيناً انه لا يمكنه القيام الى القدس

Dolger, F., Regesten, 1314.

١

Cinnamus, J., Historia, I, 8; Grousset, R., Hist. des Crois., II, 100- 111.

٢

Chalandon, F., op. cit., II, 151-152; Grousset, R., op. cit., II, 121-123.

٣

Cinnamus, J., Historia, I, 10; Chalandon, F., op. cit., II, 184.

٤

دون حرس لاثق برتبته ومكانته . ثم عدل عن هذه الزيارة^١ . وقام من انطاكية الى قيليقية لتمضية الشتاء . وفي اثناء اقامته فيها أصابه سهم مسموم في اثناء الصيد ، فشعر باقتراب الاجل . فنظر في ولاية العرش . وكان ابناه الاكبران قد توفيا ولم يبقَ من اولاده الذكور الاربعة سوى اسحق وعمانوئيل ، فولى الاصغر عمانوئيل وقام الى القسطنطينية وتوفي فيها في الثامن من نيسان سنة ١١٤٣^٢ .

عمانوئيل الاول : (١١٤٢ - ١١٨٠) وخشي عمانوئيل مطامع عمه اسحق الذي كان قد تأمر مراراً على اخيه يوحنا واضطر الى ان يلجأ الى الاتراك . وكان لا يزال آنئذٍ منفيًا في هرقلية . وخشي ايضاً اخاه اسحق الذي كان اكبر منه سنًا وأحق في الملك . ولكن ولاء الشعب لوالده يوحنا ومقدرة وزيره الاول يوحنا اخوخ^٣ ضمناله الوصول الى العرش سالمًا ساكنًا . وكان قد بقي في اضالية حتى منتصف السنة ١١٤٣ فقام الى القسطنطينية وتقبل التاج من يد البطريرك المسكوني في كنيسة الحكمة الالهية كالعادة .

وكان عمانوئيل طويل القامة قويًا جميل الطلعة طلق الحيا أسمر اللون فاتن العينين . وكان مُعجبًا بقوته وفروسيته يستغل كل ظرف لاطهار ما أوتي منها . فذاع صيته في الآفاق وبلغت شهرته الداني والقاصي . ومما يروى من هذا القبيل انه تقلد أثقل الاسلحة وان امراء الصليبيين سمعوا بذلك فلم يصدقوه . وأتيح لامير انطاكية ان يمثل امام الفسيفس الجبار . وشاهد هذا السلاح الثقيل فأراد ان يتثبت من نوعه ووزنه ، فطلب

Dolger, F., Regesten, 1324; Grousset, R., op. cit., II, 150-152.

Cinnamus, J., Hist., I, 10; Crousset, R., op. cit., II, 152-154.

Chalandon, F., Les Comnènes, II, 19.

الى الفيلسوف ان يسمح له بحمل رمح و ترسه . وما ان فعل حتى أعجب
بما أوتي الفيلسوف من قوة وعظمة . فاعاد السلاح مؤكداً ان صاحبه كان
في الواقع جباراً ، واعتذر عن تطفله^١ . وكان الفيلسوف الجديد جندياً رائعاً
مدهشاً يجيد ركوب الخيل ويشاطر جنوده التعب وشظف العيش ويهرع
لمعونتهم غير مبالٍ بالتعب او الخطر . وبما جاء من هذا القبيل انه رمى
بنفسه مرة في نهر الدانوب لينقذ مراكباً أشرف على الخطر وفيه عدد
من الجنود . وقد جاء أيضاً انه كان يهرع الى حصانه احياناً فيمتطيه
ويسرع به لمطاردة العدو قبل ان يستكمل سلاحه . بيد ان توقد عاطفته
الذي ألهب فيه هذا النوع من الشجاعة غضى من قيمته كقائد عسكري .
فقد كانت الصعوبات في ميدان القتال توهن عزائمهم وتثبط همته فتؤدي به
الى التضعف والتراجع .

وأعجب عمانوئيل بالفرسان الصليبيين وبصلابتهم وبأسهم ، فجاراهم في
عادتهم وتقاليدهم الحربية . ووكل الى بعضهم ادارة شؤون الدولة ، وأدخل
غيرهم في الجيش وقلدهم مناصب هامة . وأكبروا هم فيه مواهبه الحربية
ومقدرته الجسدية وثقته بهم . وتدرّب هو على اساليبهم الحربية . وراقبه
مبارياتهم في الفروسية ، فأقامها كما كانوا يقيمونها ، وباراهم فيها في
انطاكية ، فقلب الكثيرين منهم عن سروج خيولهم^٢ .

وخالف عمانوئيل اباة يوحنا في بذخه ومرحه . وأصبح البلاط في
عصره كثير الحفلات زاهياً رائعاً ، تؤمه الظريفات الجميلات من جميع
انحاء الدولة ، وتكثر فيه المغازلات والمغامرات . وكان الفيلسوف يحب
الجمال والاناقة والرشاقة فعني بهن بغير حساب . وضاقت نفسه بزوجته

Cinnamus, J., *Hist. I*, 125.

Diehl, C., *Europe Orientale*, 51-52.

برثة الالمانية التي لم تتزين ولم تتدلس ولم تتفنج ، فـال نحو ثيودورة
احدى قريباته . ثم تزوج من مريم الانطاكية الافرنجية التي فاقت افروديتة
« بعينها الساحرتين وشعرها الذهبي وابتسامتها العذبة وجسمها الفتان » .
وألمّ بالفيلسوف مرض واشتدت وطأته عليه وفقد الاطباء كل أمل في
شفائه ، فطلب اليه وزراؤه تعيين خلفه وأشار عليه البطريرك المسكوني
بالندامة والصلاة . ولكن عمانوئيل أكد لهؤلاء جميعاً ان المنجمين كشفوا
له بخته وقالوا انه سيعيش اربع عشرة سنة وانه سيعود اليه نشاطه وسابق
حبه ومغامراته!^٢

وتميز عمانوئيل بين زملائه في الشرق والغرب معاً بعلمه وادبه وسعة
اطلاعه . فانه كان يقرأ كثيراً ويكتب جيداً ويجد لذة خاصة في الفلسفة
فيجادل فيها بنجاح . وكان مولعاً بالطب يجالس رجاله ويباحثهم فيه
ويمارسه . فهو الذي عالج كونراد الثالث في اثناء الحرب الصليبية الثانية .
وهو الذي قدم الاسعاف الاولي لبودوان ملك القدس عندما وقع عن
ظهر حصانه في اثناء الصيد فكسر ذراعه . وكان موقفه من الدين وعلومه
موقف كل فيلسوف ارثوذكسي قبله وبعده . فانه أظهر رغبة في بحث
المشاكل العقائدية وقام بجميع الفروض الطقسية . وانشأ الكنائس والاديرة .
واهتم بنوع خاص بكنيسة دير البانتوقراطور الجميلة وأحب ان يدفن فيها
هو وسائر افراد أسرته.^٣

واتسعت آفاق عمانوئيل السياسية وطمع في ايطالية وصقلية وفي امارات
الشرق اللاتينية ، فكثرت عدد دعائه وجواسيسه . وتدخل في امور وامور فأصبحت

Nicetas Chaniates, Hist., 151.

١

Nicetas, op. cit. 286.

٢

Cinnamus, J., Hist., 190, 291.

٣

القسطنطينية مركزاً هاماً جداً للسياسة الدولية في القرن الثاني عشر .
وأثارت مطامعه هذه مخاوف شديدة في بلاط فريديريكوس بارباروسه
وابنه هنريكوس السادس كما أيقظت روح العداء بين الروم والصلبيين .
ولم يرضَ الروم عن عطفه على الغربيين وادخالهم في ملاك الادارة وتقليدهم
المناصب الهامة فقاموا عند وفاته بثورة واسعة النطاق ادت الى توارى
زوجته مريم اللاتينية وابنه والى ذبح الايطاليين في العاصمة .

مشكلة انطاكية : وانتهز ريمون دي بواتيه امير انطاكية فرصة
وفاة يوحنا الثاني فاحتل بعض الاماكن داخل حدود الروم في سورية
الشمالية وأغار على قيليقية . فاضطر الفسيلفس عمانوئيل ان ينفذ حملة
عسكرية الى انطاكية نفسها ، واضطر ريمون بدوره ان يقوم بنفسه الى
القسطنطينية ليطلب العفو عما صدر عنه كما اضطر ان يزور قبر يوحنا الثاني
ويركع امامه تكفيراً وتعظيماً (١١٤٥)^١ .

سلطنة قونية : وضعت امارة ملك غازي في شرقي آسية الصغرى
وطمع سلطان قونية مسعود فيها فالتجأ اميرها الى الفسيلفس طالباً المعونة .
فقام عمانوئيل في السنة ١١٤٦ الى قونية مخرباً مدمراً . فأكره
سلطانها على شروط معينة مرضية . وعاد الى القسطنطينية يتدبر أمر الحملة
الصلبية الثانية التي كانت قد بدأت تتحرك متجهة نحو الشرق^٢ .

الحملة الصليبية الثانية : (١١٤٧ - ١١٤٩) وهال الغرب سقوط
الرها في يد عماد الدين زنكي في السنة ١١٤٤ وهبَّ القديس برناردوس
يطوف اوروبة الغربية مستنهضاً مستثيراً الهمم ، فلبى النداء ملوك اوروبة
هذه المرة لا أمراؤها كما في الحملة الاولى . وتزعّم القيادة كونراد الثالث

Cinnemus, J., Hist., II, 3; Grousset, R., Croisades, II, 172-173. ١

Cinnemus, J., op. cit., II, 4-10; Dolger, F., Regesten, 1343-1346, 1352. ٢

امبراطور المانية (١١٣٨ - ١١٥٢) . وكتب البابا اوجانيوس الثالث الى عمانوئيل يدعوه الى الاشتراك في الجهاد . وأرسل لويس السابع ملك فرنسا وفداً خاصاً لهذه الغاية نفسها . فاجاب عمانوئيل مرحباً واعدأ بتقديم المؤن والمراكب والمعونة العسكرية اذا سمحت الظروف بذلك . وكثر القيل والقال في عاصمة الروم حول عدد المجاهدين . واجمعت الآراء على ان الحملة الصليبية الثانية ستشتمل على مئة واربعين الف فارس وعدد لا يحصى من المشاة وان مجموع القوى قد يقارب المليون . واضطرب عمانوئيل في قرارة نفسه وحسب الف حساب . ولم يخشَ طمع الالمان لان والده كان قد وطد العلاقات معهم ووقع تحالفاً أصبح ركن سياسة القسطنطينية في علاقاتها الدولية ، ولانه هو كان قد تزوج في السنة ١١٤٦ من اميرة المانية تمت الى الامبراطور بصلة النسب . ولكنه خشي جموع الفرنسيس لان لويس السابع كان يعطف كثيراً على النورمنديين الايطاليين اعداء الروم ولأن امراء انطاكية والقدس كانوا فرنسويين .

ووصل الالمان اولاً وكانوا قد نهبوا ذات اليمين وذات الشمال في اثناء مرورهم في اراضي الروم ، فطلب عمانوئيل الى كونراد ان يعبر جنوده الدردنيل لا البوسفور في طريقهم الى آسية . ولكن كونراد رفض وتابع سيره نحو القسطنطينية . وحطت رحال جنوده خارج اسوارها وسلبوا ونهبوا وأحرقوا . ولم يرضَ كونراد عن التقاليد المتبعة في التشريعات في القصر المقدس ، فساءت العلاقات بين الكبيرين . ولكن عمانوئيل تمكن من اقناع ضيفه الكبير بوجوب الانتقال الى آسية ومتابعة السير نحو الاراضي المقدسة . وبعد هذا بقليل في خريف السنة ١١٤٧ أطلَّ لويس

السابع بجموعه فجلّ ضيفاً مكرماً على الفيلسوف . واشترك الضيف والمضيف في عيد القديس دنيس في التاسع من تشرين الاول . وساد الحب والتفاهم الاحاديث والعلاقات كلها . ثم طلب عمانوئيل الى لويس السابع وامرائه وأشرفه ان يقسموا بين الطاعة والولاء كما فعل امراء الحملة الاولى . فلم يرضَ الملك الافرنسي بذلك وشاركه في الرفض جميع حاشيته من كبار الرجال . وارتأى احد الاساقفة الافرنسيين ان يصار الى احتلال القسطنطينية ، ولكن لويس أبى مذكراً الاسقف وغيره بالندى الصليبي^١ .

واصطدم كونراد بالاتراك السلاجقة عند دوريلة ولم يتمكن من مجابتهم . فجعل عمانوئيل انكساره نصراً . وما ان سمع الافرنسيون بهذا « النصر » حتى هموا بالرحيل ليتسنى لهم الاشتراك بالنصر . وعبروا البوسفور واتجهوا جنوباً حتى اضالية فانهمكهم التعب وقل انتظامهم . فقام لويس على رأس قسم من جموعه الى الاراضي المقدسة على متن مراكب رومية واتجه الباقيون برأ بدون انتظام . وكان عماد الدين زنكي قد خرباً صريعاً بضربة خنجر في السنة ١١٤٦ فتمكن الامير جوسلان الصليبي من الاستيلاء على الرها . ولكنه لم يتمكن من صد غارات نور الدين على اراضيه . فلما وصل ملوك الفرنجة الى سورية الشمالية رأى ملك القدس بودوان الثالث ان يتجه الملوك المجاهدون نحو دمشق . فوصلوا اليها في تموز السنة ١١٤٨ وأحاطوا بها وخرّبوا غوطتها ولكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة . وأخفقت الحملة الصليبية الثانية وعزا امراؤها هذا الاخفاق الى عمانوئيل وحكومته . وعادوا الى الغرب يعدون العدة لجملة ثالثة توجهه ضد الروم انفسهم^٢ .

Etudes de Deuil, Ludovici VII, 1220-1227.

Grousset, R., Croisades, II, 250-268.

الحرب النورمندية : (١١٤٧ - ١١٥٨) وكان روجه الثاني قد خلف روبر غيسكار في صقلية وجنوبي ايطالية . وكان يحلم منذ تتويجه في بالرمو في السنة ١١٣٠ بتوسع كبير عبر الادرياتيك . وما ان ابتلي عمانوئيل بمشاكل الحملة الصليبية الثانية في صيف السنة ١١٤٧ حتى أعلن روجه الحرب عليه واحتل كورفو . ثم قام منها الى المورة وما فتىء حتى احتل كورونثوس . وكثرت غنائمه ونقل فضة وذهباً كثيراً . ولكن افضل ما وقعت يده عليه صناعة الحرير التي كانت لا تزال سرّاً من الاسرار خارج لبنان والمورة . فنقل الى صقلية عدداً كبيراً من سكان مناطق التوت ودود الحرير الى صقلية ، فانهى بذلك احتكاراً كبيراً كانت القسطنطينية قد تمتعت به زمناً طويلاً .

ولم يتمكن عمانوئيل من صدّ روجه فور نزوله في كورفو والمورة لانشغاله بمشاكل الحملة الصليبية الثانية . واول ما فعل انه اتصل بالبنادقة وعقد معهم تحالفاً جديداً ضد روجه وذلك في خريف السنة ١١٤٧ ، ثم أعقبه بتحالف آخر في آذار السنة التالية . وقضى هذا التحالف بان يشترك البنادقة في صد روجه عن مطامعه مقابل امتيازات تجارية جديدة يمنحهم اياها الفسيلفس . وأهم هذه الامتيازات فتح مرافئ قبرص ورودس لتجارهم وتوسيع منطقة اقامتهم في عاصمة الدولة . وفي اواخر السنة ١١٤٨ ضرب الروم والبنادقة الحصار على كورفو واستولوا عليها في صيف السنة ١١٤٩ . وأنزل اسطول الروم باسطول النورمنديين هزيمة كبيرة عند رأس مالي . فنزعت نفس عمانوئيل الى صقلية وايطالية الجنوبية لابل الى جميع ايطالية . وتمكن الفسيلفس من احتلال انكونة في السنة ١١٥١ . فهبّ روجه

يفتش عن حلفاء يعاونونه في الدفاع عن ملكه . فلقى استعداداً كبيراً
لذلك لدى جبر رومة اوجانيوس الثالث وترحيباً حاراً في عاصمة الفرنسيس .
وأثار الصرب على الروم . وتراءى لبعض رجال السياسة ان الحرب الرومية
النورمندية ستصبح حرباً اوروبية عامة لان الامبراطور الغربي كونراد
الثالث كان لا يزال يؤيد الروم تأييداً شديداً .

وتوفي كونراد الثالث في السنة ١١٥٢ وتولى العرش بعده فريديريكوس
الاول بارباروسه (١١٥٢ - ١١٩٠) . وكان يطمع في الاستيلاء على
ايطالية فلم يندفع في تأييد الروم اندفاع سلفه كونراد الثالث بل تقرب
من البابا اوجانيوس الثالث فتفاهما . ولم ترض البندقية عن احتلال
انكوتة ورأت في مطامع عمانوئيل في ايطالية خطراً على مصالحها في
الادرياتيك ووقعت صلحاً منفرداً مع النورمنديين في السنة ١١٥٤ .
وتوفي روجه في هذه السنة نفسها وخلفه على العرش وليم الاول . وخشي
وليم مناوأة كبار النورمنديين له فأرسل يفاوض عمانوئيل في الصلح .
فلم يقبل الفيلسوس ولم يعترف بالملك الجديد . ثم وقع حلفاً مع جنوى
في خريف السنة ١١٥٥ وأنزل جيشاً في ايطالية الجنوبية واستولى على
باري وتراي وحاصر برنديزي . ثم غلب على أمره فيها ووقع قائد جيوشه
في الاسر . وتغلب النورمنديون عليه في موقعة بحرية في بحر ايجيه بالقرب
من شبه جزيرة إفريقية . وخشي البابا ادريانوس الرابع مطامع فريديريكوس
الاول في ايطالية فتدخل في النزاع الناشب بين الروم والنورمنديين وألح
بوجوب انهاء الحرب في ايطالية . وكان الفيلسوس يرغب في استمالة البابا
ويحشى في الوقت ذاته تطور الموقف في البلقان وفي سورية الشمالية
فقبل بالصلح ووقع مع وليم الاول معاهدة لهذه الغاية في السنة ١١٥٨ .
ولا نعلم تفاصيل هذه المعاهدة . وجل ما نعلمه عنها انها شملت تحالفاً بين
الروم والنورمنديين لمدة ثلاثين عاماً . ولعل هذا التحالف كان موجهاً

ضد فريديريكوس ومطامعه في ايطالية .

الفيلسفس سيد سورية وفلسطين ولبنان : وفشل الصليبيون في حملتهم الثانية . وقتل ريمون امير انطاكية في الحرب ضد المسلمين في السنة ١١٤٩ فشمّل الفيلسفس ارملة قسطنسة بعطفه وحمايته . وعلى الرغم من عدم انصياعها له في أمر زواجها واقدامها على التزوج من رينو دي شاتيون فانه ظل يعتبر نفسه سيد انطاكية وتوابعها . وفي السنة ١١٥٠ اندثرت قومية الرها . فشمّل الفيلسفس اميرتها بعطفه وعرض عليها ابتياع حقوقها فيها^١ . وفي السنة ١١٥٢ ثار طوروس ابن لاوون الارمني على عمانوئيل واعتصم بتلال قيليقية واستولى على طرسوس وغيرها . فاستعان عمانوئيل برينو امير انطاكية ووعدّه بمكافأة مالية جزيلة . فجرد رينو حملة على طوروس وكاد يضايقه ، ولكنه شعر ان مكافأة الروم قد تكون غير كافية فانضم الى طوروس وتعاون معه في اغارة كبيرة على قبرص (١١٥٦)^٢ . فاستشاط الفيلسفس غيظاً . وجاءت معاهدة السنة ١١٥٨ تنهي الحرب في ايطالية فنهض عمانوئيل بنفسه الى قيليقية فاخضع طوروس ثم أنفذ رجاله الى انطاكية . فخشي رينو عاقبة خياناته والتجأ الى سيده بودوان الثالث ملك القدس طالباً توسطه في الامر . ولكن بودوان كان قد ساءه تصرف رينو وكان قد صاهر الفيلسفس فلم يجب سؤله . فجار رينو في أمره ، ولما لم يجد من يعينه أمّ مصيصة مقر عمانوئيل في قيليقية أعزل ، عاري القدمين ، حاسر الرأس ، ممسكاً بسيفه من طرف نصلته ، وارتمى عند موطن قدمي الفيلسفس . وما فتئ كذلك حتى أمره عمانوئيل بالنهوض فنهض واعترف بسيادة الفيلسفس ثم رضي بتسليم قلعة انطاكية وبعودة

Schlumberger, G., Renaud de Chatillon, Prince d'Antioche.

١

Chalandon, F., Les Comnènes, II, 435-439.

٢

البطريك الارثوذكسي الى مقره فيها^١. ووفد على الفيلس في انطاكية ملك القدس بودوان الثالث فاعترف بسيادة عمانوئيل ايضاً ووعد بتقديم المساعدة العسكرية التي يتطلبها سيده منه^٢. وقام الفيلس الى انطاكية فدخلها ممتطياً حصانه يواكبه رينو وغيره من امراء الصليبيين مشياً على الاقدام. ثم دخلها بعده ملك القدس ممتطياً جواده ولكن دون اية شارة من شارات الملك والسيادة. وفي اثناء اقامته في انطاكية فافوض عمانوئيل نور الدين امير حلب في أمر الاسرى الافرنج فأخلى سبيل ستة آلاف منهم. وتعهد نور الدين بتأمين سير الحجاج داخل منطقتة^٣. وعاد عمانوئيل في السنة ١١٥٩ مكمللاً بالظفر والمجد.

وظلت علاقات الروم مع الصليبيين حسنة طيبة حتى نهاية عهد عمانوئيل. وظل هو محافظاً على احترامه لامراء الفرنجة مكبراً فيهم مثلهم العليا في الفروسية طوال ايامه. وبعد وفاة زوجته الاولى برتة الالمانية اتجه نحو قصور هؤلاء الامراء يفتش عن فسياسة جديدة. وكاد يجدها في طرابلس في شخص شقيقة اميرها الصليبي. ثم آثر الاقتوان بريم ابنة قسطنسة وريثة انطاكية فتزوج منها في السنة ١١٦١^٤. وفي السنة ١١٦٤ وقع بوهموند الثالث في يد المسلمين اسيراً فتدخل عمانوئيل واطلق سراحه. فقام هذا الامير الصليبي الى القسطنطينية يشكر للفيلس صنيعه وتزوج من اميرة رومية. وفي السنة ١١٦٢ توفي بودوان الثالث ملك القدس فتسلم العرش بعده اخوه أموري. فتزوج هذا ايضاً من اميرة رومية

Dolger, F., Regesten, 1430-1431.

١

Dolger, F., Regesten, 1428-1429.

٢

Dolger, F., Regesten, 1432.

٣

Chalandon, F., op. cit., II, 517-524 ; Grousset, R., Croisades, II, 428-433.

٤

واعترف بسيادة عمانوئيل . وأنفق الفسيلفس على كنائس الاماكن المقدسة
وأثارها واعترف الملك أموري بذلك وأقام النقوش تخليداً لاهتمام سيده .
ولا تزال هنالك كتابة باليونانية تحفظ ذكر عمانوئيل في كنيسة بيت
لحم حتى يومنا هذا . وقد جاء في مطلعها ما يدل على سيادة الفسيلفس .
فان هذا النقش التاريخي يبدأ بالعبارة : « في عهد عمانوئيل ولما كان أموري
ملك اورشليم » . وتعاون الاثنان في حملة على دمياط في الستين ١١٦٧
و١١٦٩ ولكن دون جدوى . ثم تحالفا لهذه الغاية^٢ . ولكن وجه
صلاح الدين كان بدأ يتألق في سماء مصر اذ اصبح وزير الخليفة الفاطمي
في السنة ١١٦٩ ، ثم خلفه على العرش في السنة ١١٧١ . ولما توفي نور الدين في
السنة ١١٧٤ جمع صلاح الدين في شخصه امارة الموصل ومصر . وعلى الرغم
من وصول اسطول رومي الى مياه عكة في السنة ١١٧٧ فان موقعة عسقلان
كانت آخر نصر احرزه الصليبيون على صلاح الدين^٣ .

المشكلة الايطالية : وعظم سلطان هذا الفسيلفس في الشرق وكاد
ان يكون صاحب القول الفصل في جميع ارجائه . ولكن مطامعه في
اوروبه أضاعت عليه النفوذ والعز والمجد وأتاحت لصلاح الدين فرصة
عسكرية ثمينة ظهرت نتائجها بعد وفاة عمانوئيل بمدة وجيزة .

وطمع عمانوئيل في ايطالية ونزعت نفسه الى مجد الاباطرة المؤسسين
واعتبر كارلوس الكبير وخلفاءه في الغرب مغتصبين^٤ . فنشب نزاع بين
عمانوئيل وبين فريديريكوس دام عشرين عاماً (١١٥٨ - ١١٧٨) . ففي
السنة ١١٥٥ فاتح عمانوئيل البابا ادريانوس الرابع بأمر اتحاد الكنيستين

١ *Corpus Inscript. Graecarum*, 8736; *Vincent et Abel, Bethlehem*, 156-161.

٢ *Dolger, F., Regesten*, 1481; *Bréhier, L., Byzance*, 338-340.

٣ *Grousset, R., Croisades*, II, 636 ff.

٤ *Cinnamus, J., Hist.*, 218-220.

فوطد بذلك علاقته مع رومة . وأصبح الفسيلفس والبابا حليفين متحابين ضد فريديريكوس الامبراطور . وتوفي ادريانوس الرابع في السنة ١١٥٩ فرقي السدة الباباوية الكسندروس الثالث . فخشي فريديريكوس متابعة التعاون بين رومة والقسطنطينية . فأقام رأساً للكنيسة مناوئاً : فيكتوربوس الرابع . فانقسمت كنائس اوروبة الغربية شطرين بين هذين الرأسين . ووقفت كنيسة فرنسة وانكلترة والمجر والبندقية الى جانب الكسندروس الثالث . وراسل هذا الحبر عمانوئيل وواقفه فيما يظهر في نظرية الاعتصاب . فأكرم الفسيلفس الوفد الباباوي ووعده خيراً . وفي السنة ١١٦٣ أرسل عمانوئيل وفداً مفاوضاً الى عاصمة الفرنسيس ولكن لويس السابع آثر التريث . ولم تظهر البندقية اهتماماً مشجعاً ولكن عمانوئيل لم يياس . فانه عندما نزل فريديريكوس الى ايطالية في السنة ١١٦٦ واضطر الكسندروس الثالث الى ان يخرج من رومة (١١٦٧) فاوض عمانوئيل هذا البابا في أمر التاج الغربي وأظهر استعداداً كبيراً لازالة الحواجز التي تفصل بين فرعي الكنيسة الام في حقل العقيدة شرط ان يضع هذا البابا التاج الغربي على رأس الفسيلفس . ورضي البابا بذلك ولكن الاكليروس الشرقي عارض معارضة شديدة فتردد البابا ثم امتنع .

عمانوئيل والكنيسة : وفي السنة ١١٥١ استعفى البطريرك المسكوني نيقولاوس الرابع فخلفه البطريرك ثيوديتوس . ثم استعفى هذا ايضاً في السنة ١١٥٣ فانتخب بعده نيوفيطوس الاول . وتوفي هذا في السنة ١١٥٤ فرقي السدة المسكونية البطريرك قسطنطين الرابع الملقب بليخوذاس . وتوفي قسطنطين الرابع في السنة ١١٥٦ فخلفه البطريرك لوقا . وتوفي هذا في السنة ١١٦٩ فخلفه « مقدم الفلاسفة » البطريرك ميخائيل الثالث . ثم

جاء بعده البطريرك خاريطون في السنة ١١٧٧ فالبطريرك ثيودوسيوس الثاني سنة ١١٧٨ .

وكان لعمانوئيل مواقف تشهد له باندفاعه في سبيل العقيدة الارثوذكسية ، فانه ضايق البوليسيين كل المضايقة وأمر بمحاكمة زعيمهم نيفون الراهب (١١٤٧) . ثم اهتم لشذوذ ديمتريوس لامبه (١١٦٦) وعاقب الاساقفة الثلاثة الذين كانوا لا يزالون يقولون قول يوحنا الايطالي (١١٤٦ - ١١٥٧) وحاول محاولة جديدة للتوفيق بين كنيسة الارمن والسريان من الجهة الواحدة والكنيسة الارثوذكسية من الجهة الاخرى . ورأى قسوة جارحة في النص الذي كان يُفرض على المسلمين لقبولهم في الكنيسة فأمر بتعديله ضناً بحسن العلاقة بين المسلمين والنصارى .

سلطنة قونية : وكان يوحنا الثاني قد استفاد من انقسام الاتراك السلاجقة ومن مناظراتهم ومشاحناتهم . وكان هذا الانقسام قد دفع مسعوداً سلطان قونية الى الالتجاء الى القسطنطينية . وبعد السنة ١١٤٢ استفاد مسعود نفسه من الانقسامات التي نشبت في امارة سيواس فاضطر عمانوئيل الى ان يقوم بنفسه الى قونية في حملة حربية سنة ١١٤٦ . وفرّ مسعود من وجهه واتجه شرقاً يستنفر عشائر التركمان . فخشي عمانوئيل اطالة الحرب . وعلم بتجمع الصليبيين في حملة ثانية فعاد الى القسطنطينية قبل ان يستولي على قونية . واراد عمانوئيل ان يدفع الصليبيين الى اخضاع قونية وصاحبها ، ولكن المشادة التي نشأت بينه وبين كونراد الثاني جعلته يستعين بقونية على الصليبيين (كانون الثاني ١١٤٨) . واستتب الامر بعد مسعود لابنه قلعج أرسلان الثاني (١١٥٥ - ١١٩٢) . وهو اول سلجوقي اناضولي اتخذ لنفسه لقب سلطان في المسكوكات . والمراجع العربية المعاصرة تحتفظ بهذا

اللقب لامراء السلاجقة الكبار في فارس ولا تذكر لامراء الاناضول سوى لقب ملك . واذا اخذنا بشهادة المؤرخين النصارى كان قلعج أرسلان الاول اول سلطان سلجوقي في الاناضول^١. وعاون عمانوئيل أمراء سيواس على قلعج أرسلان الثاني وحرّك ضده نور الدين امير حلب (١١٥٩ - ١١٦٠) فاضطر سلطان قونية في السنة ١١٦١ الى ان يرمي في حضن عمانوئيل واعداء بتقديم المعونة العسكرية كما طلبها الفيلسفس ، وبمجاربة اعدائه ، وباعادة المدن اليونانية التي كانت قد وقعت في يد المسلمين . وأمّ قلعج أرسلان القسطنطينية في السنة ١١٦٢ فاستقبل فيها بمجاورة فأكد ولاءه واخلاصه للفيلسفس ، وجعل رجال البلاط يعتقدون ان قونية أصبحت في عهده محمية من محميات الروم^٢.

وعاد قلعج أرسلان الى قونية بوطد دعائم ملكه وينتظر انحلال الحلف الذي كان عمانوئيل قد أحاطه به . وبين السنة ١١٧٠ والسنة ١١٧٧ تمكن قلعج أرسلان بشق الوسائل من القضاء على امارة سيواس وضم معظمها الى سلطنته . واضطر صاحبها ذو النون الى ان يلجأ بدوره الى القسطنطينية . وأحس عمانوئيل بقصر نظره وتقصيره في حقل سياسة الاناضول اذ انه أتاح لصاحب قونية ان يوحد الاتراك السلاجقة بعد ان تفرّقوا وتخاصموا . وبدأت عصابات الترك تهاجم تخوم الروم ولاسيا وادي الميندر فتنزل بأهل الريف خسارات متتالية . وطالب عمانوئيل سلطان قونية بذلك فأجاب متأسفاً مؤكداً ان لا علم له بما جرى !

فعمد عمانوئيل الى القوة . وفي ربيع السنة ١١٧٦ أنفذ أحد كبار القادة بثلاثين ألفاً الى شرقي الاناضول الى قيصرية الجديدة لاعادة ذي النون

Kramers, art. « Sultan », Enc. of Islam.

Chalandon, F , Les Comnènes, II, 460-465.

الى ملكه . وقام هو بمعظم الجيش الى قونية ليحطمها تحطيماً . وجاءها من الغرب متبعاً اعالي نهر الميندر . واستصغر مقدرة خصمه ولم يتخذ الاحتياطات العسكرية اللازمة من حيث الاستكشاف وغيره . فدخل مراً جبلياً ضيقاً بعد حصن ميريو كيفالون Myriokephalon . وما ان تم دخول الجيش باكملة في هذا المضيق حتى انقض الاترك من اعالي التلال على مؤخرته فأبادوها . ولم تتمكن طلائع الجيش من اعانة المؤخرة لازدحام الطريق الضيق بالمركبات الحربية وبيعال النقل . ولم يكن عمانوئيل ممن يصبر عند الشدة فضاقت حيلته وضاق خلقه ايضاً وصاح الفرار الفرار . وطلب النجاة بنفسه فقدّر له ذلك فاخترق صفوف الاعداء وخرج مثقّب الترس ، مكسّر الخوذة ، لا يطن في اذنه سوى صوت سنابك خيل الاترك^١ . وصباح اليوم التالي فوجيء عمانوئيل بالمفاوضة بصلح دائم بين الدولتين وبشروط مشرّفة . فاسترط قلب أرسلان الثاني لقاء تراجع منظم وعودة سالمة الى الحدود ان يرضى الفسيلفس بدك حصني دوريلة وسوبليون^٢ . ومما جاء في تاريخ نيقيتاس ان عمانوئيل لم يضحك بعد ذلك ابدآ وانه عاش اربع سنوات ، وانه اذ رأى قواه تنحط لبس ثوب الرهينة الحشن الى ان وافته منيته سنة ١١٨٠ . وقبل وفاته خطب لابنه اليكسيموس وهو في الثانية عشرة من عمره آغني ابنة لويس السابع ملك فرنسة وهي ابنة ثماني سنين . واحضرها لتتربى في قصره وسماها حنة . ولم يكن له من امراته الاولى سوى بنت واحدة اسمها مريم ازوجها سنة ١١٧٨ .

وصاية مريم الانطاكية : (ايلول ١١٨٠ - نيسان ١١٨٢) وبعد

^١ Nicetas Chaniates, Hist., 231-245 ; Chalandon, F., op. cit., II, 507-513.

^٢ Nicetas Chaniates, Hist. 246 ; Dolger, F., Regesten, 1522, 1524.

وفاة عمانوئيل نفذت زوجته مريم الانطاكية الفرنسية وصيته فتردّت بثوب الرهبنة وتولّت الوصاية على ابنها القاصر . وطلبت الى اليكسيوس ابن اخي زوجها ان يساعدها في الحكم نظراً لما كان قد عرف عنه من عطف على الافرنج وتأييد سياسة التعاون معهم . وطمعت مريم اخت الفيلسوف الصغير وزوجها رينه دي مونتي فرات Renier de Montferrat في الحكم . ولم يرضَ جمهور من الاشراف ومن رجال القصر عن ادارة اليكسيوس المساعد واتهموا الفيلسفة الجميلة باشياء واشياء . فتأمروا جميعاً على نزع السلطة من يد الفيلسفة الوالدة . واندلعت ثورة داخلية في الثاني من ايار سنة ١١٨١ . ولجأت الفيلسفة الى كنيسة الحكمة الالهية . وتدخل البطريرك المسكوني ثيودوسيوس وصالح الحزبين المتنازعين ووبخ مريم الفيلسفة واليكسيوس مساعدها على سلوكهما . فاتهمه اليكسيوس بالخيانة والاشتراك مع الثائرين ونفاه . ولكنه اضطر الى ان يرجعه نظراً لتعلق الشعب به^١.

اندرونيكوس الاول : (١١٨٢ - ١١٨٥) وكان لعمانوئيل الاول ابن عم اسمه اندرونيكوس . وكان هذا الامير طويل القامة جميل الطلعة قوياً . وقد اشتهر بانه فارس مجرب مغوار . وكان ايضاً ذكياً معلماً فصيحاً ، يجيد المناظرة ، ويجسن الدفاع عن جميع وجهات النظر في المشاكل القائمة ، فعرف « بالخرباء » . وقد عرف بكثرة المغامرات ، وبالاسراف في العشق والفسق . وكان قد طمع في الملك وتآمر على سلامة ابن عمه الفيلسوف ، فاخطر الى ان يفر من وجهه وان يلتجئ الى حماية احد امراء الروس . ثم عاد الى القسطنطينية فاودع السجن في القصر . ثم فرّ فجاء انطاكية والقدس فكانت له مغامرات مع ثيودورة ارملة

Bréhier, L., Byzance, 342-343.

بودوان الثالث . ولم يجرؤ احد في الشرق على ابوائه وحمائته . فعاد الى القسطنطينية تائباً متراًمياً على قدمي الفسيلفس . فنفاه الى آينايون في البحر الاسود . وظلّ يحلم بالحكم على الرغم من تقدمه في السن^١ .

واذ رأى اندرونيكوس الامور على ما كانت عليه في القسطنطينية بعد وفاة عمانوئيل أعلن عصيانه فالتفّ حوله جيش من المحاربين القدماء وقام بهم الى العاصمة . فطلب طرد مريم الفسيلسة وعشيقها وبقاء الملك في يد ابنها اليكسيوس . فساعدته الشعب على ذلك وقبضوا على اليكسيوس المساعد وأرسلوه الى اندرونيكوس فسلم عينيه . وأيد الافرنج الساكنون في العاصمة مريم الفسيلسة فأعلنها اندرونيكوس حرباً قومية دينية باسم الروم والارثوذكسية وأنفذ قوة برية بحرية فقتل معظم الافرنج في العاصمة ونهب بيوتهم ومتاجرهم وأحرقها . ودخل العاصمة وسجن الفسيلسة مريم وصلى على ضريح عمانوئيل ثم أمر بتتويج اليكسيوس الصغير وشاركه في الملك . وادعى على مريم باشياء واشياء . وسعى بالحكم عليها بالموت ، واجبر ابنها الصبي على ان يوقع على الحكم بشنق والدته . ثم سعى في اوساط القصر بالألا يكون فيلسفسان في وقت واحد . وشنق اليكسيوس الصغير وتزوج من خطيبته حنة ابنة لويس السابع . وقتل كثيرين من انصار مريم وابنها وسمل عيون كثيرين منهم . ثم كلف البطريرك المسكوني باقامة اكليل غير مسموح به . فاجابه البطريرك : « كنت اسمع عنك واما الآن فقد رأيتك بعيني » ، واستعفى^٢ .

وازداد اندرونيكوس طغياناً وتجبراً ففر من وجهه عدد كبير من كبار رجال العاصمة والتجأوا الى الامراء الصليبيين في انطاكية وغيرها

Diehl, G., *Europe Orientale*, 84-85.

Nicetas Chaniates, *Hist.*, 320-323, 347-349.

ولاسيا القدس . وقام بعضهم الى صقلية وايطالية والبعض الآخر الى قونية .
 وكان اندرونيكوس قد نفى اليكسيوس كومنينوس آخر الى بلاد
 روسية فهرب منها واحتمى بملك صقلية وليم الثاني وطلب مساعدته
 ضد اندرونيكوس . فاجاب وليم الثاني التامه وجرّد حملة في السنة ١١٨٥
 واستولى على بعض الجزر وعلى قلعة ديراشيون . ثم قام الى ثيسالونيكية
 فدخلها بعد حصار قصير فقتل ونهب وأحرق . ودخل رجاله الكنائس
 في وقت الخدمة بسيوفهم يشوشون ويطأون حيث لا يجوز ويكسرون
 ويسلبون . وفي اواسط ايلول زحفوا الى القسطنطينية . وكان اندرونيكوس
 في جزائر الامراء يتنعم ويتلذذ . فقام اسحق انجيلوس وضم الشعب اليه
 واستولى على القصر المقدس . ورجع اندرونيكوس الى العاصمة فدفعت اسحق
 به الى الجمهور ليميته كما يشاء . وهبّ اسحق يسعى في قتال النورمنديين .
العاصمة في القرن الثاني عشر : وبقيت القسطنطينية بمجموعها كما كانت
 في القرنين العاشر والحادي عشر مدينة كبيرة شرقية تجمع بين العظمة
 والفقرة . فهناك شوارع رئيسة تحيط بها الابنية الفخمة والقصور العظيمة
 والكنائس الجميلة . وهناك ايضاً احياء فقيرة مظلمة قدرة . وكانت لا تزال
 امّ المدن المتمددة وأغناها وأرقاها ذوقاً وفناً وعلماً . وهو أمر تجمع على
 صحته جميع المراجع المعاصرة . فقد جاء في اخبار رحلة بنيامين تودله
 المعاصر ان دخل الحزينة اليومي من مخازن العاصمة واسواقها وكارها
 لم يقل عن العشرين الف فلس ذهباً^٢ ، وان مظاهر البذخ في الشوارع

١ Nicetas Choniates, *Hist.*, 453-460 ; Cognasso, *F., Polotici*, 299-316.

٢ وكانت البيزة *Bezant* عملة البيزنطيين الذهبية تساوي حوالى اربعة عشر فرنكاً
 ذهبياً . وكانت تقسم الى اثني عشر ملياريسية كل منها يقسم بدوره الى اثني عشر
 فلساً *Pholles* .

كانت مدهشة تأخذ بلبّ الزائر . فالحيول المطهمة وثياب فرسانها الحربية
المزركشة المذهبة كانت تبهر الزائر فيخالهم ابناء ملوك . وبما جاء في هذه
الرحلة ايضاً ان القسطنطينية كانت تجتذب رجال الاعمال من كل حدب
وصوب فأضحت تفوق جميع المدن تقدماً وازدهاراً ما عدا بغداد .
والواقع ان ازدهار التجارة في البندقية وبيزة وجنوى وظروف الحروب
الصليبية ومطامع عمانوئيل في ايطالية والغرب استدرجت عدداً كبيراً
من رجال الفرنجة الى القسطنطينية فأقاموا فيها وأنشأوا المتاجر والارصفة
عند القرن الذهبي ، كما أقاموا المنازل والكنائس ، فجعلوا من احيائهم الخاصة
بفضل امتيازاتهم مستعمرات لاتينية بكل معنى الكلمة^١ .

وابتقى مؤسس الاسرة الكومنينية اليكسيوس الاول قصرأ جديداً في
محلة القرن الذهبي هيمن على هذا القرن وعلى المدينة وضواحيها . وأنفق
عليه بسخاء فجاء فخماً عظيماً رائعاً . وبما قاله احد الزائرين المعاصرين :
« ولست ادري ما الذي جعله ثميناً جميلاً ! أشدة الاتقان في فن بنائه ،
ام قيمة المواد الداخلة في تشييده^٢ » . وكان سلفاء اليكسيوس من قبل
قد أقاموا في قصر على شاطئ بحر مرمره فرأى هو ان ينتقل الى الهضبة
المطلّة على القرن الذهبي . وأنشأت حنة دلسانة كنيسة المخلص بالقرب من
هذا القصر . وحذت حذوها حماة اليكسيوس مريم دوقاس فأنشأت بجوار
القصر الجديد ايضاً كنيسة ثانية باسم المخلص . وقامت في هذا الحي ايضاً
كنيسة للعدراء « الكليّة القداسة » وكنيسة البانتوكراتور الجميلة . وأنشأ
يوحنا الثاني كنيسة لضم رفات امرته بين هذه الكنائس . وعلى الرغم من
صغر حجم هذه الكنائس فانها جاءت جميعها رائعة بتناسب مقاييسها

Diehl, C., *Europe Orientale*, 92-93.

١

Eude de Deuil, *De Ludovici VII*, P. L. 185, col. 1221,

٢

وجمال رخامها واتقان فسيفسائها^١. ولا يزال بعض هذه الكنائس قائماً حتى يومنا هذا وقد حول الى جوامع في اثناء الفتح العثماني .

وأدى اهتمام اليكسيوس الاول بالرهبانية وبالاعمال الخيرية الى انشاء ديرين في هذا الحلي الجديد احدهما للرجال والآخر للنساء . وكرست الفسيلة دير الراهبات للعدراء « الممتلئة نعمة » . ولا تزال البراءة التي صدرت لتشييد هذا الدير محفوظة حتى يومنا هذا^٢. وهي تنبئ بالغاية التي من اجلها انشئ هذا الدير فتنص على انه دير نموذجي يهدف الى اصلاح الرهبانيات مثل الدير الذي انشأه الفسيفس في جزيرة باتموس وقد سبقت الاشارة اليه . وتحض الفسيلة ايرينة الراهبات على عمل الخير وتوشدهن الى كل ما من شأنه ان يطهر حياتهن وترجوهن الا يدعن « الحية » توسوس في اذن راهبة فتجعل منها حواء ثانية .

ومن آثار الفن في القرن الثاني عشر المخطوطات المزوقة كمزامير بوريني ومواعظ الراهب يعقوب واسفار القصر الثمانية الاولى . وقد حوت هذه ما لا يقل عن ثلاث مئة واثنتين وخمسين منمنمة . ولعل بعض هذه الرسوم من صنع يد اسحق اخي الفسيفس يوحنا الثاني . ومن اثن ما تحفظه المخطوطات المزوقة التي تعود الى هذا القرن منمنات غير دينية . فمخطوطتا غريغوريوس الزياتزي في القدس وفي جبل آثوس تحمل منمنات لمشاهد هلينية وكلاسيكية . وفي هذه دليل آخر على ان عصر النهضة الغربية الذي تميز بالعودة الى العصور الكلاسيكية بدأ في القسطنطينية ثم انتقل منها الى ايطالية^٣.

Stewart, C., *Early Christian Architecture*, 73-74.

Miklosich et Muller, *Acta et Diplomata Graeca*, V, 327-391.

Diehl, C., *Art Byzantin*, II, 595-632.

العلم والادب : وقامت في هذا القرن نفسه في جوار كنيسة الرسل
 مدرسة كبيرة لتدريس العلوم الابتدائية والمتوسطة والعالية . فغسّى الصغار
 في أروقتها وحوالى حديقته كما مشى الاحداث متأبطين دفاتهم مسمعين
 دروسهم في النحو واللغة عن ظهر قلب . وانزل البعض الآخر من
 الطلبة الكبار ليحلوا بعض المسائل العويصة . وقام الاسانذة في الداخل
 يحاضرون في خواص الاعداد وفي الهندسة والطب ، كما قام كبار الموسيقين
 يشرحون فنههم لمن حولهم من الطلبة . وكان بعضهم يتباهى فيؤكد ان
 علماء العاصمة آنئذٍ فاقوا ذيموستانيس في الفصاحة ، وارسطو وافلاطون
 في الفلسفة ، واقليدس في الهندسة ، وفيثاغوروس في الفيزياء^١ . وخصت
 البطريركية المسكونية العلوم الدينية العالية برعايتها فقبلت الطلاب
 الاكليريكيين في مدرستها ولقنتهم اللاهوت وسواه . وكانت جامعة
 القسطنطينية لا تزال زاهرة بفرعيها الادبي والفلسفي . وتولى ادارة التعليم
 الفلسفي فيها « قنصل الفلاسفة » يوحنا الايطالي . فذاع صيته وكثر طلابه
 ومريدوه وفاخر التلامذة والاصدقاء بانهم من « محبي افلاطون » . ومن
 اشتهر بعده في الفلسفة في هذه الجامعة نفسها افستاثيوس الثيسالونيكي الذي
 اظهر مقدرة كبيرة في تدريس هوميروس وبيندار . ومما قيل فيه آنئذٍ
 ان محاضراته جمعت بين علم ارسطو ووحى الشعراء . والواقع الذي يعترف
 به رجال الاختصاص من علماء هذا العصر ان قسطنطينية القرن الثاني عشر
 أيدت الثقافة الكلاسيكية وجعلت منها اساس التهذيب والتثقيف لابنائها^٢ .
 وظل التاريخ واللاهوت يحتلان المكانة الاولى في النتاج الادبي .
 فقامت حنة ابنة اليكسيوس الاول تؤرخ حياة والدها فنصفت ملحمتهما

Heisenberg, A., *Apostelkirche in Konstantinopel*, Leipzig, 1908.

Diehl, C., *Europe Orientale*, 106.

الشهيرة الاليكسياذة وقد سبقت الاشارة اليها . وكتب زوجها نيقيفوروس بريانوس في وصول الاسرة الكومنينية الى العرش فأرّخ السنوات ١٠٧٠ الى ١٠٧٩ . وكتب اليكسيوس الاول نفسه في اللاهوت ضد الهرطقة فصنّف تأملاته Muses ووجهها الى ابنه وولي عهده يوحنا . ولا نعلم ما اذا كان يوحنا ممن تذوق الادب ولكننا نعلم جيداً ان اخاه اسحق كتب في تطور ملحمة هوميروس في العصور الوسطى . وكتب عمانوئيل الفيلسوف في التنجيم فدافع عن هذا « العلم » ضد تهجمات الاكليروس . وارسل مصنّف بطليموس المجسطي الى ملك صقلية النورمندي فنقل حوالى السنة ١١٦٠ الى اللاتينية^٢ .

ومن أشهر مؤرخي هذا القرن يوحنا كناموس Cinnamus فانه دوّن اخبار الفيلسفين يوحنا وعمانوئيل فأكمل اليكسياذة حثّة . واتبع هذا المؤرخ هيروودوتوس وبروكوبوس في طريقة التأريخ ودافع دفاعاً شديداً عن حقوق الامبراطورية الشرقية والكنيسة الارثوذكسية ضد مطامع الامبراطورية الغربية ومطالب الكنيسة الباباوية . وأشهر من كناموس بكثير نيقيتاس الحونياتي Nicetas Choniates . ولد في خونة من أعمال الاناضول في منتصف القرن الثاني عشر وتلقى علومه في القسطنطينية ثم استوظف في اواخر عهد عمانوئيل ولمع في عهد الاسرة الانجيلوسية . ولدى استيلاء الصليبيين على القسطنطينية التجأ الى الفيلسوف ثيودوروس النيقاوي . وأشهر مؤلفاته تاريخه الكبير الذي جاء في عشرين مجلداً . وفيه تاريخ الروم منذ ان تبوأ العرش يوحنا كومنينوس حتى سقوط العاصمة في يد

Maas, Die Musen des Kaisers Alexios, Byz. Zeit., 1913, 348-367. ١

Diehl, C., La Société Byz. à l'Époque des Comnènes, Rev. Hist. du S.E. ٢
Européen, 1929, 198-280.

الصليبيين (١١١٨ - ١٢٠٤) . ويرى ثيودور اوسبنسكي العلامة الروسي ان نيقيتاس فاق جميع زملائه في الشرق والغرب معاً امانة وتدقيقاً . واشتد الاقبال على مطالعة التاريخ في هذه الآونة فنشط للتأليف فيه عدد آخر من الرجال امثال كدرينوس Cedrenus وزوناراس Zonaras ومناسيس Manases وغلقياس Glykas الذين أخرجوا موجزات للتاريخ العالمي على الطريقة الحريقونية القديمة . ويستدل من اسلوبهم في الكتابة ومن بعض الفاظهم انهم لم يكونوا أقل اطلاعاً من سواهم من علماء ذلك العصر على نتاج العهد الكلاسيكي القديم . فساهموا بعملهم هذا في بدء النهضة العلمية الحديثة في اوروبة جمعاء .

وقضت ظروف الكنيسة ، من حيث المسادة التي كانت ناشئة آنئذ بين رومة والقسطنطينية ومن حيث ظهور بعض البدع ، بان تهب للدفاع عن الارثوذكسية الحقمة . فقام افثيموس زيغابينوس Zigabenos بانوبليته الشهيرة (الدرع الكاملة العدة) لدحض هرطقات ذلك العصر ونقضها بالحجة^٢ . ومن اشهر في هذا الجدل الديني في القرن الثاني عشر نيقولاووس ميثونيوس Methonius ونيقيتاس الخونيائي المؤرخ الذي ورد ذكره آنفاً . وقضت ظروف التشريفات في القصر وفي المقر البطريركي المسكوني بان يجتهد عدد من الادباء في فن الخطابة والفصاحة . فعاد هؤلاء ايضاً الى مخلفات العصر الكلاسيكي لاستيحاءها والافادة منها . وبين هؤلاء افسيتاسيوس الثيسالونيكي وميخائيل الخونيائي اخو نيقيتاس المؤرخ ورئيس اساقفة آثينة وميخائيل الايطالي ونيقيفوروس باسيلاكس Basilakes

Uspensky, Th., A Byzantine Writer, See Vasiliev, A. A., Byz. Emp. ١
p. 495.

Patrologia Graeca, CXXX, 9-1362.

وباسيليوس رئيس اساقفة اوخريدة . وفي مكتبة الاسكوريال مجموعة من هذا النوع من التصنيف تعود الى القرن الذي نحن بصدده^١.

ويرى العلامة الافرنسي شارل ديل المتخصص في تاريخ الروم وفنوتهم ان ادباء الروم في القرن الثاني عشر وعلماءهم اذا ما قورنوا بزملائهم في الغرب في هذا القرن نفسه ظهروا اساتذة معلمين لا مناظرين . ومن الطف ما جاء في تأييد هذا القول تلك المناظرة العلنية التي جرت في عهد يوحنا الثاني في القسطنطينية في السنة ١١٣٥ بين أنسيلموس اسقف ابلوج اللاتيني ونيقيتاس رئيس اساقفة نيقوميذية . فان انسيلموس بعد ان جادل نيقيتاس جدالاً طويلاً في انبثاق الروح القدس وفي استعمال الفطير استند في تأييد آرائه على ان الكنيسة اللاتينية كانت دائماً مستقيمة الرأي ، وطعن في الكنيسة الارثوذكسية واتهمها بان كل الهرطقات قامت فيها . فأجابه نيقيتاس بانه لا ينكر ذلك وانما يعزو هذه الظاهرة لانكباب رجال كنائس الشرق على العلوم والفلسفة . ثم قال : وافهم يا صاح انه وان تكن جميع الهرطقات خرجت من اليونان فان هدمها ايضاً تم على أيدي طائفة من ابناء اليونان . وخلص الى القول بانه لم يكن ممكناً ان تولد هرطقات في رومة لان العلم وتوقد الذهن وقوة العقل في رجالها كانت اموراً نادرة . ثم قال اننا لا ننكر على كنيسة رومة تقدمها على اخواتها الكنائس البطريركية الاربع الاخرى ، ونوافق على ان ترئس المجامع المسكونية ، ولكنها خرجت عن حدود سلطانها وقسمت بين مملكة الشرق والغرب وبين الكنائس . ونحن وان لم يكن بيننا وبين الكنيسة

Diehl, C., Europe Orientale, 107 ; Vasiliev, A. A., Byz. Emp., 492- 494.

الرومانية انقسام في الايمان البتة فكيف يمكننا ان نقبل قوانين مسنونة
دون معرفتنا!

١ ولا بد من القول بان ما اورده الاب هنري موسه في المجلد الاول من تاريخه
للكنيسة في هذا الموضوع هو ناقص ، فلترجع مراجعه في محلاتها :
Musset, H., Hist. du Christianisme Sp. en Orient, I, 467-469.

الباب العاشر
تفكك وانهييار

١١٨٥ - ١٢٦١

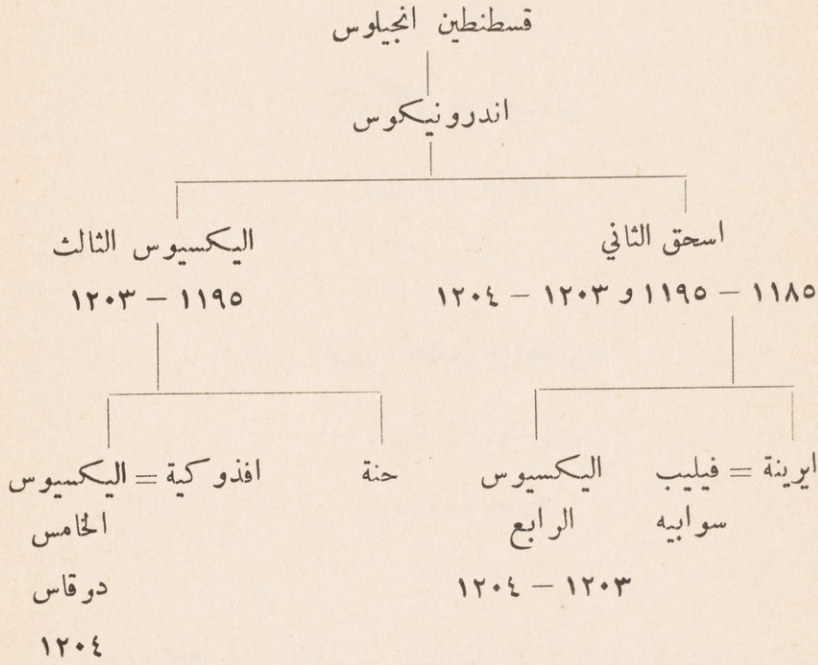
الفصل الحادي والثلاثون

اسرة انجيلوس

١١٨٥ - ١٢٠٤

اسحق الثاني : وتحدثت هذه الاسرة المالكة الجديدة من قسطنطين انجيلوس الفيلاذلفي معاصر اليكسيوس كومنينوس الاول وصهره زوج ابنته . ولم يكن اسحق ابن بجدتها . وكان اכולاً بطيناً يهوى اللحم والخمر والخبز . فكنت تجدد على مائدته « تلالاً من الخبز وغابات من الطيور وبجراً من الاسماك ومحيطاً من الحمرا » . وكان يلبس في كل يوم بدلة جديدة . وكان يستحم مرة في كل يومين فيتنظف ويخرج خروج العروس

المنعس في ملذات عرسه . وكان يحب الخمر والنساء ويحيط نفسه بالجمان
والمهرجين والمغنيات .



وكان الحظر النورمندي لا يزال يحدق بالدولة ويهدد كيانها ففاوض
اسحق القيادة النورمندية في السلم فرفضت . فأنفذ قوة جديدة بقيادة
اليكسيوس براناس احد كبار رجال الجيش فانتصر على النورمنديين في
تشرين الثاني من السنة ١١٨٥ عند ديمترتزة Dimitritza . فراجع هؤلاء
وأخلوا نيسالونيكية وديراتزو وكورفو ووقعوا الصلح .
ولم يهَبْ رجال البر من اصحاب الاملاك الكبيرة اسحق ولم يخافوه .

وتجاوز اسحق الحدود المشروعة في الانفاق فزاد الضرائب . وازداد طمع الجبابة فأثقلوا كاهل الاهلين وابتزوا المال ابتزازاً . فاندلعت ثورة داخلية في السنة ١١٨٦ بزعامة اليكسيوس براناس بطل ديمتريّة . ومشى هذا القائد الى العاصمة . فاضطرب اسحق ودعا عدداً كبيراً من الرهبان والقسيسين الى القصر ليبتهلوا الى الله ان يبعد شر الانقسام الداخلي . وقام كونراد مونترفان عديل الفسيلفس على رأس ثلاث مئة فارس افرنجي وعدد من المشاة فهزم براناس وقطع رأسه ورماه عند قدمي الفسيلفس . ثم انقض واتباعه على انصار براناس في العاصمة فنهب وأحرق وزاد بذلك كره الروم لللاتين^١ .

وفي السنة ١١٨٨ عاد البلغار والفلاخ الى السلاح وانتشروا في تراقية . ولم يوفق اسحق الى صدّهم واخضاعهم فهادنهم ثم صالحهم على ان يكونوا احراراً ما بين البلقان والدانوب^٢ . وفعل مثل هذا في السنة ١١٩٣ عندما أنعم على اسطفان نيمنية Nemanya بلقب سبستوقراتور وازوجه من اميرة رومية . وقام ثيودوروس منقافاس في الاناضول بحاول الاستقلال في فيلادلفية وليدية ولكنه غلب على أمره واضطر الى ان يلتجئ الى سلطان قونية^٣ .

وسقطت القدس في يد صلاح الدين في الثاني من تشرين الاول سنة ١١٨٧ فاهتزت اوروبة بأسرها . وهب الامبراطور فريديريكوس يدعو لحملة صليبية ثالثة . فقبل الصليب في السابع والعشرين من اذار سنة ١١٨٨ وكتب الى اسحق الثاني الفسيلفس ينبئه بذلك وبانه سيتخذ طريق البر ماراً باراضيه . ووقع الاثنان معاهدة في نورمبرج في ايلول السنة ١١٨٨

Nicetas Chon., Hist., 509-513.

Dolger, F., Regesten, 1580.

Bréhier, L., Byzance, 351-252.

تعهد بها الفسيلفس بالسماح للصليبيين بالمرور في اراضيه مقابل امتناعهم عن ايقاع الاذى برعاياه^١. ولكنه بعد ذلك ببضعة اسابيع وقع تحالفاً مع صلاح الدين^٢. ولم يكن فريديريكوس أقل حذراً وتلوناً فانه فاوض البلغار والصرب والنورمنديين في الوقت الذي كان يفاوض فيه اخاه الفسيلفس. فنشأ عن هذا كله جو من الالتباس والمواربة وقلة الثقة. وقضت تقاليد القصر المقدس بآلا يكون في العالم كله سوى امبراطور واحد وبأن يُستقبل فريديريكوس كملك لا كأمبراطور. فاشد القلق وأصبح تقدم الصليبيين الالمان في اراضي الروم زحفَ عدو بغيض. ودخل فريديريكوس أدرنة في خريف السنة ١١٨٩ فكتب الى ابنه هنريكوس ان يُعد اسطولاً وان يستعين بالبنادقة وغيرهم ليهاجم القسطنطينية بحراً في الوقت الذي يزحف هو فيه من البر^٣. وتبين هذا كله للفسيلفس اسحق الثاني في السنة ١١٩٠ فمَوَّن الالمان وقدم لهم المراكب اللازمة لينتقلوا بها الى بر الاناضول، ففعلوا. ولكن الروم ازدادوا بغضاً لللاتين وطووا ذلك في صدورهم.

وكانت الحاجة الى المعونة الحربية قد قضت بتوسيع الامتيازات الممنوحة للبنادقة (١١٨٧) فرأى اسحق ان يزيد في امتيازات بيزة وجنوى ليقفل الضرر الناجم عن امتيازات البنادقة. فغضب تجار العاصمة ووجهائوها لكرامتهم ومصالحهم. وكانت الحكومة المركزية تزداد ضعفاً.

اليكسيوس الثالث: (١١٩٥ - ١٢٠٣) وفي السنة ١١٩٥ خرج اسحق الثاني بنفسه لمحاربة الفلاخ والبلغار. فلما وصل الى كيبساله (آبسيلار)

Dolger, F., *Regesten*, 1581, 1587. ١

Dolger, F., *Regesten*, 1584, 1591. ٢

Norden, W., *Papsttum*, 119. ٣

خرج للصيد . فدخل اخوه اليكسيوس خيمته وأعلن نفسه فيسيلفساً .
وقبض على اسحق وسمل عينيه وسجنه هو وابنه اليكسيوس . ورفض
اليكسيوس كنية عائلته وتسمى اليكسيوس الثالث كومنينوس . وأبطل
مشروع الحرب ضد البلغار والفلاخ ، ووزع مال الخزينة على الجنود .
واذ نفذ المال وزع اراضي الدولة وعاد الى العاصمة . وكانت افروسين
دوقاس زوجته شديدة الاعتزاز بنسبها ، كثيرة العناية بالسياسة ، واسعة
الاتصالات ، ذكية نشيطة مغرية مزللة . فنجحت في جمع الكلمة على
تأييد زوجها ، وأعدت له استقبالاً حافلاً . وعاد الفسيلفس الجديد الى
العاصمة ومال الى العيشة الهنيئة ولم يبال بواجباته الادارية والسياسية .
ويقول نيقيتاس المؤرخ المعاصر « ان اليكسيوس الثالث كان يوقع كل
شيء يقدم له ولا يكثر ما اذا كان هذا الشيء مجموعة من الكلمات
الفارغة ، او طلباً للبحار في البر ، او الفلاحة في البحر ، او نقل جبل
الى البحر ، او رفع جبل آتوس من مكانه الى قمة جبل اوليمبوس^٢ .
وساءت احوال البلقان السياسية . فخر زعيم البلغار يوحنا آسن صريعاً ،
فأيد الفسيلفس نيفوكو الجاني فالتجأ اخو القتيل كالويان Kalojean الى
الابا انوشنتش الثالث (١١٩٩) مقدماً خضوع الكنيسة البلغارية لقاء
تتويجه ملكاً على بلغارية . فقبل البابا وأرسل كردينالاً الى ترنوفو وتوج
كالويان ملكاً وجعل رئيس اساقفة ترنوفو رئيساً على الكنيسة البلغارية .
فظهرت الامبراطورية البلغارية الثانية الى حيز الوجود . واضطر اليكسيوس
ان يعترف بها في السنة ١٢٠١^٣ . وحدث مثل هذا في بلاد الصرب . فان

Nicetas Chon., Hist., 607.

Nicetas, Hist., 599-600.

Bréhier, L., Byzance, 357-358; Luchaire, A., Innocent III, 87-97.

اسطفان نيمنية استقال في السنة ١١٩٦ ولبس ثوب الرهبنة . فنشأ نزاع شديد بين ابنه اسطفان وفوك . فالتجأ اسطفان الى البابا واعاد زوجته الاميرة البيزنطية الى القسطنطينية ونال لقب الملك من يد البابا ولكنه لم يخرج في النهاية عن الكنيسة الارثوذكسية .

هنريكوس السادس والروم : وتوفي فريديريكوس بارباروسه في العاشر من حزيران سنة ١١٩٠ غريقاً في نهر كوك صو في قيليقية . فخلفه ابنه هنريكوس السادس في امبراطورية الغرب . وكان هذا قد اقتون بقسطنسة وريثة وليم الثاني في صقلية وجنوبي ايطالية . فكتب في السنة ١١٩٤ الى اسحق الثاني فيسلفس الروم يطالب بالاراضي التي افتتحها النورمنديون في البلقان من ديراتزو حتى نيسالونيكية . ولدى وصول اليكسيوس الثالث الى العرش عاد هنريكوس فأرسل وفداً الى القسطنطينية بين الاساءة التي لحقت بالامبراطور فريديريكوس في اثناء مروره في اراضي الروم ويطلب التعويض . وكان فيليب اخو هنريكوس السادس قد تزوج من ايرينة ابنة اسحق الثاني . وعلى الرغم من النزاع الذي نشب بين هنريكوس وفيليب لدى وفاة والدهما الامبراطور فان فيسلفس الروم ظل يخشى تدخل فيليب في صالح اليكسيوس ابن اسحق واخي ايرينة زوجته . وخشي حبر رومة هذا التوسع في سلطة الامبراطور الغربي في ايطالية وصقلية . ولم ترق له مطامع هنريكوس السادس عبر الادرياتيك . ورأى من ناحية اخرى ان التعاون مع فيسلفس الروم يفيد من ناحيتين اخريين اذ انه يعاون على اعادة توحيد الكنيسة جمعاء وعلى محاربة المسلمين في الاراضي المقدسة لاسترجاع السلطة على القدس وغيرها من الاماكن التي كانت قد وقعت في يد صلاح الدين . وفي السنة ١١٩٨ رقي السدة

الرومانية انوشنتش الثالث . وكان عالماً ذكياً حازماً قوياً مؤمناً تقياً ،
فرأى ما رآه سلفه كلستينوس واتصل باليكسيوس الثالث وطلب اليه ان
يسعى لتوحيد الكنيسة وان يشترك في حملة صليبية رابعة تحرر القدس
وغيرها من حكم المسلمين .

الحملة الصليبية الرابعة : وبعث انوشنتش الثالث برسله الى الممالك
الاوروبية يروج فكرته ويحض الملوك والامراء والشعب على التطوع في
حملة جديدة . ولكن احداً من كبار الملوك لم يلب النداء . ففيليب
الثاني ملك فرنسا كان لا يزال تحت الحرم الباباوي لهجره زوجته الثانية
وتزوجه من ثالثة . وكان يوحنا الثاني ملك انكلترة لا يزال في خصام
شديد مع اشراف بلاده واعيانها . وكان هنريكوس السادس قد توفي في خريف
السنة ١١٩٧ في صقلية فنشبت مشادة عنيفة لتسم العرش الامبراطوري
بين اخيه فيليب واوتون الرابع ابن هنريكوس الاسد . بيد ان هذا
كله لم يمنع الفرسان الغربيين من تقبل الدعوة . فاشترك في هذه الحملة
الرابعة نخبة من افضل فرسان فرنسا وانكلترة والمانيه والبلدان الواطئة
وصقلية . وألح من حمل الصليب بهذه المناسبة شيخ البندقية هنريكوس
دندولو Dandolo الاعمى . وكان قد عرف القسطنطينية حق المعرفة وفقد
بصره فيها عندما حوّل بعض الروم نور الشمس الى عينيه بمرآة مقعرة .
فغضب وحقده وأخمر السوء . وكان سياسياً محنكاً ومفاوضاً حاذقاً . فلبى
نداء البابا ليقضي على دولة الروم وينشئ على انقاضها امبراطورية بندقية
غربية^١ .

وحيث فكر القائمون بهذه الحملة في كيفية الزحف على الاراضي المقدسة
ارسلوا وفداً الى البندقية يفاوض في نقل الجنود الى مصر اولاً لان مصر

Diehl, C., Venise, 47-48.

كانت مركز السلطة المستولية على فلسطين . فتم الاتفاق على ان تنقل
البندقية ٤٥٠٠ فارس و ٢٠,٠٠٠ جندي وعلى ان تطعمهم شرط ان يدفع
الصليبيون لها مبلغاً معيناً من المال وان تقسم الغنائم في المستقبل مناصفة
بينها وبينهم^١.

وتجمعت الحملة في البندقية في شهري تموز وآب من السنة ١٢٠٢ وعجز
الصليبيون عن دفع المبلغ المتفق عليه ولم يتمكنوا الا من دفع نصفه .
فانتبهز دندولو هذه الفرصة واقترح ان يدوخ الصليبيون مدينة زاره Zara
عبر الادرياتيك لحساب البندقية لانها كانت تنافس هذه منافسة شديدة .
فقام الصليبيون الى زارة وحاصروها . وعبثاً حاول اهلها اظهار شعائر
النصرانية على الاسوار لردع الصليبيين عن محاربة ابناء دينهم . وعبثاً
ايضاً حاول البابا ردع البنادقة عن هذه الاساءة لمبادئ الحروب الصليبية .
واستولى الصليبيون على زارة وقدموها للبندقية لقمة ساعة^٢.

وقد مرّ بنا في تضاعيف الفصول السابقة كيف تزايد البغض وتفاقم
بين الشرق والغرب ولاسيما في اثناء القرن الثاني عشر . فقد رأينا ملوك
النورمنديين الصقليين يجتازون الادرياتيك لاحتلال شواطئه الشرقية منذ
ايام روبر غيسكار حتى ايام روجه الثاني وخلفه ووريثه في صقلية
الامبراطور هنريكوس السادس . ورأينا ايضاً اباطرة الشرق يحشون
الصليبيين في اثناء مرورهم في اراضيهم فينشأ عن هذا الخوف شيء من
التوتر ، فيزداد احياناً ويؤدي الى التفكير الجدي في احتلال القسطنطينية .
وقد رأينا في الوقت نفسه هذا البغض يتفاقم فينفجر في شوارع عاصمة
الروم فيلحق بالجاليات اللاتينية فيها شيئاً كثيراً من الضرر والحسارة .

Villehardouin, Geoffroi, Conquête de Constantinople, I, 21-28, 30. ١

Innocent III, Epistolae, V, 161; Luchaire, A., Innocent III, Quest. ٢
d'Orient, 103-105.

ويجر البندقية الى الحرب للمحافظة على مصالحها التجارية في الشرق .
وفي اثناء السنة ١٢٠٢ أفلت اليكسيوس انجيلوس ابن اسحق الثاني من
السجن الذي كان قد اودع فيه سنة ١١٩٥ وجاء صقلية فرومة يستعطف
البابا على قضيته . ثم اتجه شمالاً شطر المانية يستعين بشقيقته ايرينة زوجة
فيليب سوابيه في هذا الامر نفسه . فرجت ايرينة زوجها وألحت عليه .
وكان فيليب آنئذٍ منهمكاً في نزاع مستميت ضد آتون ، كما سبق ان
أشرنا ، فأوفد وفداً الى زارة يرجو البنادقة والصلبيين مساعدة
اسحق الفيلسوس وابنه اليكسيوس للوصول الى العرش . فتفتحت امام
دندولو آفاق جديدة وهب يقنع الصليبيين بالقبول . وقام اليكسيوس
بنفسه الى زارة وفاوض دندولو والصلبيين في ذلك مباشرة ووعد بدفع
مبلغ كبير من المال مقابل هذه المعونة ، كما أظهر استعداده لادخال
كنيسة الروم في طاعة البابا واشتراكه اشتراكاً فعلياً في الحرب المقدسة^١ .
وقد اختلف رجال الاختصاص في اسباب تحول الصليبيين عن مصر
وفلسطين الى القسطنطينية . فقام في السنة ١٨٦١ ماسلاتري الافرنسي يتهم
البندقية وشيخها بالوصول الى تفاهم سري سابق مع سلطان مصر لتحويل
هذه الحملة عن اراضيه^٢ . وأيد قوله كارل هوبف الالماني فحدد تاريخ هذه
المعاهدة السرية وجعله في الثالث عشر من ايار سنة ١٢٠٢^٣ . وفي السنة
١٨٧٥ قام الكونت دي ريان الافرنسي يلقي المسؤولية في هذا التحول
في مجرى الحملة الرابعة على عاتق فيليب سوابيه فيجعل التحول عن مصر
مظهراً آخر من مظاهر النزاع بين الامبراطور الغربي والبابا لان انوشنتش

Villehardouin, G., *op. cit.*, I, 90-101, Luchaire, A., *op. cit.*; 111; Nicetas ١
Chon., *Hist.*, 712.

Mas - Latrie, *Hist. de l'Île de Chypre*, I, 162-163. ٢

Hopf, K., *Gesch. Griechenlands*, I, 188. ٣

الثالث كان يميل الى مناظر فيليب آتون البرنزويكي^١. وفي هذا كله تسرع^٢ للوصول الى استنتاجات جديدة تلفت النظر ، وخروج في الوقت نفسه عن ا بسط قواعد المصطلح . والواقع انه لا يجوز ان يقال في هذا الموضوع اكثر مما جاء في الفقرة السابقة .

وفي آخر حزيران من السنة ١٢٠٣ ظهر اسطول الصليبيين امام اسوار القسطنطينية ونزلوا بالقرب من غلطة فقطعوا السلاسل الحديدية التي حمت مدخل القرن الذهبي ، فدخلت مراكب البنادقة وأحرقت مراكب الروم . ثم اقتحم الفرسان الصليبيون اسوار العاصمة وامتولوا على المدينة في تموز من السنة نفسها . وفرّ اليكسيوس الثالث مخزينة الدولة وجواهرها . وأطلق سراح اسحق الثاني وأعلن ابنه اليكسيوس شريكاً له في الحكم . واتخذ هذا لقب اليكسيوس الرابع .

وطالب الصليبيون وندولو بتنفيذ نص المعاهدة ، اي بدفع المال المتفق عليه وباعداد قوة تقوم معهم الى الاراضي المقدسة . فاستمهم اليكسيوس الرابع ورجاهم ان يقيموا خارج اسوار العاصمة . وامتعض الروم من اللاتين الفاتحين واتهموا الفسيلفسين اسحق وابنه اليكسيوس بالخيانة ، وهب صهر اليكسيوس الثالث اليكسيوس دوقاس الى السلاح . وكانت ثورة في اوائل السنة ١٢٠٤ ادت الى وفاة اسحق وخنق ابنه اليكسيوس الرابع . ونودي باليكسيوس دوقاس فسيلفساً ، فعرف باسم اليكسيوس الخامس .

وفي اذار السنة ١٢٠٤ وقّع الصليبيون والبنادقة اتفاقاً فيما بينهم لاقتسام الامبراطورية الشرقية بعد احتلال العاصمة . وقضت شروط هذا الاتفاق بان تقام في العاصمة حكومة لاتينية وان تقسم الغنائم فيما بين الطرفين وان

تتولى لجنة مؤلفة من ستة بنادقة وستة افرنسيين أمر انتخاب امبراطور يحكم « لمجد الله ومجد الكنيسة الرومانية المقدسة ومجد الامبراطورية ». واتفق الطرفان ايضاً على ان يحكم هذا الامبراطور ربع العاصمة وربع الدولة التابعة لها ، وعلى ان يوضع تحت تصرفه قصران من قصور العاصمة . ونص الاتفاق ايضاً على تقسيم ما بقي من العاصمة واراضي الدولة مناصفة بين البندقية وبين سائر الصليبيين . وفرض على جميع الصليبيين الباقين في اراضي الدولة الجديدة ان يقسموا بين الطاعة والولاء للامبراطور . ولم يشمل هذا البند دندولو وبندقية^١ .

ثم حاصر الصليبيون القسطنطينية بضعة ايام ففر اليكسيوس الخامس ، فتدفقوا اليها في الثالث عشر من نيسان سنة ١٢٠٤ ناهبين . واشترك في اعمال النهب الفطيع الجنود الصليبيون وفرسانهم والرهبان اللاتينيون ورؤساؤهم^٢ . وشمل هذا النهب كنيسة الحكمة الالهية وغيرها من كنائس العاصمة وأديارها كما قضى على عدد كبير من ائمن المخطوطات^٣ .

ولم يرشح دندولو نفسه لعرش القسطنطينية ، ولم يرش مركزيز مونفترات Boniface de Monferrat ان يتسّمه لانه كان اميراً اقطاعياً ايطالياً قوياً . لا تبعد املاكه عن ممتلكات البندقية . فالتأمت لجنة الانتخاب وأقامت بلدين قومس فلاندر امبراطوراً على القسطنطينية . ثم قسمت الممتلكات فتولى الامبراطور على خمسة ائمان العاصمة وعلى الاراضي التي تاخمت المضيقين وبحر مرمرية وعلى بعض جزر الارخبيل الكبرى .

Tafel, G. L. F. und Thomas, G. M., *Urdkunden zur Altern Handels und Staatsgeschichte*, I, 446-452.

Nicetas Chon., *Hist.*, 753-763.

Chronicle of Novgorod, 186-187.

واستولى مركزيز مونتفرات على ثيسالونيكية وما جاورها من ارض مقدونية وعلى ثيسالية . ونال دندولو حصة الاسد ، فاستولى باسم البندقية على ديراتزو وغيرها من النقاط الهامة في ساحل الادرياتيك الشرقي ، كما احتل كورفو وغيرها من جزر مداخل هذا البحر ، وبعض اماكن في شبه جزيرة المورة وجزيرة اقريطش ، وبعض المرافئ على ساطيء تراقية وغالبولي وثلاثة اثمان القسطنطينية . واتخذ دندولو لنفسه بهذه المناسبة لقب ذسبوتس despotes ولقب « سيد الربع ونصف جميع امبراطورية رومانية » . وظل خلفاؤه في البندقية يستعملون هذا اللقب حتى منتصف القرن الرابع عشر . وتسلم اكليروس البندقية كنيسة الحكمة الالهية واقاموا بموافقة البابا توما موروسيني بطريركاً على الكنيسة الكاثوليكية في الامبراطورية الجديدة . فاستخف به الروم « لجهله وحقارته » .

واتخذ مركزيز مونتفرات لنفسه لقب ملك وقام الى آثينة فاحتلها وجعل منها ومن ثيبة دوقية وحوّل كنيستها الكاتدرائية في قلب البارثينون الى كنيسة لاتينية . وانتظمت الامبراطورية اللاتينية على اساس اقطاعي فقسمت الى عدد من الاقطاعات ، واقسم امراء هذه الاقطاعات بين الولاء والطاعة للامبراطور^٣ .

وكتب الامبراطور بلدوين الى البابا انوشنتش الثالث يعلمه بفتح القسطنطينية وبارتقائه عرشها بنعمة الله ، ويؤكد خضوعه للسدة الباباوية Miles Suus . فأجابه انوشنتش « متهللاً بالرب لتمجيد اسمه بالاعجوبة التي تمت فشرّفت العرش الرسولي وشعب المسيح » . وطلب الى جميع

« Quartae Partis et Dimidiae Totius Imperii Romanie Dominator » . ١

Nicetas Chon., Hist., 854-855. ٢

Vasiliev, A. A , Byzantine Empire, 465-467. ٣

الأكليروس وجميع الملوك والشعوب ان يؤيدوا بلدوين ليتمكن بعد فتح القسطنطينية من الاستيلاء على الاراضي المقدسة^١. ثم علم هذا الخبر الكبير بما اقترفه الصليبيون من آثام في القسطنطينية فحزن وقلق واضطرب. وكتب الى مركيزة مونترات يقول: « لقد حدثم عن طهارة نذرکم عندما زحقتم على المسيحيين بدلاً من المسلمين فاستوليتم على القسطنطينية بدلاً من القدس. وآثرتم كنوز الدنيا على كنوز الآخرة. وما هو اهم من هذا وذاك ان بعضکم لم يوقر الدين ولم يحترم العمر او الجنس^٢ ». وهكذا فانه لم يكتب لهذه الامبراطورية الجديدة عمر^٣ طويل^٤. فانها كانت منذ نشأتها اقطاعية ضعيفة في السياسة والحرب. وكانت مقسمة الولاء في الدين ينقصها الشيء الكثير من توحيد الكلمة. فرعايا الامبراطور الجديد ظلوا ارثوذكسين بعيدين عن دين الدولة الجديدة، ورجال الدين فيها ظلوا طوال عهدها يتبعون بطريکاً ارثوذكسياً جالساً في نيقية كما سنرى.

Tafel und Thomas, op. cit., I, 502, 516-517.

Epistolae, VIII, 133.

الفصل الثاني والثلاثون

امبراطورية نيقية

(١٢٠٤ - ١٢٦١)

على انقراض دولة الروم : وقام على انقاض دولة الروم في النصف الاول من القرن الثالث عشر عدد من الدويلات والامارات الافرنجية اللاتينية اهمها : امبراطورية القسطنطينية ، ومملكة ثيسالونيكية ، وامارة آخية في المورة ، ودوقية آثينة وثيبة . وشملت امبراطورية البندقية اهم الجزر في مداخل بحر الادرياتيك وبحر ايجه ، وجزيرة اقريطش ، وعدداً وافياً من النقاط الاستراتيجية في سواحل شبه جزيرة البلقان . وقامت دولة رومية يونانية في كل من نيقية وطرابزون وإيبروس . وكان هناك امبراطورية بلغارية ثانية وسلطنة سلجوقية في قونية .

وتاريخ هذا النصف من القرن الثالث عشر هو تاريخ نزاع بين الروم واللاتين ، وفيما بين الروم انفسهم ، وبين الروم والأتراك ، وبين الافرنج والبلغار . ولم يُقدّر للافرنج في الشرق في هذه الآونة ان يتبعوا سياسة ايجابية عمرانية فيوطدوا بذلك ملكاً راسخاً مستقراً . وأدى بقاؤهم فيه الى تخريبه وتخریب انفسهم في آن واحد .

امبراطورية نيقية : ومن نيقية خرج في النهاية من جمع الشمل وقام بعمل ايجابي فتغلب على الافرنج وأعاد الملك للروم . والاشارة هنا

لميخائيل باليولوغوس . ولذا فان سير الامور في دولة نيقية وتطور
احداثها وظروفها اكثر فائدة للباحث من اخبار غيرها من دويلات ذلك
العصر .

ولا نعلم شيئاً دقيقاً عن أصل اسرة الاساكرة Lascaris ولا عن
مسقط رأس مؤسسها ثيودوروس الاول (١٢٠٤ - ١٢٢٢) . وجل ما
نعلم عن ثيودوروس قبل تسنمه عرش نيقية انه كان صهر اليكسيوس
انجيلوس الثالث زوج ابنته حنة . ونعلم ايضاً ان ثيودوروس هذا حارب
الصليبيين في عهد اليكسيوس الثالث بامانة واخلاص وان اكليروس العاصمة
رأوه لاحقاً لتولي الملك بعد اليكسيوس دوقاس^١ .

ثيودوروس الاول

(١٢٠٤ - ١٢٢٢)

ايرينة = يوحنا الثالث دوقاس

(١٢٢٢ - ١٢٥٨)

ثيودوروس الثاني

(١٢٥٤ - ١٢٥٨)

يوحنا الرابع

(١٢٥٨ - ١٢٦١)

Gardner, A., *The Lascarids of Nicaea*, 53-54.

وفرّ ثيودوروس الاول عند سقوط القسطنطينية في يد الافرنج الى
آسية الصغرى . والتجأ اليها عدد من وجهاء الروم من الاوساط
العسكرية والمدنية . وجاءها بعض كبار رجال الدين . أما البطريرك
المسكوني يوحنا كاتيروس فانه آثر الاقامة في عاصمة البلغار . وأمّ الاناضول
عدد من الوجهاء والاعيان وغيرهم من سائر اقطار دولة الروم .
وأحب احد اعيان جزيرة افية بالقرب من الساحل اليوناني الشرقي ان
يلتجئ الى نيقية ، فكتب ميخائيل الخونيائي رئيس اساقفة آثينة كتاب
توصية بهذا الرجل الى ثيودوروس الاول . ومن أغرب ما جاء في هذا
الكتاب قول متروبوليت آثينة انه اذا حظي هذا الرجل بحماية ثيودوروس
نظر جميع الروم الى ثيودوروس نظرهم الى مخلص « رومانية » العام .
وكانت مهمة ثيودوروس شاقة فان سلطان ايقونية كان يهدده من الشرق
والجنوب . وكان امبراطور القسطنطينية يهدده من الغرب . وكانت الفوضى
في الداخل اكثر خطراً . وقام اللاتين في السنة ١٢٠٤ نفسها يحاولون
اخضاع آسية الصغرى . ونجحوا في اعمالهم التمهيدية نجاحاً كبيراً . وظنوا
ان الشعب في آسية الصغرى يؤيدهم كل التأييد^٢ . ولكنهم توقفوا فجأة
وتراجعوا عندما علموا ان البلغار اسروا امبراطورهم بلدين في الحرب .
تعاون الروم والبلغار : ولم يحسن اللاتين السياسة في البلقان وحقروا
البلغار وامبراطورهم وجعلوا هذا يشعر انه دون امبراطورهم مكانة ومرتبة .
وهددوه بالدمار والحرب . وأثاروا عليهم غضب الروم في تراقية ومقدونية
فسخروا من عقائدهم وطقوسهم وشعائرهم . فنشأ تعاطف شديد بين الروم
والبلغار . ويجوز الافتراض ان البطريرك المسكوني يوحنا كاتيروس الذي

Michael Acominatus, Works, II, 276-277.

Villehardouin, op. cit., I, 323.

كان قد التجأ الى عاصمة البلغار لعب دوراً هاماً في التحالف الذي تمّ في السنة ١٢٠٥ بين هذين الشعبين^١. فتشجع كالويان امبراطور البلغار وقوّى قلبه ورأى في هذا التفاهم سبيلاً لانشاء دولة رومية بلغارية تقضي على سيطرة اللاتين في البلقان وتتوج رأسه باكليل القسطنطينية^٢.

ولجأ البلغار والروم في اوروبة الى العنف . وسحب بلدين جنوده من ميدان القتال في آسية الصغرى . وفي الخامس عشر من نيسان سنة ١٢٠٥ التقى الجيشان بالقرب من ادرنة . فدارت الدائرة على اللاتين وسقط في ميدان القتال نخبة فرسان الفرنجة وأسر بلدين ثم ذبح ذبحاً . وتوفي دندولو متأثراً بما علمه من ذبح وخسارة ، ودفن في كنيسة الحكمة الالهية . وما فتىء مغموراً بترابها حتى أمر السلطان محمد الثاني العثماني باخراجه وبالتمثيل ببقاياها^٣.

ولم يدم هذا التضامن بين الروم والبلغار طويلاً . فما كاد روم البلقان يبصرون قبساً من نور مشعاً في سماء نيقية حتى فتر تحالفهم مع البلغار واتجهت انظارهم الى ثيودوروس الاول عبر المضائق . وكان ثيودوروس قد اغتم فرصة الحرب في البلقان وانشغال اللاتين عنه فوطد اركان عرشه في نيقية . واستقال البطريك المسكوني يوحنا العاشر فأقام ثيودوروس ميخائيل الرابع اوتوريانوس بطريركاً مسكونياً في نيقية (١٢٠٨) ثم تسلم التاج الامبراطوري من يده . وأصبحت نيقية مركز المقاومة في الدين والدنيا . وتقوّت فيما يظهر هذه الامبراطورية الجديدة بسرعة شديدة لاننا نجدها تفاوض البندقية في السنة ١٢٢٠ فتعقد معها معاهدة تعترف فيها البندقية

Zalatarsky, V. N., *Greek - Bulgarian Alliance*, 8-11.

١

Uspensky, Th., *Second Bulgarian Kingdom*, 245-246.

٢

Kretschmayer, H., *Gesch. von Venedig*, I, 321-472.

٣

بالقاب ثيودوروس التقليدية الفخمة^١.

وتبوأ العرش اللاتيني في القسطنطينية هنريكوس اخو بلدوين ، وكان نشيطاً قديراً . فعاد الى الحرب في آسية . ولكن الخطر البلغاري من ورائه حمله على ان يعود الى السلم في علاقاته مع ثيودوروس ولاسيا ان الاتراك السلاجقة كانوا يهددون ويُزبدون ولا يفرقون في النهاية بين دولة مسيحية غربية ودولة مسيحية شرقية .

وكان اليكسيوس الثالث انجيلوس قد التجأ الى ايقونية . فلما استتب الامر لثيودوروس في نيقية وأعلن نفسه امبراطوراً وريثاً لعرش رومة الجديدة طالب اليكسيوس بهذا العرش نفسه . فكتب سلطان ايقونية غياث الدين كيخسرو الاول الى ثيودوروس يطلب اليه ان يتنازل عن العرش . فنشبت الحرب بين الروم والاتراك ودارت رحاها بنوع خاص عند انطاكية كارية على نهر الميندر . فأظهر فرسان ثيودوروس الغريبيون المرتزة شجاعة فائقة وكبدوا الاتراك خسارة فادحة . وظفر ثيودوروس في معركة تالية بسلطان ايقونية نفسه فصرعه في ساحة القتال وأسر اليكسيوس الثالث وعاد به الى نيقية وأكرهه على قبول النذر ففعل ودخل أحد الاديار . ولم تحدث هذه المعركة الحاسمة بمعنوياتها اي تغيير فيما يظهر في حدود الدولتين^٢ ، ولكنها أحيت ماضياً عسكرياً مجيداً وثبتت الدولة الجديدة وملأت قلوب الروم بالغبطة والنشاط وجعلتهم يرون في نيقية مركزاً جديداً لتجمعهم وتوحيد صفوفهم^٣ . وكتب رئيس اساقفة آثينة

١ « Theodorus, in Christo Deo fidelis Imperator et Moderatur Romeorum
et Semper augustus Comnenus Lascarus » , Tafel und Thomas, op. cit.,
II, 205.

Jerphanion, G., Inscription Coppedociennes, Orientalia Christiana, ٢
1935, 242-243.

Vasiliev, A. A., Byz. Emp., 515.

ميخائيل الخونياتي رسالة الى ثيودوروس هنا فيها بنصره ورجا ان يكون هذا النصر « مقدمة للاستيلاء على عرش قسطنطين الكبير في المحل نفسه الذي انتقاه له السيد له المجد^١ ». وتقوى قلب ثيودوروس وأعلن الحرب على هنريكوس امبراطور القسطنطينية . وكان قد أعاد تنظيم جيشه وأصبح لديه اسطول قوي . وخشي هنريكوس سوء العاقبة واعتبر ثيودوروس اخطر اعدائه فحرر من برغاموس نداءه الشهير الى جميع اصدقائه مستنجداً مستعيناً في منتصف كانون الثاني من السنة ١٢١٢^٢ . ولكن مخاوف هنريكوس لم تكن في محلها . فانه انتصر على ثيودوروس وتوغل في اراضيه^٣ . ووقع الاثنان صلحاً حدد الحدود بين الدولتين ولم يزد في ممتلكات هنريكوس شيئاً يذكر^٤ . وفي السنة ١٢١٦ توفي هنريكوس امبراطور القسطنطينية فزال بوفاته خطر اللاتين وتمكن ثيودوروس الاول من متابعة عمله الداخلي ليسلم الى وريثه اداة فعالة لمتابعة الكفاح .

يوحنا الثالث باطاجي^٥ : (١٢٢٢ - ١٢٥٤) وتوفي ثيودوروس الاول في السنة ١٢٢٢ فتولى العرش بعده صهره يوحنا الثالث زوج ابنته ايرينة . وتميز يوحنا الثالث بنشاطه وبناقب نظره وبسرعة تنفيذه . وكان من حسن حظه ان مناظريه في سياسة الشرق الرومي امبراطور القسطنطينية وديسبوتس إبيروس وامبراطور البلغار لم يتفاهموا فيما بينهم . فلجأ يوحنا الثالث الى التحالف مع البعض منهم على البعض الآخر وحفظ بذلك مركزاً ممتازاً بينهم .

Michael Acominatus, op. cit., II, 353 ff.

١

Recueil des Hist. des Gaules, vol. 18, 530-533.

٢

Lauer, M. P., Lettre d'Henri d'Angre, Mélanges Schlumberger, I, 201.

٣

Gardner, A., op. cit., 85-86.

٤

John Ducas Batatzes.

٥

وكان قد استقر في مقاطعة إبيروس ميخائيل ابن يوحنا دوقاس انجيلوس غير الشرعي ، فاتخذ لنفسه اسم ميخائيل الاول انجيلوس دوقاس كومنينوس (١٢٠٥ - ١٢١٤) . وشملت مقاطعته بادىء ذي بدء كل ما وقع بين ديراتزو وخليج كورونثوس . وكانت مدينة أرتة Arta عاصمة هذه المقاطعة . وأبقى ميخائيل الاول على الادارة البيزنطية فيها . وأدت ظروف هذه الفترة العسكرية الى العناية بالجيش للصمود في وجه الطامعين : ملوك ثيسالونيكية في الشرق وعمّال البندقية في الغرب . وكانت إبيروس ولا تزال جبلية وعرة صعبة المنال فقدّر لها ان تحيا مستقلة كل الاستقلال . وقتل ميخائيل في ساحة الوعى فتولى الحكم بعده اخوه ثيودوروس . وكان ثيودوروس هذا قد بقي في نيقية في بلاط امبراطورها ، فكتب ميخائيل الاول الى ثيودوروس الاول ان يسمح لاخيه بالالتحاق به في سبيل الدفاع عن الروم . فسمح امبراطور نيقية بذلك شرط ان يقسم ثيودوروس اخو ميخائيل بين الولاء والطاعة له ، ففعل . ولكنه ما كاد يستوي على عرش إبيروس حتى حنث في يمينه .

وتوفي هنريكوس امبراطور القسطنطينية في السنة ١٢١٦ فانتهى الاشراف بطرس الكورتناي Pierre de Gourtenay خلفاً له ، وكان هذا قد تزوج من يولنده اخت بلدوين وهنريكوس . وكان بطرس وقت انتخابه في فرنسا ، فقام وزوجته الى القسطنطينية عن طريق رومة ، وتسلم تاجه من يد البابا اونوريوس الثالث خلف انوشنتش الثالث . وأرسل بطرس زوجته يولنده الى القسطنطينية بجزاً ، وقام هو وجنوده فعبّر الادرياتيک ونزل بالقرب من ديراتزو . فكمن له ثيودوروس وانقض عليه فاسره مع اكثر جنوده . وتوفي بطرس في السجن في إبيروس . فحكمت يولنده امباطورية القسطنطينية سنتين متتاليتين (١٢١٧ - ١٢١٩) . وكان بونيفاتيوس ملك ثيسالونيكية قد سقط في ميدان القتال في

السنة ١٢٠٧ في الحرب ضد البلغار، فاضطربت احوال مملكته الداخلية .
ولكن الامبراطور هنريكوس تمكن في اثناء حياته من الدفاع عن
هذه المملكة ضد اعدائها الروم والبلغار . فلما توفي هنريكوس وبطرس
بعده خلا الجو لثيودوروس ذيسبوتس إييروس . فأعلن هذا الحرب على
مملكة ثيسالونيكية واستولى عليها في السنة ١٢٢٢ ، واتسع ملكه من
الادرياتيكي حتى ايجيه فاتخذ لنفسه لقب فيسلفس ولم يبر بيمينه ليوحنا
باطاجي امبراطور نيقية . وطلب الى متروبوليت ثيسالونيكية ان يتوجه
فامتنع هذا مبدئاً ان التتويج من حقوق البطريرك المسكوني . ولما كان
هذا البطريرك جالساً في نيقية عاصمة يوحنا باطاجي الامبراطور التجأ
ثيودوروس الى متروبوليت اوخريدة المستقل في سلطته آنئذ . فتوجه
هذا المتروبوليت (١٢٢٣) . وتردى ثيودوروس بالارجوان واحتذى
الخداء الارجواني . وقام في الشرق بعد هذا امبراطوريات ثلاث . وخشيت
رومة سوء العاقبة فكتب البابا اونوريوس الثالث الى الملكة بلانش ام
لويس التاسع ملك فرنسة يستحثها لاسداء المعونة الى امبراطور القسطنطينية .
وتسابق الفسلفسان نحو عرش القسطنطينية . فتمكن يوحنا الثالث
باطاجي بقوة اسطوله من احتلال بعض جزر ايجيه ثم لبى نداء الروم في
أدرنة ونزل في اوروبه واحتل هذه المدينة دون مقاومة . وهب
ثيودوروس للقتال فاستولى على معظم تراقية . واقترب في السنة ١٢٢٥
من ادرنة فتراجع يوحنا عنها . ثم تابع ثيودوروس زحفه حتى وصل الى
اسوار القسطنطينية . وكاد يعيد حكم الروم الى مقره الرئيسي لولا تدخل
يوحنا آسن الثاني امبراطور البلغار (١٢١٨ - ١٢٤١) .
وتوفي روبر كورتناي امبراطور القسطنطينية في السنة ١٢٢٨ وكان

اخوه وخلفه بلدين الثاني لا يزال في الحادية عشرة من عمره ، فنشأت مشكلة الوصاية على هذا الامبراطور القاصر . ورغب يوحنا آسن الثاني في هذه الوصاية واقترح زواج بلدين من ابنته ووعده بتحرير الاراضي التي كان قد احتلها الروم . ولكن الاكليروس اللاتيني وبعض فرسان الفرنجة اصروا على انتخاب يوحنا بريانوس صاحب الحق في عرش القدس الذي كان آنئذ في اوروبة . فتحالف ثيودوروس ويوحنا آسن . ثم نكث ثيودوروس وعده . فنشب القتال وانتصر يوحنا آسن في السنة ١٢٣٠ في كولوكوتينتزة Kolokotinitza بين ادرنة وفيلبي ، ووقع ثيودوروس في الاسر ثم سميت عيناه . فتلاشت الامبراطورية الغربية ولم يبق في ميدان التسابق للاستحواذ على عرش القسطنطينية سوى يوحنا آسن البلغاري ويوحنا باطاجي النيقاوي .

وغضب يوحنا آسن لاختفائه في الاستيلاء على الوصاية في القسطنطينية فدخل في تحالف بينه وبين يوحنا باطاجي وعمانوثيل انجيلوس خلف ثيودوروس في ثيسالونيكية . فأدى هذا التحالف وهذا العمل المشترك الى التقارب بين روم الغرب وروم الشرق ، بين ثيسالونيكية ونيقية ، وفتح الباب على مصراعيه ليوحنا باطاجي ان يزيد نفوذه في ثيسالونيكية وتوابعها . وحاصر الروم والبلغار القسطنطينية في السنة ١٢٣٥ من البر والبحر معاً ولكنهم اضطروا الى ان يتراجعوا . وقام بلدين الثاني امبراطور القسطنطينية في رحلة الى الغرب يستنهض الهمم لمساعدته ضد صفوف « المنشقين » عن الكنيسة . وكان السبب الاكبر في تراجع الروم خوف يوحنا آسن من زميله يوحنا باطاجي من شخصيته ومواهبه وقوته .

وما ان لس هذه الحقيقة حتى اتصل برومة معلناً استعداداه للعودة الى
حضن الكنيسة طالباً ارسال ممثل بابوي الى عاصمته . ومدّ هذا التفكك
بين الحليفين في عمر الامبراطورية اللاتينية فترة اخرى من الزمن .

يوحنا الثالث وفريدريك الثاني : ورتي عرش الامبراطورية
الغربية في السنة ١٢٢٠ فريدريك الثاني أعظم اباطرة الغرب في العصور
الوسطى . وكان قد نشأ وتعرع في صقلية ، فشبّ اوسع افقاً وأرحب
صدراً من غيره ولاسيما في المسائل الدينية . فكان يجيد الايطالية واليونانية
والعربية . وعطف على العلم والعلماء فتصده عدد من علماء العرب واليهود ،
وانشأ جامعة نابولي ، وعطف كثيراً على مدرسة الطب في سالرنو . وكان
يتميز بعقل مولّد جريء فرأى ان يمارس صلاحياته وسلطته الى اقصى الحدود ،
فاصطدم برئاسة الكنيسة التي كانت تعتبر نفسها فوق جميع الملوك
والامراء^١ .

ورأى فريدريك الثاني في الامبراطورية اللاتينية مظهرًا من مظاهر
سلطة البابا وأداة لتوسيع نفوذه في الشرق والغرب معاً ، فقاومها مقاومة
شديدة وعطف على مناوئها ، فأمدّ ثيودوروس إبيروس وئيسالونيكية
بنفوذه وشيء من ماله فوقع بعمله هذا تحت حرم البابا . وكان يوحنا
الثالث بطاجي يرى في حبر رومة غريغوريوس التاسع (١٢٢٧ - ١٢٤١)
عدواً لدولة الروم لانه لم يعترف ببطريكية نيقية ، فأصبح بذلك
حجر عثرة في سبيل الوصول الى القسطنطينية . فتفاهم العاهلان يوحنا
وفريدريكوس وتحالفا في اواخر العقد الرابع من القرن الثالث عشر^٢ .
وحارب الروم في صفوف فريدريكوس في ايطالية . وتوفيت الفيلسفة

Haillard Breholles, J., Introd. à l'Hist. Dipl. de Frederic II.

١

Norden, W., Papsttum und Byzanz, 322.

٢

فتزوج يوحنا من ابنة فريدريكوس قسطنسة^١. ولكن هذا التحالف لم يدم طويلاً لان مانفرد Manfred الذي تولى عرش صقلية بعد فريدريكوس تألب على نيقية وعادها.

يوحنا الثالث وكيخسرو الثاني : وتمخض الدهر في اواسط آسية فأتى بتموشين خان الذي عرف بجنكينز خان اي الخان العظيم (١١٥٤ - ١٢٢٧). وقام احد احفاده باتو بمجموع كبيرة من التتر فدخل جنوبي روسية واستولى على كييف في السنة ١٢٤٠، ثم قطع جبال الكربات فوصل الى بوهيمية مخرباً مدمراً وفرض الاتاوة على الصقالبة الجنوبيين وعلى البلغار فدفعوها صاغرين. وجاءت جموع من هؤلاء آسية الصغرى مهددين سلطنة ايقونية ودولة الروم في طرابزون. فوحد الاتراك والروم صفوفهم لصد التتر، ولكنهم لم يفلحوا. ففي السادس والعشرين من حزيران سنة ١٢٤٣ تغلب التتر على الاتراك والروم في ارزنجان^٢. ودخل كيخسرو الثاني وثمانوئيل طرابزون في طاعة الخان الكبير. وأصبحت حدود التتر متاخمة لحدود فيلس نيقية في آسية. وجمعت المصيبة بين يوحنا وخصمه التقليدي سلطان ايقونية ولكنها أنزلت بهذا خسائر فادحة هدت أركان حكمه فلم يعد بعد ذلك خصماً يعاب^٣ به.

يوحنا الثالث عدو اللاتين الاوحد : وتوفي يوحنا آسن الثاني في السنة ١٢٤١ فانتهى بوفاته مجد مملكة البلغار الثانية. ولم يتمكن خلفاؤه من الاحتفاظ بفتوحاته. وانتهز يوحنا الثالث هذه الفرصة الثمينة فعبه الى اوروبة بجنوده وأعاد الى الروم كل ما كان يوحنا آسن قد ضمه الى

Nicephorus Gregoras, Hist. II, 7, 3; Diehl, C., Fig. Byz. 207-225. ١

Grousset, R., Empire des Steppes, 325-328. ٢

Bréhier, L., Byzance, 390-381. ٣

ملكه من مقدونية وتراقية . وفي السنة ١٢٤٦ استولى على ثيسالونيكية
وعلى ما بقي من مدن تراقية في حكم اللاتين . واعترفت إبيروس بسيادته .
فلم يبقَ والحالة هذه اي منافس يشاطره الطموح الى الاستيلاء على عرش
القسطنطينية . وعند وفاته في السنة ١٢٥٤ امتدت سلطته في اوروبة
من شاطيء البحر الاسود حتى شاطيء الادرياتيك . ولم يبقَ خارجاً عن
حكمه سوى القسطنطينية واواسط بلاد اليونان وشبه جزيرة المورة .
وأحب الروم يوحنا الثالث وقدروه حق قدره واعتبروه اباً مجدداً
باراً تقياً . وقام بعد وفاته من أطلق عليه لقب قديس . ولكن الكنيسة
الارثوذكسية لم تعترف بذلك . ولا يزال أهل مغنيسية حتى يومنا هذا
يحتفلون بذكره في كنيستهم المحلية في الرابع من تشرين الثاني من
كل عام^١ .

ثيودوروس الثاني : (١٢٥٤ - ١٢٥٨) ولدى وفاة يوحنا الثالث
حمل الجنود ابنه ثيودوروس حسب التقاليد الموروثة على ترس خاص
ونادوا به فيلسافاً . وكان البطريرك المسكوني عمانوئيل الثاني قد توفي
منذ زمن قريب ، فعرض ثيودوروس البطريركية على استاذة نيقيفوروس
البلميدي فرفض . فانتمى ثيودوروس الراهب ارسانيوس افطوريانوس ،
فوافق المجمع ، فشرطن بطريركاً مسكونياً . وفي الخامس والعشرين من
كانون الاول سنة ١٢٥٤ توج البطريرك الجديد ثيودوروس فيلسافاً .
وكان يوحنا الثالث قد عني عناية فائقة باعداد ثيودوروس للملك ، ان
من حيث حمل السلاح وبممارسة القتال ، او من حيث العلم والادب والفلسفة .
فانه وكل أمر تهذيبه العلمي الى أكبر اساتذة زمانه : الى نيقيفوروس
البلميدي Blemmydes والى جورج أكروبوليتس Acropolites . ومن هنا كانت

Arch. Sergius, Monologion, II, 344.

عقيدة ثيودوروس ان العلم والفضيلة لا ينفصلان . وورث ثيودوروس عن والده داءَ النقطة فنشأ سقيماً ضعيفاً . وكثرت نوباته بهذا الداء فأثرت في جهازه العصبي ، فلم يكن يقوى دائماً على ضبط اعصابه ، فأصبح سريع التهيج متسرعاً في احكامه . ولكنه ظل يحسن القيادة والادارة ، فقاد جيوشه الى النصر اكثر من مرة ، ووكل الادارة الى رجال اكفاء ونفذ احكامهم بدون تردد . وأدى هذا الحزم في تنفيذ القانون الى شيء كثير من الامتعاض في الاوساط العالية ولاسيما بين أصحاب الاملاك الكبيرة . فسهل بذلك وصول آل باليولوغوس الى الحكم كما سنرى^١ .

وما ان علم ميخائيل الثاني ملك البلغار وصهر ثيودوروس زوج اخته بوفاة عمه يوحنا الثالث باطاجي حتى انقضت على مقدونية وتراقية يستعيد ما ضمه يوحنا الثالث الى ملكه منهما . فعبر ثيودوروس الثاني الى اوروبة في شتاء السنة ١٢٥٥ وطرد البلغار من جميع الاماكن التي كانوا قد احتلوها . وفي ربيع السنة ١٢٥٦ عاد الى اوروبة قاصداً عاصمة البلغار فصد البلغار في وجهه ، وقبل الطرفان بصلح يعيد الحدود الى ما كانت عليه عند بداية الحرب^٢ .

وكان ميخائيل الثاني ديسبوتس إييروس قد خطب مريم ابنة ثيودوروس لابنه نيقيفوروس . فلما صمد ثيودوروس في وجه البلغار كما ذكرنا آنفاً سعى الديسبوتس لعقد الزواج وأرسل ابنه وخطيبته الى قصر ثيودوروس فاستقبلهما بحفاوة ، وقام هذا الى ثيسالونيكية ليشتري في حفلة الزواج . ولكنه طلب الى زميله ميخائيل والد صهره ان يتخلى بهذه المناسبة عن البانية وصرية وديراترو « مفاتيح الشرق » وان يسلمها له . فحاول

Diehl, C., Europe Orientale, 171; Bréhier, L., Byzance, 384-385.

١

Theodori Lascaris Epistulae, Festa, 279-282.

٢

ميخائيل ان يتملص واستعان بالصر ب والالبان ولكن دون جدوى .
فاضطر الى ان يقبل (١٢٥٧) .

وكان ثيودوروس قد سلم دفعة الامور في نيقية الى ميخائيل
باليلوغوس ، فخشي هذا تقلبات ثيودوروس ففرّ من نيقية والتجأ الى
كيخسرو الثاني في ايقونية . وأطل المغول يهددون الاتراك السلاجقة ،
فأبلى ميخائيل بلاءً حسناً في صفوف كيوخسرو وانتصر على المغول بالقرب
من تسكارا على حدود ارمينية . ثم غلب المغول كيوخسرو فراح هذا
يطلب معونة ثيودوروس في مغنيسية (١٢٥٨) . وبعد ذلك بتليل اضطر
كيخسرو الى ان يدخل في طاعة المغول مؤدياً اتاوة سنوية . ثم جاء دور
ثيودوروس فاستقبل في مغنيسية وفداً مغولياً . وقدر له النجاح لان المغول
كانوا قد بدأوا يتطلعون الى سورية . فوقع الوفد المفاوضات معاهدة سلم
مع ثيودوروس ونجت بذلك دولة نيقية من مطامع المغول وتخريبهم .
ورأى ميخائيل باليلوغوس ان لا مفر من التفاهم مع الفسيلس ، فعاد
الى نيقية طالباً الصلح عما مضى واعداً بالامانة والاخلاص . فطلب اليه
الفسيلس ان يقسم بين الطاعة والولاء له ولابنه يوحنا من بعده ، ففعل
ميخائيل وعاد الى سابق عزه وسطوته .

واستغل ميخائيل الثاني ديسبوتس إيبروس انشغال ثيودوروس في
الشرق فاستعان بالالبان والصر ب واستعاد « مفاتيح الشرق » وجميع
مقدونية ما عدا ثيسالونيكية . وأنفذ ثيودوروس ميخائيل باليلوغوس
بقوة صغيرة الى مقدونية فلم يقوَ هذا القائد على ميخائيل الثاني . فأمر
ثيودوروس بالقاء القبض عليه وادعاه السجن في نيقية مدعياً ان سحره
أعاد اليه مرضه .

وفي آب السنة ١٢٥٨ شعر ثيودوروس باقتراب الاجل ، فعاش عيشة
الرهبة ووزع الصدقات بسخاء على الفقراء والمساكين وطلب الى استاذ
نيقيفوروس البلميدي ان يحله من خطاياہ فأبى . فالتجأ ثيودوروس الى
متروبوليت ميتيلينة . ثم توفي في السادسة والثلاثين من عمره . فنقل الى
دير سوسندرة في مغنيسية ليدفن مع والده يوحنا الثالث .

يوحنا الرابع : (١٢٥٨ - ١٢٦١) وتوفي ثيودوروس عن اربع
بنات قاصرات وعن ولد واحد هو يوحنا وكان حينئذ ابن عشر
سنوات . وكان قد أقام ثيودوروس على ابنه القاصر وصياً كلاً من
البطريك ارسانيوس والوزير الصديق الجميم جاورجيوس موزالن
Muzalon .^١

وأحسّ موزالن بعدم رضى الاستقراطيين عنه وعن وصايته ، فطلب
الى مجلس الشيوخ ان ينتخب وصياً غيره . ولكن بعض الشيوخ ألحّ عليه
بوجوب متابعة العمل ، وفي طليعة هؤلاء ميخائيل باليولوغوس الذي كان
يدبر مكيده لاغتياله . وفي اليوم التاسع لوفاة ثيودوروس ذهب الوصيان
وافراد الاسرة المالكة وكبار رجال الدولة والاعيان الى مغنيسية لاقامة
الصلاة عن نفس ثيودوروس . وبينما هم يصلون دخل عدد من فرسان
الافرنج المرتزة من رجال ميخائيل باليولوغوس الى الكنيسة واغتالوا
الوصي موزالن واسقاه^٢ . ثم اجتمع الاعيان والشيوخ وانتخبوا ميخائيل
باليولوغوس وصياً بلقب دوق عظيم Megaduc ، ثم انتخبوه ديسبوتساً .
وبعد ان قوي على حزب الفسيلفس الصغير طلب ان يصير فيلسفياً شرط
ان يقسم اليمين ، على ان يحفظ حياة يوحنا وان يسلمه الدولة متى بلغ

Dolger, F., Regesten, 1846.

Acropolita, G., Annales, 75; Camb. Med. Hist., IV, 507.

سنّ الرشد . وأقسم اليمين في مطلع السنة ١٢٥٩ في مغنيسية . ثم قام الى نيقية ليتسلم تاجه من يد البطريك . فطلب ان يتوج قبل يوحنا فأبى البطريك ، فألح الشعب والاكليروس على البطريك فقبل ان يتوج ميخائيل وان يؤجل تتويج يوحنا الى ما بعد رشده . فتوجه البطريك فيلسفياً واستعفى واقام في دير . فاقم بعده نيقيفوروس الثاني وتوفي في اوائل السنة ١٢٦١ .

فتح القسطنطينية : (١٢٦١) وكان بلدوين الثاني امبراطور اللاتين قد طلب اعادة نيسالونيكية ومقدونية وتراقية اليه . فطلب ميخائيل نصف ايراد كارك العاصمة ومضرب النقود وهدد بالحرب . فسكت بلدوين ووقع معاهدة مع ميخائيل في اواخر السنة ١٢٥٨ . فحوّل ميخائيل اهماه شطر سميه ميخائيل الثاني ديسبوتس إيروس . وكان هذا قد ضمّ مقدونية حتى الفردار ، وانشأ تحالفاً ضد نيقية بينه وبين ملك صقلية وامير المورة . فأنفذ ميخائيل اخاه يوحنا بقوة الى الغرب فاحتل اרתة عاصمة الديسبوتس وأسر امير المورة ، ثم وقع معاهدة مع الديسبوتس في اواخر السنة ١٢٥٩ .^٣

وتفاهم ميخائيل والمغول في آسية ولم يعبا بمصير حليفه سلطان ايقونية^٤ . ثم حالف عمانوئيل كومنينوس امبراطور طرابزون^٥ . وكانت البندقية قد جارت على جنوى منذ السنة ١٢٠٤ فطردت الجنويين من القسطنطينية ومن سائر اسواق الروم . فلجأت جنوى الى القرصنة وأثارتها حرباً على البندقية

Dict. Hist. Geog. Eccl., IV, 750.

Dolger, F., *Regesten*, 1858.

Dolger, F., *Regesten*, 1882.

Dolger, F., *Regesten*, 1887.

Bréhier, L., *Byzance*, 389.

لا هوادة فيها . وشاهدت عكة في حزيران السنة ١٢٥٨ قتالاً شديداً بين الطرفين في شوارعها . وخسرت جنوى موقعة بحرية في نضالها هذا فلجأت الى صورا . وتدخّل البابا الكسندروس الرابع ليضع حداً لهذا النزاع وأرسل ممثلاً خاصاً الى عكة (١٢٥٩) لينقل حكمه في الامر ، ولكن البنادقة فيها لم يقبلوا شيئاً من هذا . فاتصلت جنوى بميخائيل باليولوغوس وعرضت تعاونها في سبيل عودة الروم الى الحكم في القسطنطينية . ولم يكن لدى ميخائيل اسطول كافٍ يغير به على القسطنطينية بجرأ ، فقبل عرض جنوى ووقع في نمنفة Nymphaeum في الثالث عشر من آذار سنة ١٢٦١ معاهدة هجومية دفاعية ضد البندقية والامبراطور بلدوين الثاني . وقضت شروط هذه المعاهدة بان تضع جنوى اسطولها تحت تصرف الفيلسوف وان يمنحها هو جميع الامتيازات التي كانت البندقية تتمتع بها في القسطنطينية وغيرها من اجزاء دولة الروم^٢ .

وبعد هذا بوقت قصير ارسل الفيلسوف القائد اليكسيوس استراتيغوبولس Strategopoulos على رأس ثمان مئة جندي ليقوم بملحمة على الحدود البلغارية . فلما وصل الى غاليبولي انضم اليه متطوعون كثيرون من الروم وأقنعوه بوجود القيام الى ضواحي القسطنطينية مؤكدين له ان حاميتها خرجت لتجارب بعيداً عنها ، فخشي القائد سوء العاقبة . ولكن احد ابناء العاصمة خرج في مساء ذلك اليوم من بيته بسرّادب الى خارج السور . فامسكه الروم وفهموا منه حالة العاصمة ، فادخلوا من السرّادب خمسين جندياً ، فتمكن هؤلاء من الاستيلاء على باب من ابواب المدينة . فدخل الجند جميعهم في الخامس والعشرين من تموز دون مقاومة ونادوا بميخائيل ويوحنا

Grousset, R., *Croisades*, III, 534-549.

١

Dolger, F., *Regesten*, 1887.

٢

فسيلفسين ، فانضم الروم في العاصمة الى الجيش . وأما السكاث الافرنج فمنهم من قتل ، ومنهم من هرب ، ونجا بلدوين الامبراطور على قارب تاركاً كل ما لديه غنيمة للفتحين . فلما سمع جيش الافرنج بما جرى عاد افراده الى العاصمة ليخلصوا عيالهم . فقابلهم الروم بالقتال والاحراق والتخريب . فيئس الافرنج واخذوا من استطاعوا من عيالهم وسافروا . فلما بلغ ميخائيل فتح القسطنطينية لم يصدق ، ثم تثبتت من الامر فابتهج . وقام الى العاصمة وفي صحبته ابنه وزوجته ووزراؤه ومجلس دولته ، فوصلوا في الرابع عشر من آب وباتوا خارج الاسوار . ثم أمر الفسيلفس ان يفتح الباب الذهبي الذي سدّه الافرنج . وفي الغد صعد متروبوليت كيزيكوس الى احد الابراج حاملاً ايقونة العذراء . وصلى على مسمع من الجماهير ثلاثة عشر افسيناً . وكان الفسيلفس عند تلاوة كل افسين يكشف رأسه ويركع على الارض فيحذو حذوه سائر الحاضرين . وعند نهاية كل افسين كانوا ينهضون ويصرخون معاً « كيريه ايلايصون » يا رب ارحم ! وبعد اتمام الصلاة مشى ميخائيل وراء الايقونة الى دير الاستودي حيث وضعت ايقونة العذراء . ثم امتطى جواداً وذهب الى كنيسة الحكمة الالهية . فصلى وشكر ، ثم ذهب الى القصر وكافأ القائد الظافر مكافأة لائقة وأمر بذكره مع الملوكة سنة كاملة . وأرجع البطريك ارسانيوس من عزلته ، فتوجه مرة ثانية في كنيسة الحكمة الالهية . ومنع ذكر يوحنا الرابع وسمل عينيه .

انوشنتش الثالث والكنيسة الارثوذكسية : ولم يرضَ هذا الجبر الكبير بادىء ذي بدءٍ عن احتلال القسطنطينية وانشاء امبراطورية لاتينية

في الشرق لانه رأى في ذلك ابتعاداً عن الهدف الاسمى الذي نشأت من أجل تحقيقه الحروب الصليبية . ثم عاد فرأى في التطور الذي طرأ على الازواح السياسية في الشرق نتيجةً لقيام هذه الامبراطورية اللاتينية ظرفاً ملائماً لتقوية الكثلكة وتدعيم السلطة فيها . فعني اولاً بتنظيم الكنائس الكاثوليكية التي نشأت في المناطق الصليبية . ثم نظر في علاقاتها مع السلطات السياسية المحلية ومع الشعب الارثوذكسي والسلطات الارثوذكسية الروحية . ثم اتسع افقه فحاول توحيد الكنيستين الشقيقتين الارثوذكسية اليونانية والكاثوليكية اللاتينية .

وكان قد بقي في المقاطعات الصليبية عدد غفير من الارثوذكسين شعباً واكليروساً . فسمح انوشنتش في الابرشيات التي تغلب فيها العنصر الارثوذكسي على غيره ان يسام فيها اساقفة ارثوذكسيون وان تقام الشعائر الارثوذكسية بما فيها استعمال الخمر في الذبيحة . ولكنه بث رسله في هذه المناطق يدعون لتوحيد الكنيسة ، اي للاعتراف بسلطة البابا .

وفي السنة ١٢٠٤ أمّ القسطنطينية قاصد رسولي يدعو الاكليروس الارثوذكسي للتفاهم وتوحيد الكلمة . وجرت مفاوضات في هذا المعنى في كنيسة الحكمة الالهية ولكن دون جدوى . ثم تابع الطرفان البحث في السنة ١٢٠٥ - ١٢٠٦ ، واشترك في التفاوض كل من نيقولاووس ميزاريتس (رئيس اساقفة افسس فيما بعد) ونيقولاووس اوترانتو الذي كان يجيد اللاتينية واليونانية فيترجم للطرفين . ثم توفي البطريرك المسكوني يوحنا العاشر (١٢٠٦) وكان قد لجأ الى بلغارية عند احتلال القسطنطينية ، فطلب الاكليروس الارثوذكسي في الامبراطورية اللاتينية الى الامبراطور هنريكوس ان يؤذن لهم بانتخاب بطريرك جديد . فوافق الامبراطور

ولكنه اشترط ان يخضع البطريرك الجديد لسلطة البابا . فأخفقت المفاوضات التي كانت لا تزال قائمة في القسطنطينية للتوفيق بين الكنيستين^١ . وقضت ظروف ثيودوروس الاول لاسكاريس ان يكون لديه بطريرك في نيقية . وأنتخب ميخائيل الرابع ، كما سبق ان أشرنا ، فاتجهت انظار الارثوذكس في المناطق الصليبية الى نيقية ، الى فيلسفها وبتريكها للتحرر من ضغط الامبراطور اللاتيني و ضغط رئيس كنيسته .

وجرت مفاوضات جديدة لتوحيد الصفوف في السنة ١٢١٤ في القسطنطينية فمثل الكنيسة اللاتينية القاصد بيلاجيوس Pelagius وناب عن البطريرك المسكوني نيقولاووس ميزاريتس « متروبوليت افسس واكسرخوس جميع آسية » . ولكن صلف بيلاجيوس و ضغطه على الاكليروس الارثوذكسي في العاصمة وتشبته بوجوب الاعتراف « بسلطة » البابا حالت دون الوصول الى اي تفاهم بين الكنيستين^٢ .

وجل ما توصل اليه البابا انوشنتس الثالث هو اعتراف المجمع اللاتراني الذي التأم في السنة ١٢١٥ بسلطة البابا على بطاركة اللاتين في الشرق ، في القسطنطينية وانطاكية والقدس . ولكن الكنيسة الارثوذكسية لم تر في هذا المجمع مجعاً مسكونياً وبالتالي فانها لم تدعن لمقرراته . ولم يتمكن انوشنتس من فصل الدين عن السياسة . فانه لم يعترف بلقب الفيلسوف الذي اتخذته لنفسه ثيودوروس الاول لاسكاريس ، ولم يخاطبه باي لقب اعلى من لقب « شريف »^٣ . ورأى في رسالته اليه ان اللاتينين باحتلالهم القسطنطينية كانوا أداة الحق في الاقتصاص من اليونان لان هؤلاء لم

Heisenberg, A., op. cit., II, 5-6, 25-35.

Gerland, E., *Gesch. des Lateinischen Kaiser - reiches*, 233-243.

« Nobili Viro Theodoro Lascari ».

يعترفوا بسلطة رومة^١.

وفي السنة ١٢٣٢ انطلق خمسة رهبان فرنسيسكانيين من الاسر في ايقونية فجاؤوا نيقية وفتحوا البطريرك المسكوني جرمانوس الثاني في اتحاد الكنيسة. فسر البطريرك بهم وأطلع الفيلسوف يوحنا الثالث باطاجي على ما اقترحوه وكتب الى البابا غريغوريوس التاسع للنظر في أمر الاتحاد. فجاؤا نيقية في السنة ١٢٣٤ وفد باباوي لهذه الغاية. وانعقد مجمع لدرس مشروع الاتحاد في نيقية اولاً ثم في نغمة. واشتد الجدل بين الفريقين فطلب نيقيفوروس البلميدي ان يتم الاتحاد على قبول عبارة الآباء القديمة: ان الروح القدس ينبثق من الآب بالابن. ولكن الغربيين لم يرضوا. فرأى الفيلسوف ان يبقى الغربيون على عادتهم في تقديم الفطير ويحذفوا من دستور الايمان الانبثاق من الابن. فرفض نواب البابا ذلك. وانفض المجمع دون الوصول الى اية نتيجة^٢. وكتب عندئذ جرمانوس البطريرك مؤلفه الشهير في انبثاق الروح القدس.

وتوفي فريديريكوس الثاني امبراطور الغرب وصديق يوحنا الثالث باطاجي (١٢٥٠) وتولى شؤون صقلية بعده مانفرد. وتآلب هذا على الروم في نيقية، ففاوض فيلسوف الروم البابا انوشنتش الرابع في أمر اتحاد الكنيسة واشترط اعادة القسطنطينية وبتطير كنيستها الى الروم، وخروج امبراطور اللاتين والاكليروس اللاتيني من عاصمة الشرق، وقبل بالاعتراف بسلطة البابا في مقابل هذا كله. فقبل انوشنتش الرابع. وكتب البطريرك الى البابا يعلن تفويض الوفد الارثوذكسي مفاوضة رومة في أمر هذا

Epistolae, XI, 47.

Mansi, Amplissima, XXIII, 279-318; Disputatio Latinarum et Graecarum, ٢
(*Archivum Franciscanum, XII, 428-465, 1919*)

الاتحاداً. وتوفي البابا والفيلسوف في السنة ١٢٥٤ فظل اتفاقها مشروع اتفاق غير موقع. ونهج ثيودوروس الثاني نهج والده يوحنا الثالث، فرأى في اتحاد الكنيستين اداة حسنة للاستيلاء على القسطنطينية. فأوفد الى البابا الكسندروس الرابع في السنة ١٢٥٦ شريفين من أشرف المملكة يطلبان العودة الى التفاوض على الاسس نفسها التي كان قد اقترحها يوحنا الثالث. فلبى البابا النداء وأرسل الى نيقية وفداً مفاوضاً برئاسة قسطنطين اسقف اورفيتو Orvieto وخوله حق الدعوة الى مجمع وحق التروؤس عليه وسن مقرراته. وتحسنت ظروف ثيودوروس السياسية والعسكرية. فلما وصل الوفد المفاوض الى مقدونية منعه الفيلسوف من التقدم فيها وأمره بالخروج من الاراضي الخاضعة لسلطته^٢.

وجاءت السنة ١٢٥٨ فتوفي ثيودوروس الثاني، وتولى الوصاية ميخائيل باليولوغوس، وطمع في الحكم فأعلن نفسه فيلسفياً في السنة ١٢٥٩. وخشي حلفاً ينظم ضده في الغرب، كما سبق ان أشرنا، فأرسل يفاوض البابا الكسندروس الرابع ويطلب معونته. ولكن هذا البابا كان قنوعاً متقاعساً فلم يحرك ساكناً ولم يستغل ظرف ميخائيل. ثم استولى ميخائيل على القسطنطينية دون معونة البابا^٣.

علماء نيقية وادباؤها: وعلى الرغم من الفظائع التي ارتكبها الصليبيون في القسطنطينية من سلب ونهب وتدمير وتخريب، وعلى الرغم ايضاً من صغر الدولة التي قامت في نيقية ومن ضالة مواردها فانها انجبت عدداً من العلماء والادباء خلدوا ذكرها على ممر الدهور. ويعود الفضل في هذا

Norden, W., *Das Papsttum*, 756-759.

١

Acropolita, G., *Annales*, 139-140.

٢

Norden, W., *Papsttum*, 382-383; Janin, R., *Sanctuaires de Byzance*, ٣
Etudes Byzantines, II, 1945, 134-184.

الى الاسرة الحاكمة . فان جميع اللساكرة ما عدا الصبي يوحنا الرابع
احبوا العلم وعطفوا على العلماء . فثيودوروس الاول المؤسس دعا هؤلاء
من جميع المناطق الى بلاطه فأفق عليهم بسخاء وشجعهم على متابعة
اعمالهم . وبين هؤلاء نيقيتاس المؤرخ ، فانه فرّ من القسطنطينية عند
سقوطها بيد الصليبيين فوجد في جوار ثيودوروس وقتاً ودخلاً كافيين
لاعادة النظر في تاريخه واجاله وتصنيف رسالته الشهيرة في الارثوذكسية .
وعلى الرغم من متاعب يوحنا الثالث بطايجي السياسية الداخلية والخارجية
والعسكرية فانه انشأ دوراً للمطالعة في مدن دولته وحض الشبان على
الالتحاق بالمدارس للتعلم . ولم يكتف ثيودوروس الثاني وابنه وخلفه
بانشاء دور المطالعة بل ابتاع على نفقته الكتب لها وشجع امناءها على
اعارتها للمطالعة خارج هذه الدورا .

نيقيفوروس الباميدي : (١١٩٧ - ١٢٧٢) وأشهر علماء نيقية في
هذه الفترة من تاريخها نيقيفوروس الباميدي . ولد في القسطنطينية في اواخر
القرن الثاني عشر وفرّ منها مع والديه لدى سقوطها في يد اللاتين الصليبيين
والتجأ معهما الى اراضي ثيودوروس لاسكاريس الاول . وقضى حدائته
يتنقل بين مدن آسية الصغرى في طلب العلم . فتعلم الشعر والبيان والمنطق
والفلسفة والعلوم الطبيعية والطب والحساب والهندسة والفيزياء والفلك . ثم
استقر في دير وانكب على درس الاسفار المقدسة . ورفي السدة البطريركية
في عهد يوحنا الثالث بطايجي البطريرك جرمانوس الثاني . وكان يجب
نيقيفوروس ويعطف عليه ، فاستدعاه الى الدار البطريركية وأطلعه تدريجياً
على مشاكل الكنيسة . وآثر نيقيفوروس العزلة والحياة الرهبانية فتترك
الدار البطريركية وانعزل في دير بالقرب من ميليطس . ثم خرج من

هذا الدير ليشترك في المفاوضات التي جرت في عهد يوحنا الثالث وجرمانوس الثاني مع رومة في أمر اتحاد الكنيستين . وعاد الى العزلة يدرس ويؤلف ليخرج منها بامر من الفيلسوف للتفتيش عن المخطوطات في تراقية ومقدونية وآثوس واتباعها لحساب الفيلسوف . ثم طلب اليه يوحنا ان يعنى بتربية ابنه ثيودوروس الثاني ففعل وانشأ ديراً خاصاً وكاد يصبح بطريكاً مسكونياً ، وتوفي في ديره في السنة ١٢٧٢ .

وأهم مصنفات هذا العالم سيرته وفيها معلومات هامة مفيدة عن السياسة والاجتماع والعلم في النصف الاول من القرن الثالث عشر . ويجيء بعدها في الاهمية كتابه سنة الفيلسوف الذي صنفه خصيصاً لتلميذه ثيودوروس الثاني وفيه رأي العالم في واجبات الحاكم وسلوكه . وكتب مختصرين في الفيزياء والمنطق فأصبحا مرجعين هامين لطلاب هذين العلمين في الشرق والغرب ولاسيما ايطالية^٢ .

أكروبوليتة وثيودوروس : وأشهر تلاميذ نيقيفوروس جاورجيوس أكروبوليتة Acropolita وثيودوروس الثاني الفيلسوف . وولد الاول في القسطنطينية وأم نيقية في صباه في عهد يوحنا الثالث باطاجي . ودرس على نيقيفوروس مع ثيودوروس الثاني . والتحق بخدمة الدولة فوصل الى اعلى مراتبها . ثم دخل القسطنطينية في ركاب ميخائيل باليولوغوس وتولى في عهده بعض المفاوضات الدولية الهامة . فهو الذي مثل ميخائيل في مجمع ليون سنة ١٢٧٤ كما سيجيء معنا . وأهم خلفاته تاريخه الشهير الذي ضمنه حوادث الشرق ما بين السنة ١٢٠٣ والسنة ١٢٦١ . وروايته فيه جليلة

١ Bréhier, L., *Blemmides, Dict. d'Hist. et de Geog. Eccl.*, IX, 178-182 ;
Barvinok, V., *Nicephorus Blemmides and His Work* ; Vasiliev, A. A.,
Byz. Emp., 549-553.
Heisenberg, A., *Carriculum*, 68.

واضحة لها قيمتها العلمية لان واضعها اشترك في بعض ما روى ، او شاهد
البعض الآخر وعاصر الباقي^١.

اما ثيودوروس الفيلسوف فانه درس على نيقيفوروس ثم على اكروبوليتة
فأحب المعرفة والفضيلة بفضلهما ، وشجع العلم والعلماء ، وانشأ المدارس
ودور الكتب ، وأظهر عناية بالطلبة فدعاهم الى قصره وحدثهم في ما
تعلموه وشجعهم . وتعشق الفلسفة ولا سيما فلسفة ارسطو . وكتب في الفلسفة
والدين والعلوم الطبيعية والرياضية^٢.

ادباء إبيروس وعلماءها : واخبار الادب اليوناني في إبيروس
وملحقاتها في النصف الاول من القرن الثالث عشر مهمة لانها تعاون
الباحث في تتبع اخبار النهضة في ايطالية والغرب فتظهر أثر اليقظة اليونانية .
وأشهر ادباء إبيروس وتوابعها يوحنا ابوقوقوس متروبوليت ليبانتو ،
وجاورجيوس باردانس متروبوليت كورفو ، وديميتريوس خوماتينوس رئيس
اساقفة اوخريدة .

ولا نعلم الشيء الكثير من أخبار هؤلاء . ولكننا نعلم ان الاول
Apocaucus تعلم في القسطنطينية وتعشق الادب اليوناني القديم فاكثروا من
مطالعة هوميروس واريستوفانس وثوقيديذس ، وارسطو ، وانه كتب كثيراً
في الناموس ونظم كثيراً من الشعر الحكمي^٣.

أما رئيس اساقفة ليبانتو Georges Bardanes فانه ولد في آثينة ،
وتعلم على رئيس اساقفتها ميخائيل الحونياني ثم أم نيقية وقضى في بلاطها
مدة ، ثم عاد الى الغرب فسيم اسقفاً على كورفو . وخلف رسائل متنوعة

Vasiliev, A. A., Byz. Emp., 553-554.

Theodore Lascaris, Epistolae, ed. Festa.

Petrides, S., John Apocaucus, Russian Arch. Inst. Const., 1919.

باسلوب يوناني كلاسيكي نقي ، بعضها ديني جدلي ، وبعضها حكمي ادبي .
وعني رئيس اساقفة اوخريدة Dimitrios Chomatenos بقرارات المجامع
وبالناموس والقانون .

الباب الحادي عشر
اليقظة الاخيرة واخفاؤها

(١٢٦١ - ١٣٨٩)

•

الفصل الثالث والثلاثون
دولة صغيرة ارثها كبير وظرفها خطير

(١٢٦١ - ١٣٢٨)

سياسة ميخائيل الثامن الداخلية : وعني ميخائيل باقالة عثرة العاصمة
واعادتها الى سالف مجدها ، فترتب عليه ترميم الاحياء التي كانت قد التهمتھا
النار ، وتشديد المؤسسات الخيرية من جديد ، واستهواء السكان للعودة الى
المدينة وضواحيها ، وتوزيع ممتلكات البنادقة ، وايواء تجار جنوى ، وتعهد
الاسوار بالاصلاح ، وانشاء اسطول حربي جديد .
واشدت رغبته في توطيد سلطته وحقه في الملك ، فسمّل عيني الولد
يوحنا الرابع ، وشوّه كاتم اسراره عمانوئيل هولوبولس لانه شهد بام عينه
الجريمة التي ارتكبت بحق الفسيلفس الولد . وهال البطريك ارسانيوس
هذا الامر فوضع ميخائيل تحت الحرم الكنائسي . فأنزل عن عرشه

البطيركي ونفي ، وتسبم هذا العرش جرمانوس رئيس اساقفة ادرنة . فدخلت الكنيسة في ازمة شديدة دامت زمناً طويلاً .
 ومال ميخائيل الثامن الى الأشراف وربط بالتزواج بين كثير من افرادهم وافراد اسرته . وخصَّ انسياءه بالوظائف الكبرى فجعل اخاه يوحنا القائد الاعلى للجيش . فامتعضت الاوساط الشعبية ومالت عنه وأيدت البطيرك ارسانيوس وانضمت الى حزبه . وفي السنة ١٢٧٢ أشرك ميخائيل ابنه البكر اندرونيكوس في الحكم فتوجه فيلسفياً في السادسة عشرة من عمره وأزوجه من مريم ابنة اسطفان الخامس ملك المجر ٢ .

ميخائيل الثامن

(١٢٦١ - ١٢٨٢)

(١) مريانا المجرية (حنة) = اندرونيكوس الثاني = ايرينة الايطالية (٢)

(١٢٨٢ - ١٣٢٨)

زينه ماريا = ميخائيل التاسع

(١٢٩٥ - ١٣٢٠)

حنة صفوية = اندرونيكوس الثالث

(١٣٢٨ - ١٣٤١)

Pachymeres, G., Mich. IV, 9-12.

١

Dolger, F., Regesten, 1994-1995.

٢

وقضت ظروف ميخائيل العسكرية والسياسية الدولية بالانفاق ، وقطعت المعاهدة مع جنوى موارد ثمينة ففرغت خزانة ميخائيل من المال وتعسر عليه اسعاد الدولة وتعذراً . وظهر النقص في امانة ابناء جنوى فتألبوا على ميخائيل في السنة ١٢٦٤ وتأمروا مع مانفرد عدو ميخائيل على تسليم القسطنطينية الى الافرنج ، فتقرب الفسيلفس من البنادقة^٢ . فخشي الجنوبيون سوء العاقبة وقبلوا ان يتخلوا عن حيتهم في داخل العاصمة وان يقيموا خارجها عبر القرن الذهبي ، فقامت غلطة مدينة اجنبية عند مدخل العاصمة ! (١٢٦٥) .

سياسته اطارجية : وتلخص سياسة ميخائيل الثامن اطارجية في انه سالم المغول في آسية ليتسنى له فرض سلطته على جميع ممتلكات الروم السابقة في شبه جزيرة البلقان ، وفي انه بذل جهده للحيلولة دون قيام حملة صليبية جديدة لاحتلال القسطنطينية ، فاضطر اضطراراً الى ان يتودد لخب رومة فيعيد اتحاد الكنيستين ليضمن معارضته لكل مشروع صليبي يؤدي الى السيطرة على القسطنطينية .

ففي السنة ١٢٦٢ اطلق من الاسر وليم فيلهردوان الذي كان قد وقع في يد الروم سنة ١٢٥٩ بعد موقعة بالاغونية لقاء بين الطاعة والولاء للفسيلفس ولقاء تحويل ثلاث قلاع من قلاعه في اقصى المورة الى الروم . وكان قد وصل البابا اوربانوس الرابع الى السدة الباباوية في السنة ١٢٦١ وبعد سقوط القسطنطينية في يد الروم . وكان هذا البابا يرغب بشدة في اعادة اللاتين الى سابق حكمهم في القسطنطينية فحل وليم فيلهردوان من يمينه . فحاول ميخائيل التقرب من مانفرد ملك صقلية فلم يفلح ، فتقرب من

Ostrogorsky, G., Gesch. des Byz. Staates, 341-342.

١

Dolger, F., Regesten, 1928, 1934.

٢

البابا الجديد وأغراه باتحاد الكنيستين . فعذل اوربانوس الرابع عن فكرة الحملة على القسطنطينية . وبدأت المفاوضات في اتحاد الكنيستين ولكن اوربانوس توفي في الثاني من تشرين الاول سنة ١٢٦٤ . وخلف اوربانوس الرابع اقليمس الخامس ، فعضد هذا البابا كارلوس آنجو في مطامعه في صقلية . وكانت حرب بين كارلوس ومانفرد انتهت في السنة ١٢٦٦ بسقوط مانفرد في ميدان القتال . فعاد ميخائيل الثامن يفاوض هذا البابا الجديد في أمر اتحاد الكنيستين خوفاً من مطامع كارلوس . وغدا هذا البابا أسد اندفاعاً من سلفيه في اعادة الامبراطورية اللاتينية في الشرق . فصاح ميخائيل مهدداً بانه لا يضمن له شيئاً قبل ان يخضع الفيلسوف وكنيسته واكليروسه لسلطته دون قيد او شرط (١٢٦٧)١ . وتابع كارلوس آنجو ملك صقلية استعداداته للعمل السياسي الحربي في الشرق ، فاستمال زعماء عساكر مانفرد في إيروس ، وحالف امير المورة اللاتيني ، ووقع معاهدة مع بلدوين الثاني امبراطور القسطنطينية السابق ، حدد فيها توزيع الغنائم (١٢٦٧) . وتوفي اقليمس الرابع في ٢٩ من تشرين الثاني سنة ١٢٦٨ ، وانقسم الكرادلة على بعضهم ، فغدت السدة الباباوية شاغرة سنتين وتسعة أشهر . فخشي ميخائيل سوء العاقبة ، فلجأ الى لويس التاسع ملك فرنسا راجياً وضع حد لمطامع اخيه كارلوس آنجو في ممتلكات الروم مؤكداً استعداده للاعتراف بسلطة البابا وقرب اتحاد الكنيستين٢ . فأحال لويس هذا الاقتراح الى مجمع الكرادلة وأوقف اخاه عن القسطنطينية ووجهه نحو تونس٣ .

Dolger, F., *Regesten*, 1943, 1947. ١

Dolger, F., *Regesten*, 1968, 1971. ٢

Bréhier, L., *Ambassade Byzantine devant Tunis*, (Mélanges Iorga), ٣
139-146.

محاولة توحيد الكنيستين : (١٢٧٤) وتوفي لويس التاسع في السنة ١٢٧٠ فعاد كارلوس آنجو من تونس الى صقلية وعادت مطامعه في الشرق . فأزوج احد ابناؤه من ابنة امير المورة فيلهردوان وأمد هذا الامير بالعساكر فحنت بيمينه وحارب الروم وقدر له النصر في احدى المواقع (١٢٧١)١ . ثم اتفق الكرادلة وانتخبوا غريغوريوس العاشر رئيساً على الكنيسة الغربية . وكان غريغوريوس شديد الحرص على نجاح الصليبيين في الاراضي المقدسة . وكان يرى ان هذا النجاح لن يتم دون تفاهم تام بين الكنيستين اللاتينية واليونانية . فلم يرضَ عن مطامع كارلوس آنجو في الشرق٢ . ولكن هذا لم يثن عن غيه فمد اصابعه الى البانيا وثيرسالية وبلغارية وحرص وألّـب . فقابله ميخائيل الثامن بتحالف مع الفونس العاشر ملك كستيلية (قشتالة) وعدو كارلوس ، ومع اسطفانوس ملك المجر ، ومع الجنويين للمرة الثانية٣ .

وجاءت معونة البابا غريغوريوس العاشر اكثر جدوى وانفع من كل هذا . فقبل ان يغادر عكة ليتسلم رئاسة الكنيسة كتب الى ميخائيل الثامن يؤكد رغبته في اتحاد الكنيستين . وبعد وصوله الى رومة ارسل اربعة رهبان فرنسيسكانيين ليؤكدوا حماية البابا في حال الاتحاد٤ . فدخل الفيلسوف والبابا في طور من الصداقة والاخلاص المتبادل . وكان غريغوريوس أرحب صدرأ من سلفه اقليمس الرابع فلم يطلب الى الاكليروس سوى الاعتراف بسلطته القانونية والفعلية والعودة الى درج اسمه في الذبيخة .

Zakythinos, D. A., *Despotat Grec de Morée*, 50-55. ١

Norden, W., *Papsttum*, 470-474. ٢

Dolger, F., *Regesten*, 1990-1991. ٣

Regesta Pontificum Romanorum, 68. ٤

وهب" ميخائيل بيت الدعاية في الاوساط الاكليريكية اليونانية للاعتراف
بسلطة البابا مبنياً علاقة هذا الاعتراف الاكيدة بخلص القسطنطينية
وسلامتها. ولكن هذه الدعاية قوبلت بمقاومة شديدة ومكابرة لا تقبل
النقص^١، ولاسيا من البطريك والاساقفة وبعض اعضاء الاسرة المالكة .
وجل ما توصل اليه ميخائيل انه استمال احد علماء اللاهوت يوحنا فقس
وعدداً قليلاً من الاساقفة .

ودعا غريغوريوس العاشر الى مجمع مسكوني في ليون في السنة ١٢٧٤
فحضره وفد رومي شرقي مؤلف من البطريك المستقيل جرمانوس ،
واللوغوثيوس جاورجيوس أكربوليتة ، ورئيس اساقفة نيقية . وحمل
اعضاء هذا الوفد كتاباً من الفسيفس الى البابا يعترف فيه بمطالب
غريغوريوس العاشر . وبعد تلاوة هذه الرسالة ورسالة غيرها من نوعها
موقعة من بعض رجال الاكليروس الارثوذكسي أعلن رسمياً اتحاد
الكنيستين في السادس من تموز سنة ١٢٧٤^٢ . ووقع كارلوس آنجو
وميخائيل مهادنة في الحادي عشر من كانون سنة ١٢٧٥^٣ . وأقام ميخائيل
حفلة دينية ابتهاجاً بهذا الاتحاد ولكنه خشي الفوغاء والضوضاء في شوارع
العاصمة فاقام حفلته هذه في كنيسة في القصر لا في كنيسة الحكمة الالهية .
واستقال البطريك المسكوني يوسف احتجاجاً على ما جرى ، وتولى الرئاسة
بعده يوحنا فقس نفسه . وقرعت افلوجية اخاها ميخائيل الثامن على ما
جرى ، وضع بعض الامراء فأمر ميخائيل بحبسهم . فانعقد مجمع ارثوذكسي
في ثيسالية لتوبيخ الفسيفس وتكديره ولقطع فقس^٤ . ويرى كل من

Bréhier, L., Byzance, 398.

Mansi, Amplissima, XXIV, 38-136.

Dolger, F., Regesten, 2014.

Crummel, V., Après le Concile de Lyon, Echos d'Orient, 1925, 321 ff.

المؤرخ الافرنسي الاستاذ لويس برهيه والاب جوغي انه لم يشترك في اعمال مجمع ليون سوى اكليريكيين ارثوذكسين فقط وان اتحاد الكنائس لا يتم بالقوة^١.

وواصل غريغوريوس العاشر اتصالاته بالفيلسوف ، وفاوضه في حملة صليبية جديدة تطرد الاتراك من آسية الصغرى وتثبت اقدام الصليبيين في الاراضي المقدسة^٢. وأعلن غريغوريوس انه سيتولى بنفسه قيادة هذه الحملة ولكنه توفي في مطلع السنة ١٢٧٦. فخلفه في رئاسة الكنيسة الغربية باباوات ثلاثة في خلال سنتين كانوا كلهم من رجال كارلوس آنجو فافسدوا على ميخائيل سعيه. وجاء نيقولاوس الثالث في اواخر السنة ١٢٧٧ يطالب بخضوع الكنيسة اليونانية خضوعاً تاماً. واستعفى فقس من مهام البطريركية. ووفد على ميخائيل وفد باباوي يتثبت من واقع الحال. فاضطرب ميخائيل وأكد اخلاصه وقال انه في حال اخفاقه تجاه مناوئيه في القسطنطينية ينقسم ما تم من اتحاد الكنيستين. فأثر كلامه هذا في نفس البابا نيقولاوس الثالث وهب لساعته يتوسط بين كارلوس آنجو وابن بلدين الثاني وبين ميخائيل الثامن. وسعى ميخائيل في الوقت نفسه لتثبيت حق بطرس الثالث زوج ابنة مانفرد في الملك في صقلية. ووافق البابا على هذا الحل ولكنه توفي في صيف السنة ١٢٨٠. وقضت مصلحة كارلوس بان يوصل الى السدة الباباوية رجلاً يثق في اخلاصه ومحافظته على مصالحه فأيد الكردينال الافرنسي سمعان ده بري Simon de Brie وتدخّل تدخلاً فعلياً في الانتخاب فنجح مرشحه وتبوأ السدة باسم مرتينوس الرابع (٢١ شباط ١٢٨١).

Bréhier, L., *Byzance*, 399.

Laurent, V., *Greg. X, et le Projet d'une Ligue Antiturque*, *Echos d'Orient*, 1938, 257-273.

فذهبت آمال ميخائيل ادراج الرياح . « وكان قد عمل ما لا يعمل لتثبيت الاتحاد فغشى الدولة بالجواسيس وسمل أعين بعض كبار رجال الاكليسوس الارثوذكسي وحمل رعاياه بمختلف الاساليب ليوصلهم الى طاعة رومة . لكن مرتينوس الرابع افترى على الفسيلفس فاتهمه بالعيش والحداع ثم وضعه تحت الحرم^١ . وقام مرتينوس بعدئذ يدبر حلفاً جديداً لاختضاع الروم واقامة الامبراطورية اللاتينية . فوفق بين كارلوس وفيليب ترنتوم والبندقية . وتم الاتفاق على ان تقوم الحملة في نيسان السنة ١٢٨٣ للاستيلاء على القسطنطينية والاراضي المقدسة . ولكن مؤامرة ميخائيل وحليفه ملك اراغونة قضت على آمال البابا وعلى ملك كارلوس بأساسة صقلية في الحادي والعشرين من آذار سنة ١٢٨٢ . وأنزل بطرس الثالث جنوده في صقلية وأعلن نفسه ملكاً عليها في صيف هذه السنة نفسها^٢ .

ميخائيل الثامن والبلقان : وقضت المحافظة على سلامة الدولة ضد مطامع كارلوس واعوانه ان يتخذ ميخائيل موقفاً دفاعياً في البلقان ، فاحتل في السنة ١٢٦٢ الحصون الثلاثة في المورة وجعلها نقاط انطلاق استراتيجي في خطة دفاعية . ثم احتل جزيرة افية ما عدا عاصمتها للغاية نفسها . ووجه غاراته المتقطعة شطر إبيروس والبلغار .

ميخائيل في الشرق : وتطورت احوال الشرق في اثناء هذا كله تطوراً خطيراً . فأسس المماليك في مصر في السنة ١٢٥٠ دولة عسكرية فتيمة . واستولى على فارس منكو الخان المغولي الاكبر . واستحوذ على بغداد في السنة ١٢٥٨ هولاغو المغولي وازال خلافتها واستولى على معظم

Bréhier, L., *Byzance*, 401.

Diehl, C., *Europe Orientale*, 209-210 ; Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.* ٢
591 599.

سلطنة الروم . ولم يقوَ ميخائيل على مقاومته ومعاضدة اترك ايقونية
لانشغاله بامور داخلية وخارجية هامة . ولم يكن هولاغو مسلماً ولم يرضَ
عن الاسلام وأحب المسيحيين وعطف عليهم . ولكن ركن الدين بيبرس
البندقداري الملك الظاهر (١٢٦٠ - ١٢٧٧) اعتبر نفسه زعيم الاسلام
والمسلمين . وأصل بيبرس وغيره من هؤلاء المماليك من قبائل القبجاق
Kiptchak المغولية الضاربة آنئذٍ في جنوبي روسية . فقضت مصلحة بيبرس
وغيره من كبار المماليك ان يظلوا على صلة بانسابهم في جنوبي روسية .
ولما كان هولاغو قد فصلهم عن ابناء جنسهم باحتلال العراق وقسم كبير
من آسية الصغرى ، فاتح بيبرس ميخائيل الثامن في ابقاء المضيقين مفتوحين
له وللقباجقة لتم الصلة بين مصر وجنوبي روسية عن طريق البحر . وكان
خان القباجقة في روسية قد سبق له ان تدخل في شؤون البلقان . فوافق
ميخائيل على اقتراح بيبرس وأزوج خان القباجقة من احدى بناته غير
الشرعيات . وفي السنوات العشر ١٢٦٢ - ١٢٧٢ تبادل ميخائيل وبيبرس
الوفود السياسية . فوافق الفيلسوف في السنة ١٢٦٢ على مرور المماليك
المنتقلين من روسية الى مصر في المضائق مقابل اقامة بطريك ارثوذكسي
في الاسكندرية . وفي السنة ١٢٦٣ انتهر ميخائيل فرصة مرور المماليك
بالقسطنطينية فطلب الى السلطان المصري ان يقنع خان القباجقة بالتزام
الحياد تجاه الوضع في البلقان . وفي السنة ١٢٦٨ استولى بيبرس على
انطاكية فضعفت شوكة الصليبيين ولم يبقَ في ايديهم سوى طرابلس
وصيدا وعكة ، فحالف ميخائيل القباجقة في روسية والمماليك في مصر ضد
كارلوس آنجوا .

وقضت مطامع كارلوس في القسطنطينية وتأيد بعض الباباوات له بعدم
 التفات ميخائيل الى مصير آسية الصغرى فأهمل الدفاع عن حدوده فيها
 وألقى امتيازات فرق الاكارتة Akritai الذين كان قد وكل اليهم السهر
 على الحدود. فتوغلت جماعات من الاتراك والمغول في اراضي الروم
 وأقصوا مضجع المزارعين وسكان القرى. فالتجأ سكان الارياف الى
 المدن المحصنة وأمست اراضي الروم مقفرة وتعذر بعد هذا الاتصال بامارة
 طرابزون برأ. وحاول ميخائيل في السنة ١٢٦٥ ان يصد هؤلاء فأفند
 يوحنا باليولوغوس على رأس حملة لاقصائهم بالقوة. وعلى الرغم من انتصار
 يوحنا عليهم فانه اضطر الى ان يشتري سكوتهم. وفي السنة ١٢٨١ قام
 اندرونيكوس ابن ميخائيل بقوة عسكرية الى وادي الميندر وكارية ليعبد
 عنها جماعات الاتراك والمغول. ففعل ورمم مدينة ترالس Tralles وأطلق
 عليها اسمه ولكنه لم يحكم تحصينها ولم يمونها بالمياه. فعاد الاتراك فاستولوا
 عليها. وعلى الرغم من ان اندرونيكوس كان لا يزال في نغمة فانه
 لم يحرك ساكناً لانتاذاها. وقدّر لهذه المدينة، التي دعاها الاتراك آيدن
 والتي اصبحت مقر امير توكي مستقل، ان تلعب دوراً هاماً في مقدرات
 الروم في اواخر ايام حكمهم. وكان العمل الايجابي المفيد الوحيد الذي
 قام به ميخائيل في آسية الصغرى تفاهمه ويوحنا الثاني كومنينوس فسيلفس
 طرابزون. ففي آخر سنة من حكم ميخائيل الثامن أم يوحنا كومنينوس
 القسطنطينية وتزوج من اميرة باليولوجية ودخل في تعاون اكيد مع الاسرة
 المالكة في القسطنطينية. ولكن هذا التحالف بين هاتين الدولتين جاء
 متأخراً لان معظم آسية الصغرى كان قد أفلت من يد الروم. فالعنصر
 التركي كان قد طرد الروم من الارياف وحل محلهم وكان قد استقر في
 المدن متحضراً بأدب فارسي تركي وفن ساساني بيزنطي. وما بقي من
 الروم في آسية كان قد انحصر في نقاط معينة على شاطيء الارخبيل وفي

بيثنية وطرابزون . أما قيليقية فانها كانت قد أصبحت مستعمرة أرمنية . وكانت هذه الفترة فترة امارات تركية مستقلة كأمارة القرمان التي استولت على ايقونية في السنة ١٢٧٨ . وفي هذه الفترة ايضاً وصلت قبيلة كاي كان كلي التركية الحراسانية بقيادة اميرها ارطغرل الى ممتلكات سلطان ايقونية فارة من وجه المغول ، فضربت خيامها عند حدود الروم بين بروسة وكوتاهية في سكوت وما يليها .

اندرونيكوس الثاني : (١٢٨٢ - ١٣٢٨) ولا تجوز المبالغة في غباء اندرونيكوس الثاني وقلة حذقه في تدبير الامور . فالدولة التي تسلم عرشها هذا الفيلسوف كانت قد اصبحت صغيرة في مساحتها ، قليلة في عدد سكانها ، ضعيفة في مواردها . وكانت على صغرها وضعفها وريثة ماضٍ كبير جداً . وكان فيلسفها الاول ميخائيل الثامن قد اختط لنفسه مشروعاً يتفق وظروف سلفائه لا خلفائه . وأفضل ما تحلى به اندرونيكوس انه كان يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه وانه كان رجلاً مثقفاً يجب العلم والفضيلة ويعطف على العلماء الافاضل^٢ .

واول ما عني به الفيلسوف الجديد المشكلة الدينية . فان عمته افلوجية التي أحبها كانت قد نفيت في عهد والده لتمسكها الشديد بالارثوذكسية واعتراضها على الاعتراف بسلطة رومة . فلما تبوأ اندرونيكوس العرش قامت افلوجية تحرّضه على فسخ الاتفاق الذي عقد مع رومة في عهد اخيها ميخائيل . وحذا حذوها مستشار الفيلسوف الجديد ثيودوروس موزالن فانه كان قد ذاق آلام « الفلق » في عهد ميخائيل لاعتراضه على

Cahen, C., *Turcomans de Rum, Byzantion*, 1939, 131-139 ; Hertzberg, *Gesch. der Byzantiner und der Osmanischen Reiches*, 435 ff ; Gibbons, H. A., *Foundations of Ott. Emp.*, 19-22.
Diehl, C., *Europe Orientale*, 221-222.

الاتحاد . وكان خطر كارلوس آنجو قد زال فرجع اندرونيكوس عن قول والده بالاتحاد ولبى بذلك رغبات معظم الاكليروس والشعب . وأمر بدفن والده خارج العاصمة دون ان يصل عن نفسه في احد الاديان وأبعد البطريرك فقس وأعاد البطريرك يوسف الى كرسي الرئاسة . وعلى الرغم من ان البطريرك ارسانيوس كان قد توفي في السنة ١٢٧٣ فان اتباعه ظلوا متكئين منفصلين عن جسم الكنيسة . فحاول البطريرك غريغوريوس الذي خلف يوسف لدى وفاته في السنة ١٢٨٣ ان يسترضيهم ولكن دون جدوى . ثم سمح الفيلسوف بنقل جثمان ارسانيوس الى العاصمة بموكب فخم ولكن اتباعه اصرروا على موقفهم وازدادوا تعنتاً وصلفاً . فأدى هذا التفكك في الكنيسة الى الانقاص من هبة السلطة المدنية واضعافها . ولم تحدث هذه العودة الى الانفصال تأثيراً ما في الاوساط الاكليزيكية العالية في رومة لان الباباوات كانوا منهمكين في نزاع شديد مع السلطات المدنية ولان الصليبيين كانوا على وشك الخروج نهائياً من الاراضي المقدسة . وكان بلدوين الثاني امبراطور القسطنطينية اللاتيني قد توفي في السنة ١٢٧٣ فانتقل حقه في الملك الى ابنته كاترينا . وكانت هذه مقيمة في نابولي . فسعى اندرونيكوس لتزويجها من ابنه ميخائيل . وطالت المفاوضات في ذلك واستمرت حتى السنة ١٢٩٦ ثم أخفقت . فتزوج شارل فالوى منها في السنة ١٣٠١ .

سياسة اندرونيكوس الداخلية : وكان اندرونيكوس في الرابعة والعشرين من عمره عندما تبوأ العرش . وكان قد تزوج من حنة المجرية ورزق منها ميخائيل وقسطنطين . ثم تزوج من بولنده الايطالية حفيدة

Pachymeres, G., Hist., And., I, 1-2.

Bréhier, L., Byz., 411-412.

امراء نيسالونيكية اللاتين فخلفت له ذكوراً ثلاثة وابنة . وكرهت يولنדה ابني ضربتها فسعت سعياً حينئذ لاقطاع ابنائها مقاطعات كبيرة . وما فتئت تلح على زوجها حتى اتعبته . فضجر منها وتخلّى عنها . فليجأت الى نيسالونيكية وناصبته العداة والدس . ولم يرض اندرونيكوس عن اخيه قسطنطين لعجرفته وبذخه . فلما اتهم قسطنطين بالحيانة والتآمر في السنة ١٢٩١ أمر اندرونيكوس بمصادرة املاكه .

وكان يوحنا لاسكاريس الاعمى لا يزال حياً يرزق مقيماً في حصن في بيتينية فاضطره اندرونيكوس سنة ١٢٩٠ الى ان يعترف بشريعة سلطانه . ثم اشرك ابنه ميخائيل في الحكم وتوجه في كنيسة الحكمة الالهية وذلك في الحادي والعشرين من ايار سنة ١٢٩٥ . وجعل بعد ذلك ابنه يوحنا من زوجته الثانية ديسبوتساً .

وعلى الرغم من قوة اندرونيكوس الجسدية وشدة ايمانه في الدين ، فانه كان متردداً ضعيفاً لا يقوى على ارادة اللوغوثيت الاكبر ثيودوروس موزالن ، ولا على رغبات معلم ذمته اندرونيكوس رئيس اساقفة ساردس . فنقد سياستهما الدينية بقسوة وتطرف وزاد الانقسام الديني الداخلي تعقداً وحماًساً . وكان من جراء هذا الضعف والتردد ان الفسيلفس لم يتمكن من تنفيذ رغباته وخططه في الاصلاح ولاسيا في حقل المالية . ولم يوفق في تغذية الحزينة ، فالقروض التي لجأ اليها ، والضرائب الفادحة التي فرضها على الجبوب ، وانقاص مرتبات الموظفين ، وتزييف النقد ، اثارت الاستياء وادت الى نشوب الثورات . واسوأ ما عمد اليه في سبيل الاقتصاد كان الغاء الاسطول والاستعاضة عنه ببوارج القرصان ومراكب الطليان !

Pachymeres, G., Hist., And. I, 33, V, 5; Diehl, C., Figures, II, 226 ff. ١
Bréhier, L., Byzance, 413-414. ٢

جنوى والبندقية : (١٢٩٣ - ١٢٩٩) وآثر الفيلسوف الجنويين على
البنادقة ونهج سياسة التفرقة بينهم كما فعل والده . فاندلعت حرب بين الدولتين
التجارتيتين دامت ست سنوات . ويرى رجال الاختصاص ان السبب
الرئيسي لهذه الحرب كان استيلاء الجنويين على كفة Caffa المستعمرة
البيزنطية الخطيرة على الشاطئ الشرقي لشبه جزيرة القرم واستئثارهم
بسوق القسطنطينية^١ . وحالفت البندقية خان التتر نوغاي . وفي تموز السنة
١٢٩٦ ظهرت بوارجها ومراكبها امام القسطنطينية وانزلت الرجال الى
البر واحرقت بيروا وغلطة وحاولت اقتحام القرن الذهبي . وانقض الجنويون
في القسطنطينية على البنادقة فذبحوهم ذبحاً . ثم التقى الحُصان في موقعة
بحرية فاصلة في السابع من ايلول سنة ١٢٩٨ بين شاطئ دلماسية وجزيرة
كرزلة Curzola كان النصر فيها حليف الجنويين . ووقع الطرفان صلحاً
في ميلانو في ايار السنة ١٢٩٩ . وما ان تم هذا الصلح حتى قامت البندقية
تطالب اندرونيكوس بالتعويض عما جرى لابنائها في السنة ١٢٩٦ في
القسطنطينية . فرفض الفيلسوف ، فجاء اسطول بنديقي يحاصر القسطنطينية
ويطلق سهامه الى داخل القصر المقدس . وفي السنة ١٣٠٢ - ١٣٠٣ اضطر
الفيلسوف الى ان يوقع صلحاً مع البنادقة ، وان يرضي الجنويين بتوسيع
حيثهم في القسطنطينية ، وبالسماح لهم باحتلال جزيرة خيوس للدفاع عنها ضد
مطامع الاتراك ، وباستمرار مفعول الامتياز الذي كان قد خص به الجنويين
لاستئثار مناجم حجر الشب بالقرب من فوقية في آسية الصغرى^٢ .
مطامع الصرب : وكان قد استوى على عرش الصرب اعظم ملوكهم
في العصور الوسطى اوروش الثاني ميلوتين . وكان اوروش قد وسع

Bratianu, G., Recherches, 251 ff.

Bratianu, G., op. cit , 284-286.

ممتلكاته في مقدونية وفي وادي الفردار فاحتل قوكة (١٢٨٢ - ١٢٨٣)
وهدد ثيسالونيكية . فأنفذ اندرونيكوس قوة لصدده ولكنه لم يوفق في
ذلك فاضطر الى ان يفاوض جاره الصربي وان يتودد اليه عن طريق
المصاهرة . فأزوجه من ابنته الطفلة على الرغم من مقاومة البطريرك .
ويرى بعض رجال الاختصاص ان اوروش كان يطمع في ضم بلاده الى
دولة الروم وان حماته ايرينة زوجة اندرونيكوس الصاخبة شجعتة على
ذلك^١ . والواقع ان اوروش الثاني اشتهر بعدد المؤسسات الخيرية التي انشأها
في القسطنطينية وثيسالونيكية والقدس^٢ .

الخطر التركي : وجاء في احد المراجع الاولية ان اندرونيكوس
أظهر اهتماماً بشؤون آسية الصغرى منذ بدء عهده . فعبر البوسفور في
فصل الشتاء وصد الاتراك وطردهم من بيثينية وميزية وفرجيحة وأعاد
انشاء المدن وحصن الحدود^٣ . ويلوح لنا انه بعد ان اتم عمله في بيثينية
استقر مدة من الزمن في نغمية في السنة ١٢٩٠ وتودد الى ملك ارمينية
هاثوم الثاني فأزوج ولي عهده ميخائيل التاسع من شقيقة هذا الملك^٤ .
والواقع ان ظروف آسية الصغرى آنئذٍ تطلبت اكثر بكثير مما بذل
من العناية . فقبيلة كاي كان كلي التركية الخراسانية التي مر ذكرها
كانت قد تقبلت الاسلام وكان قد تولى زعامتها الامير عثمان . وكانت
مراعيا قد بدأت تتوسع على حساب الروم . وفي السنة ١٣٠١ تمكنت
هذه القبيلة بجيولها المصفحة من اختراق صفوف الروم امام نيقوميذية^٥ .

Cam. Med. Hist., IV, 532-535.

Strzygowski, J., Miniaturen des Serbischen Psalters, 114-115.

Guilland, R., Essai, 54-55.

Pachymeres, G., Hist., And. III, 5-6.

Pachymeres, G., op. cit., IV, 25.

ولم تكن هذه القبيلة سوى امارة صغيرة بين عدة امارات تركية كبيرة طامعة جميعها في الغزو والفتوحات . وأشهر هذه الامارات آنئذٍ امارات صروخان وقرميان وقرمان وآيدين . وكانت هذه الامارات قريبة من الشاطئ الغربي فبدأت تضغط على ساحل الارخبيل وعلى مدن الروم في الداخل^١ .

ورأى اندرونيكوس ان يستعين بالعنصر الآلاني التوقاسي لوقف هؤلاء الاتراك جميعاً عند حد معقول . فجيش فرقة من هؤلاء وأمّر عليها ابنه ميخائيل التاسع وأنفذها في السنة ١٣٠٢ الى الجبهة في آسية . وكان ميخائيل قليل الخبرة فحصر نفسه في مغنيسية فتمرد الآلان مطالبين بالتسريح . ففرّ ميخائيل بمجموعه وسكان مغنيسية . فانقض عليهم الاتراك وأعملوا السيف في رقابهم . فالتجأ ميخائيل الى قيزيقة واقام فيها^٢ . وضاق صدر اندرونيكوس وخشي سوء العاقبة فاستعان بغازان خان المغول في فارس وأزوجه من احدى بناته غير الشرعيات ولكن غازان توفي في الحادي والثلاثين من ايار سنة ١٣٠٢ . فضاقت حيلة اندرونيكوس ويئس فاضطر ان يلجأ الى المرتزة .

فرقة المغاور الاسبانية : (١٣٠٣ - ١٣١١) وكانت الحرب بين فريدريكوس الثالث الارغوني وكارلوس آنجو الثاني قد وضعت اوزارها فأصبح الجيش الذي كان قد جمع في قتلونية وارغونة ونفار حراً لاعمل له . وكانت احدى فرق هذا الجيش فرقة المغاور الاسبانية قد اتخذت روجه دي فلور Roger de Flor قائداً لها بعد تسريحها . وكان روجه قد بدأ حياته راهباً جندياً داوياً من الداوية Templier فاختمس وطرد .

Gibbons, H. A., *Foundations of Ott. Emp.*, 34-35.

Pachymeres, G., *op. cit.*, IV, 17-20.

فعلم بجاجة اندرونيكوس الملحة فاتصل به فاتفقا على شروط أهمها ان يتقاضى المغاور ضعف ما كان يتقاضاه المرتزقة العاديون وان تدفع الجماكية مسبقاً عن اربعة أشهر وان يطلق على القائد لقب « الدوق الاكبر » . وفي ايلول السنة ١٣٠٣ أطلت مراكب المغاور وكان عددهم ستة آلاف فنزلوا بجيولهم ونسائهم واولادهم الى القسطنطينية . وما ان استقروا فيها حتى طابهم الجنويون بدين سابق فأطبقوا على اصحاب الدين واذاقوهم الموت .

وفي مطلع السنة ١٣٠٤ نزل المغاور في قيزيقة لفك الحصار الذي ضربه الاتراك حولها . فذبحوا المحاصرين جماعات جماعات وأسروا الباقين واقاموا في قيزيقة بانتظار الربيع لمتابعة الحرب . وفي شهر نيسان قاموا الى الجبهة فاكسحوا الموقف اكتساحاً بسرعتهم الحاطفة ووصولهم الى صفوف اعدائهم وانتقاضهم عليهم بالسلح الابيض قبل ان يتمكن هؤلاء من رددهم برماحهم وسهامهم . وما فتئوا كذلك حتى وصلوا الى جبال طوروس في اقصى الجنوب . وفي آب السنة ١٣٠٥ اوقعوا بالاتراك عند هذه الجبال خسارة فادحة أدت الى فرار الاتراك والتجأهم الى اعالي الجبال ٢ .

وكانت العلاقات قد توترت بين اندرونيكوس وثيرودوروس سواتوسلاف ملك البلغار فاستقدم المغاور الى غاليبولي ليستعين بهم . ولكن جنوده المحاربين على حدود البلغار رفضوا التعاون مع المغاور وهددوا الفيلسفس بالتمرد . فأمر بابقاء المغاور في غاليبولي . ثم علم ان فريديريكوس الثالث ملك صقلية سمع بظفر المغاور وبغنائمهم فحدثه نفسه بالقيام الى الشرق في

Muralt, de, Chron. 6812, 1 ; Cronica Catalana, 194-200 ; Schlumberger, ١
G., Exped. des Almogaveres, 24-29.

Cronica Catalana, 207 ; Schlumberger, G., op. cit., 103-108. ٢

سبيل الكسب والمجد وانه يفاوض المغاور في ذلك فرقى روجه زعيم هؤلاء الى رتبة قيصر وأقطعه جميع ممتلكاته في آسية . فسُرَّ روجه سروراً عظيماً وأحب ان يقدم احترامه لميخائيل ولي العهد على حدود بلغارية ، فاستقبله هذا بجفاوة فائقة ودبر له مكيدة اهلكه بها . ثم أرسل قوة من الآلان الى غاليبولي ففاجأت المغاور وذبحت عدداً كبيراً منهم وغنمت خيولهم (١٣٠٧) . فاستشاط المغاور غيظاً وهبوا للدفاع عن انفسهم وللأخذ بالثأر وانطلقوا في البلقان مخربون ويسلبون ويجرقون طوال سنوات ثلاث فهدوا بذلك السبيل لفتح تركي^١ .

تشويش وبلبله : (١٣٠٨ - ١٣٢١) ولم يهنا اندرونيكوس بزوال خطر المغاور . فما كاد هؤلاء يغادرون آسية حتى عاد الاتراك الى سابق طمعهم وغزوهم . ففي السنة ١٣٠٨ توغلوا في شبه جزيرة نيقوميذية وقضوا على مناوشات المغول اصدقاء الروم . ثم استولى الامير سيسان حليف عثمان على افسس فنهب مقام القديس يوحنا فيها^٢ . وكانت جزيرة رودوس قد أصبحت مركزاً للقرصنة . فلما اشتد الخلاف بين الاستباليين Hospitaliers والملك هنريكوس الثاني في جزيرة قبرص رغب الاستباليون في اتخاذ رودوس مقراً لهم ، ففاوضوا اندرونيكوس في تسلمها من يده اقطاعاً لهم . ولكن الفسيلس أبي فسقطت في ايديهم في الخامس عشر من آب من السنة ١٣١٠^٣ . فخسر الفسيلس بذلك معاونة بحرية قيمة في نضاله ضد الاتراك .

وكان قد استعان المغاور ، في ابان سخطهم على الروم ، بجماعات من

Bréhier, L., Byzance, 417-422.

١

Pachymeres, G., op. cit., And., VII, 13.

٢

Delaville - Leronx, La France en Orient, 272-284.

٣

الاتراك فلما انتهى أمر المغاور بقيت هذه الجماعات التركية في تراقية تنهب وتخرّب وتدمر . ففاوض الفسيلفس زعيمهم خليلاً في ذلك وكاد يتوصل الى شيء من التفاهم معه . ولكن احد كبار الضباط طمع في بعض غنائم الاتراك فنشبت موقعة حامية خسر فيها ميخائيل التاسع كل متاعه . فبقي الاتراك في تراقية ثلاث سنوات اخرى (١٣١١ - ١٣١٤) ، وبقيت تراقية ارضاً بوراً طوال هذه الفترة . واضطر اندرونيكوس الى ان يدرّب جيشاً جديداً وان يستعين بالصرب قبل ان تمكن من حصر هؤلاء الاتراك في شبه جزيرة غاليبولي والقضاء عليهم . ولم يرضَ بابا رومة عن نفوذ اوروش ملك الصرب في البلقان لتمسكه بالارثوذكسية ، فحضر ملك المجر شارل روبر ونسيبه فيليب عاهل ترنتوم على محاربته فخسر اوروش بلغراد وقسماً من بلاد البوسنة . واضطر خلفه اسطفانوس الى ان يطلب المعونة من الغرب لعدم تمكن اندرونيكوس من تقديمها .

وكانت كنيسة القسطنطينية لا تزال منقسمة على نفسها . وكان اتباع ارسانيوس لا يزالون مصرين على عدم تدخل السلطات المدنية في شؤون الكنيسة فتغيرت رئاسة الكنيسة خمس مرات بين السنة ١٣١٢ والسنة ١٣٢٣ وشغل العرش البطريركي مرتين في هذه الفترة .

وبما زاد في الطين بلة الاختلاف الذي نشأ بين افراد الاسرة المالكة . فان الفسيلفس اندرونيكوس الثاني كان قد تعلق بحفيده اندرونيكوس ابن ابنه ميخائيل التاسع الذي ولد حوالي السنة ١٢٩٦ . فشبّ هذا الحفيد مدلوعاً مضطرباً فاسداً . فأنفق بغير حساب واستدان من الجنويين مبالغ طائلة . ثم تعلق بجليلة وغار عليها من شركة شاب آخر ، وكمن له ليتخلص منه فأخطأه وقتل اخاه الديسبوتس عمانوئيل . فاغتاظ والده ميخائيل التاسع

وتوفي حزيناً كسير الحاطر في ثيسالونيكية (١٢٢٠). فشقّ هذا على الجد اندرونيكوس الثاني وأحب ان يمنع حفيده من الوصول الى العرش بعده ، فأعلن ميله نحو ولد غير شرعي من ابنه قسطنطين . فتآمر اندرونيكوس الحفيد على جده وعاونه في ذلك كل من الوزير الاول يوحنا كنتاكوزينوس Cantacuzenus واوروش ميلوتين ملك الصرب . وأراد الفيلسوف ان يحكم على حفيده بالسجن المؤبد ثم عفا عنه . فطلب الحفيد العفو عن اعوانه فأبى الجد ، ففرّ اندرونيكوس الحفيد الى ادرنة وانضم اليه اعوانه . فدخلت الدولة في حرب اهلية دامت سبع سنوات (١٣٢١ - ١٣٢٨) واسفرت عن نجاح الحفيد ووصوله الى العرش باسم اندرونيكوس الثالث . وبقي الجد متمتعاً بجميع مظاهر الملك حتى وفاته في السنة ١٣٣٢ .

الفصل الرابع والثلاثون
اندرونيكوس الثالث ويوحنا السادس
(١٣٢٨ - ١٣٥٥)

اندرونيكوس الثالث : (١٣٢٨ - ١٣٤١) وما ان تبوأ
اندرونيكوس العرش حتى شتمَّ عن ساعد الجد فابتعد عن الطيش والتلذذ ،
وعني عناية فائقة باقالة العثرة وانهاض الدولة . فقرَّب يوحنا كنتا كوزينوس
من نفسه واعتمد عليه وعمل بارشاده . وكان يوحنا من افذاذ رجال عصره
قديراً في الحرب والسياسة ، ففضى على الفتن والتأمر وأمن العباد وخفف
الضرائب قدر المستطاع . وعني بالعدل والقضاء فحصر السلطة القضائية العليا
في قضاة اربعة ، وزاد رواتبهم ليكتفوا ويستغنوا . ثم فرض عليهم مينا
مغلظة يقسمونها على ان لا يفرقوا بين غني وفقير . واشرك البطريرك في
اختيارهم وتعيينهم ليضمن بذلك تعاون الكنيسة في توزيع العدل واحقاق
الحق . ووافق اندرونيكوس على هذا كله وعني بتنفيذه وتطبيقه . ولكنه
اضطر بعد ثمانية اعوام الى ان يعزل جميع هؤلاء لسؤ تصرفهم . ورغب
الفيلسوف ووزيره الاول في التحرر من سيطرة الجنويين والبنادقة فأدخلا

الى العاصمة جاليات تجارية فرنسية غير ايطالية وشرعا في انشاء اسطول وطني ليستغنيا به عن خدمات الجنوبيين^١.

حروبه في البلقان : وكان اندرونيكوس الثالث جندياً مجرباً يشاطر جنوده التعب والشقاء فيقودهم الى الحرب بنفسه . وقضى شطراً وافراً من سني حكمه في ميادين القتال في البلقان . فحالف في السنة ١٣٣٠ البلغار للصوص في وجه الصرب الطامعين وقام الى الجبهة محارباً . ولكن ميخائيل الثالث حليفه البلغاري نازل اسطفان ديشنسكي الصربي قبل وصول الروم اليه فانكسر في الثامن والعشرين من حزيران في ميدان قسطندل Kostandil ولاقى حتفه فيه . وطمع اندرونيكوس في بعض حصون بلغارية الجنوبية ، فاعتتم فرصة وفاة ميخائيل وضمها الى ملكه . وتوفي ديشنسكي وتولى الحكم بعده ابنه اسطفان دوشان (١٣٣١ - ١٣٥٥) قيصر الصرب العظيم . فصادق ملك بلغارية الجديد يوحنا الكسندروس وتعاون معه ، فأعلننا الحرب على اندرونيكوس . فاستعاد يوحنا في السنة ١٣٣٢ ما استولى عليه اندرونيكوس . وتقدم اسطفان دوشان في مقدونية فاحتل اوخريدة وكستورية وغيرها . واضطر في السنة ١٣٣٤ الى ان يصلح اندرونيكوس ليدافع عن حدوده الشمالية ضد هجمات المجر . وفي السنة ١٣٣٣ توفي ديسبوتس ثيسالية اسطفان ميليسيني ، فاستولى حاكم ثيسالونيكية على نصف ثيسالية باسم اندرونيكوس الثالث . وبعد ذلك بسنتين اضطر يوحنا اورسيني ديسبوتس إيروس الى ان يتخلى عن القسم الجنوبي من ثيسالية للفيلسفس . ثم استعان الفيلسفس بفرقة تركية وأخضع القبائل الالبانية الجبلية وأعادها الى الطاعة . واتجه بعد ذلك شطر إيروس فضمها سلماً . ثم ثارت في وجهه في السنة ١٣٣٩

زوجة المطالب بعرش الامبراطورية اللاتينية بدسياسة من كاترينة دي فالوى .
فقام الفيلسفس اليها في السنة ١٣٤٠ وأخضعها^١.

حروبه في آسية والارخبيل : وتابع عثمان غزواته ، وسقطت بروسة
في يده عند وفاته وذلك في السادس من نيسان سنة ١٣٢٦ فجعلها
اورخان وريث عثمان عاصمة امارته . وفي السنة ١٣٢٩ حاصر اورخان
نيقية ، فحاول الفيلسفس فك الحصار فقاتل اورخان في السنة ١٣٣٠
في بليكانون Palakanon ولكنه لم يفلح . واستولى اورخان على نيقية في
الثاني من اذار سنة ١٣٣١ . وكان اورخان قد نزل في تراقية في السنة
١٣٣٠ وزحف على طوزلة ، ولكن اندرونيكوس ألحق به خسارة دامية .
وعاد اورخان في السنة التالية ١٣٣١ فعبّر الدردنيل واستولى على رودوستو
Rodosto ثم ارتد عنها خاسراً . فاتجه اورخان شطر نيقوميذية فعبّر
اندرونيكوس البوسفور وصدّه عنها . وفي السنة ١٣٣٢ قام عامر السلجوقي
بخمسة وسبعين سفينة حربية فنهب جزيرة سموثراقية ، ثم نزل في تراقية
فاعاده اندرونيكوس الى سفنه وفاوض البندقية في أمر التعاون ضد
هذا العدو المشترك^٢ . وعاد اورخان في السنة ١٣٣٧ فأنزل قوات غير
قليلة في ضواحي القسطنطينية ، فألحق به اندرونيكوس خسارة فادحة
واعاده الى آسية . فهاجم اورخان نيقوميذية واستولى عليها . ولم يبق في
يد الروم في آسية سوى بعض مدن متفرقة كفيلاذقية وهرقلية .

وسجل اندرونيكوس الثالث انتصارين هامين في بحر الارخبيل ،
فاحتل في السنة ١٣٢٩ جزيرة خيوس ورفع سلطة امرة زكريا الجنوبية
عنها بعد ان اعلنت استقلالها ، فزاد دخل الخزينة بعمله هذا مئة وعشرين

Bréhier, L., Byzance, 429-430.

Bratianu, J., Les Venitiens dans la Mer Noire, Acad. Romaine, Etudes, ٢
1939.

الف بزنت في السنة^١. وفي السنة ١٣٣٦ طمع التاجر الجنوبي دومينيكوس
كاتان في الاستقلال بفوقة الجديدة فاستعان بفرسان رودوس الاسبتاليين
واستولى على جزيرة متيلينة. فحالف اندرونيكوس امير صروخان التركي
وحاصر لسبوس وفوقة الجديدة في آن واحد واستولى عليهما.

موقفه من الكنيسة : وأقلق تقدم الاتراك وتوسع سلطانهم
اندرونيكوس الثالث وثار في أمره فعمد الى مفاوضة رومة والى طلب
المعونة من الغرب. ومر بالقسطنطينية في السنة ١٣٣٤ راهبان دومينيكيان
عائدين من اراضي المغول بعد ان حاولا التبشير فيها فكلفهما اندرونيكوس
الاتصال بالبابا يوحنا الثاني والعشرين (١٣١٦ - ١٣٣٤) لاطلاعه على
تخرج الموقف في الشرق وحثه على المساعدة. فوافق البابا على طلب
الفيلسوف وأعاد هذين الدومينكيين الى القسطنطينية حاملين شروطه في تقديم
المساعدة. ولدى وصولهما لقيما مقاومة شديدة من الاكليروس الارثوذكسي
فلم يتمكنوا من البحث في كيفية تعاون الكنيستين. وفي السنة ١٣٣٥
أرسل اندرونيكوس ينبيء البابا بنديكتوس الثاني عشر (١٣٣٤ - ١٣٤٢)
باستعداده للاشتراك في حملة صليبية جديدة بقيادة ملك فرنسة تكون مهمتها
القضاء على مطامع الاتراك في الشرق المسيحي. ولكن الاختلاف الذي
نشأ في هذه الآونة بين فيليب السادس ملك فرنسة وادوار الثالث ملك
انكلترة والمشادة التي نشبت بين البنادقة والجنويين حالاً دون اي تعاون
دولي اوروبي في حملة صليبية مشتركة. وفي السنة ١٣٣٩ عاد اندرونيكوس
فأوفد الى بنديكتوس الثاني عشر الاب بلام رئيس دير المخلص في
القسطنطينية واسطفان دندولو البندقي ليرجواه عقد مجمع مسكوني ينظر
في اتحاد الكنيستين وفي تنظيم حملة صليبية تحرر نصارى آسية الصغرى من

ربة الاتراك . فأجاب البابا بان مجمع ليون حلّ المشاكل بين الكنيستين
ووعده خيراً ووقف عند هذا الحد.

الغيورون والمعتدلون: وكان قد قام في الكنيسة الارثوذكسية منذ عهد
ثيودوروس الاستوديوني في القرن التاسع من قاوم تدخل الفيلسوف والحكومة
في شؤون الكنيسة بل من قال بوجود تقيد الفيلسوف بالانظمة الاكليريكية .
وكانت غيرة هؤلاء على الكنيسة قد اشتدت الى درجة أدت بهم الى اللجوء
الى العنف في سبيل الدفاع عن حرية الكنيسة واستقلالها . ولم يتطلب
هؤلاء الغيورون من الاكليروس علماء وافرأ او ذكاء مفراطاً ولكنهم
أوجبوا عليهم سيرة طاهرة وتشفافاً صارماً . فنالوا اعجاب الرهبان وتأييدهم
في غالب الاحيان . وكان من الطبيعي جداً ان يقول غيرهم من ابناء
الكنيسة بالتعاون بين الدولة والكنيسة ، وهؤلاء هم المعتدلون . وأصر
هؤلاء على وجوب تزلع الاكليروس العالي من العلوم الدينية والزمنية
ليحسنوا الدفاع عن الكنيسة جمعاء ويحفظوا حرمتها . واشتد الخلاف
حول هذه المبادئ واتسع حتى شمل جميع المؤمنين . فكنت ترى البيت
الواحد مقسوماً على نفسه بحيث يختلف فيه الاب مع ابنه والابنة مع
امها والكنة مع حمايتها^٣.

ووقف الغيورون الى جانب البطريرك ارسانيوس في نزاعه مع ميخائيل
الثامن فعرفوا بالارسانيوستين وانضم اليهم من شد أزر الشاب الاعمى
يوحنا الرابع . وكثر الجدل واشتد الحماس وعلت الحرارة فإجأت الحكومة
الى الجلد والسجن والنفي وغير ذلك . وقضت ظروف ميخائيل السياسية

Gay, J., *Le Pape Clément VI*, 49-50, 115; Bréhier, L., *Byzance*, ١
431-433.

« Zelotai », « Politikoi » . ٢

Pachymeres, G., I, 314. ٣

بمفاوضة البابا في أمر اتحاد الكنيستين فضج الغيورون وأعلنوا مقاومتهم
وسخطهم . ثم جاء اندرونيكوس الثاني فألقى الاتحاد ولكن الغيورين
ظلوا معاندين ، ووسعوا نطاق عملهم فتدخلوا في السياسة .

واشتد نفوذ الغيورين والرهبان في النصف الاول من القرن الرابع
عشر فسيطروا على الاكليروس العلماني وهيمنوا على البطريركية المسكونية
ولا يزالون^١ .

الصامتون : وما كاد النزاع بين الغيورين والمعتدلين ينتهي حتى حل
محلّه نزاع آخر حول الزهد الصامت *Hesychia* . وتفصيل ذلك انه كان
قد شاع في بعض الاديار انعزال عن عالم المادة بأسره وعن كل ما يمت
اليه بصلة ، وانعكاف على التأمل فاتصال بالخالق عن طريق الصلاة . فكان
كل من هؤلاء « الصامتين » ينزل انعزلاً تاماً فلا يفكر الا بالله
وبالموت ولا يردد الا صلاة داخلية واحدة هي : « يا يسوع ارحمني ،
يا ابن الله خلصني » . وأشهر من قال بالصمت التام والتأمل الكامل
غورغوريوس بالاماس Palamas رئيس اساقفة ثيسالونيكية . وكان قد
اشتهر بتقشفه عندما قبل النذر في آثوس ، ثم اشتهر بما كتبه في الصمت
والتأمل . وكاد ينسحب من ثيسالونيكية لبيدأ ما قال به عندما فوجيء
بالشغب الذي احدثه بولام الراهب Barlaam في جبل آثوس^٢ .

وبولام هذا راهب يوناني ايطالي أمّ ثيسالونيكية وأقام فيها . فاستمع
لاقوال بالاماس رئيس اساقفتها فجادله فيها وملاً المدينة ضجيجاً
(١٣٣٣ - ١٣٣٩) . ثم قام الى افينيون ليفاوض بنديكتوس

Troitzky, J. E., *Arsenius and the Arsenites*, 99-101, 178, 522; Quot. by
Vasiliev, A., *Byz. Emp.*, 661-664.

Jugie, M., *Palamas et Controverse Palamite*, *Dict. Théol. Cath.*, XI, 1735-1818.

الثاني عشر باسم اندرونيكوس الثالث في حملة صليبية ضد الاتراك . ولدى عودته منها اطلع على رسالة النور الالهي التي كان قد أعدها بالاماس في

اسرة باليولوغوس

تابع

حنة صفوى = اندرونيكوس الثالث يوحنا السادس كنتاكوزينوس

١٣٥٤ - ١٣٤١

١٣٤١ - ١٣٢٨

هيلانة

قسطنطين دراغاسيس يوحنا الخامس

١٣٩١ - ١٣٤١

اندرونيكوس الرابع

هيلانة = عمانوئيل الثاني

١٣٧٩ - ١٣٧٦

١٤٢٥ - ١٣٩١

يوحنا السابع

١٣٩٠

يوحنا الثامن

١٤٤٨ - ١٤٢٥

قسطنطين الحادي عشر

١٤٥٣ - ١٤٤٩

ديتريوس

توما

اندراس

يوحنا الثالث الروسي = زوية صوفية

اثناء غيابه ، فكتب في دحضها^١. وقام الى القسطنطينية يشكو بالاماس الى البطريرك المسكوني يوحنا كاليكاس Calecas وأثار فيها ضجة اضطر بسببها البطريرك الى استدعاء بالاماس للمثول امام المجمع . فالتأم المجمع برئاسة الفيلسوف اندرونيكوس الثالث في العاشر من حزيران سنة ١٣٤١ . وما ان افتتحت الجلسة حتى أعلن الفيلسوف ان البت في العقيدة منوط بالاساقفة وحدهم وانه ليس على بولام الا ان يعتذر للرهبان عما صدر عنه^٢. فعاد بولام الى الغرب ولكنه أذكى نار الشقاق فاستمرت طويلاً^٣.
الحرب الاهلية : (١٣٤١ - ١٣٤٧) وتوفي اندرونيكوس الثالث في الخامسة والاربعين من عمره في الخامس عشر من حزيران سنة ١٣٤١ . وخلف صبياً في التاسعة من عمره وفيلسفة وصية غربية لاتينية . وأوصى بان يشاركها الوصاية صديقه ووزيره الاول يوحنا كنتاكوزينوس . وهبّ الوزير الوصي يعالج الامور ليعيد للدولة نشاطها وحيويتها . فرغب في اعادة تنظيم الجيش وفي توفير المال ليخلص من طلبات الجنوبيين والبنادقة ويكمل الاصلاح الذي بدىء به في عهد اندرونيكوس الثالث^٤. ووافقت حنة الوصية وشرع كنتاكوزينوس في الاصلاح المنشود ولكنه لم يحسب حساب اثنين كان قد أحسن اليهما فجعل احدهما وهو يوحنا كاليكاس بطريركاً مسكونياً على الرغم من مقاومة الاساقفة ، ورفع الآخر وهو اليكسيوس ابوكوكوس Alexios Apocaukos الى اعلى الرتب . فانهما تمنيا منذ اللحظة الاولى زوال نعمته ودساً عليه عند حنة الوصية وافتربا

Krumbacher, K., *Gesch. Byz. Litt.*, 103-105. ١

Tafrazi, O., *Thessalonique au XIVe Siècle*, 188-191. ٢

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 665-670 ; Bréhier, L., *Byzance*, 433-434. ٣

Cantacuzenus, J., *Hist.*, II, 40. ٤

عليه انه يعمل لتقويض حكم الاسرة المالكة^١. فأحسّ الوزير الوصي بذلك فقدم استقالته فرفضت . ثم قام بمهمة ادارية خارج العاصمة فعاد اليكسيوس وصديقه البطريك الى سابق فسادهما فألحّا على الفسيلسة الوصية بوجود تجريد كنتاكوزينوس من جميع صلاحياته دون محاكمة^٢. فعلم الوزير الوصي بذلك فنقد صبره وأعلن نفسه فيلسفياً في السادس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٣٤١ شريكاً في الحكم مع الفسيلفس الصغير يوحنا الخامس^٣.

وشد أزر يوحنا كنتاكوزينوس اصحاب الاملاك الكبيرة وسائر الارستقراطيين والرهبان ، فاستهوى خصمه اليكسيوس الطبقات المتوسطة والفلاحين . ودخل الروم في حرب اهلية طاحنة دامت ست سنوات متتالية تذرع الفريقات فيها بجميع الوسائل للوصول الى الظفر غير مبالين بما تجره على الدولة من عواقب وخيمة ، واستعانوا بالاجانب الغرباء : بالصرب والبلغار والسلاجقة والعثمانيين . وذهب كنتاكوزينوس الى أبعد من هذا فأزوج سلطان العثمانيين من ابنته وتمكن بمعاونته من الانتصار على خصمه^٤. ثم ذبح اليكسيوس في القسطنطينية ففتحت العاصمة ابوابها ودخل كنتاكوزينوس اليها فيلسفياً مساوياً ليوحنا الخامس . وكان بطريك القدس قد توجه فيلسفياً في ادرنة فلما استوى على عرش القسطنطينية أعاد تتويجه فيها . وأزوج كنتاكوزينوس يوحنا الخامس من ابنته هيلانة .

يوحنا السادس : (١٣٤٧ - ١٣٥٥) وربح يوحنا السادس الحرب الاهلية وأصبح سيد القسطنطينية ولكنه لم يسُد على الدولة بأسرها .

Diehl, C., *Figures Byz.*, II, 254-256. ١

Cantacuzenus, J., *op. cit.*, III, 24-25. ٢

Phrantzes, G., *Chronicon Majus*, I, 9; Diehl, C., *op. cit.*, II, 260-261. ٣

Bréhier, L., *Byzance*, 436-438. ٤

فظل هنالك من اعتبره مغتصباً فجاهر بالولاء ليوحنا الخامس . فاضطر كنتاكوزينوس الى ان يوقع معاهدة مع الفيلسفة الوصية حدد بموجبها المدة التي يبقى فيها هو مقدماً على الفيلسفس الصغير^١. واضطر ايضاً الى ان يعلن عفواً عاماً شمل جميع الرعايا وان يطلب من الجميع بين الولاة للفيلسفين معاً . وذهب الى أبعد من هذا فأظهر شهادات رسمية تثبت انتسابه للأسرة الباليولوجوسية .

ثم جوبه هذا الرجل المقدم بأصعب من هذا : باعادة الامن والطمأنينة والراحة . وكانت الحرب الاهلية قد استنفدت اموال الخزينة ولم يبق فيها ما يقوم بنفقات حفلة التتويج ، فحض الفيلسفس الجديد الاعيان على الانفاق من اموالهم الخاصة لدعم مالية الدولة . فلم يفقهوا شيئاً مما كان يحلم به للنهوض بالدولة وقاوموه في ذلك مقاومة شديدة . ورغب يوحنا السادس رغبة اكيدة الى المعسكرين الاهليين ان يضعوا سلاحهما جانباً ويعودا الى حياة هادئة عادية فلم يفلح . واتهمه انصاره بالامس بالمحاباة في معاملة اخصاسهم . وقام بكره متبى يحاول انشاء اقطاع كبير في تراقية ، ولم يقف عند حده الا بعد ان اعترضته في ذلك الفيلسفة الوصية^٢.

ولم يستتب الامن في الولايات . فالعصابات ظلت تجوب البلاد ناهبةً مخربة . واضطر الفيلسفسان لدى عودتهما من مناورة عند شاطئ البحر الاسود الى ان يقاتلا عصابة تركية اعترضت سبيلهما^٣.

واستغل فنيوزو Vignoso الجنوي فرصة هذه الحروب الاهلية فاحتل جزيرة خيوس واستولى على فوقة القديمة والجديدة فاضاع بذلك الجهود

Cantacuzenus, J., op. cit., III, 99-100.

١

Cantacuzenus, J., op. cit., IV, 4-5, 7-8.

٢

Gregoras, N., Hist., VI, 7.

٣

التي كان اندرونيكوس الثالث قد بذلها في سبيل الاستيلاء على دخل هذه المرافق^١. وظل الغيورون محتفظين بالسلطة في ثيسالونيكية غير معترفين بحق الفيلسوف الجديد ورفضوا ان يسمحوا لغوريفوريوس بالاماس بان يتولى شؤون الابوشية الروحية فيها. واضطر يوحنا السادس الى ان يستعين بقرصان من الاتراك ليستولي على ثيسالونيكية ويمنع الغيورين من تسليمها الى يد اسطفان دوشان ملك الصرب^٢.

يوحنا السادس والصرب: وكان اسطفان دوشان ملك الصرب قد استغل فرصة الحروب الاهلية فاحتل مقدونية الشرقية واستولى على قوّة وسيريس ووصل الى بحر ايجه واتجهت انظاره سطر القسطنطينية وحلم بالاستيلاء عليها وبتأسيس دولة صربية كبيرة تشمل جميع البلدان البلقانية. وفي الثالث عشر من نيسان سنة ١٣٤٦ جمع اساقفة الصرب لانتخاب بطريك عليهم ففعلوا، ثم توجهوا اسطفان «فسيلفساً» على الصرب والروم^٣.

وعلم يوحنا السادس حق العلم انه ليس بإمكانه ان يصد الصرب عن تحقيق آمالهم وحده دون مساعدة خارجية، فليجأ الى اورخان سلطان العثمانيين الاتراك. ثم اوفد الى اسطفان دوشان وفدين للتفاوض معه حول مصير ثيسالية (اذار - نيسان ١٣٤٨) فلم يصغر اليه. فاستقدم يوحنا عشرة آلاف تركي عثماني وأنفذهم الى ثيسالية، فأخرجوا اسطفان منها ولكنهم نهبوا. وبعد ان استولى يوحنا على ثيسالونيكية في خريف السنة ١٣٤٩ قام بهجوم واسع النطاق على ممتلكات دوشان وكان هذا

Miller, W., *Essays on the Latin Orient*, 298-300.

١

Cantacuzenus, J., *op. cit.*, IV, 16-17.

٢

Ostrogorsky, G., *Seminarum Kondakovianum*, 1936, 46.

٣

منهم كما آتت في حرب ضد المجر لاستعادة بلغراد ، فاستمال يوحنا عدداً من امراء الاقطاع الصرب واستعاد قسماً كبيراً من مقدونية واحتل عاصمة الصرب . فعاد اسطفان مسرعاً من حدوده الشمالية الى مقدونية للمفاوضة . وفي مطلع السنة ١٣٥٠ اتفق يوحنا السادس ويوحنا الخامس من جهة واسطفان دوشان من الجهة الثانية على ان تعاد اكرنانية وثيرسالية ومقدونية الجنوبية الشرقية الى الروم ، ووقعوا معاهدة بهذا المعنى . ولم يعن هذا ان اسطفان تحول عن مطامعه في البلقان وفي القسطنطينية ، ولكنه اضطر اضطراراً الى ان يؤجل تحقيق هذه المطامع ريثما يتمكن من محاسبة امرائه الذين انحازوا الى جانب الروم ومن ايجاد القوة البحرية اللازمة للاستيلاء على القسطنطينية . ومن هنا في الارجح كان تحالفه مع البنادقة^٢ .

متاعب داخلية ايضاً : وكان الوباء الاسود قد وصل الى القسطنطينية وانتشر فيها في السنة ١٣٤٨ . ويستدل من وصفه الذي ورد في المراجع الاولى انه كان نوعاً من الطاعون الدملي الفتاك ، فاجتاح القسطنطينية وغيرها من مدن السواحل والجزر من بلاد القباچقة في ساحل بحر ازوف . واشتد فتك هذا الداء وكثرت ضحاياه فزاد الروم فقراً على فقر . وانتقل من بحر الارخبيل الى ايطالية ففرنسة وانكثرت^٣ .

وظلت المشادة قائمة حول موقف رئيس اساقفة نيسالونيكية بالاماس من النور الالهى . وكان البطريرك يوحنا كاليكاس قد دعا الى مجمع جديد للنظر في قضية بالاماس فحكم عليه وقضى بحبسه . فلما استوى يوحنا

Jirecek, C., *Gesch. der Serben*, I, 401-402.

Cantacuzenus, J., *op. cit.*, IV, 22.

Glötz, G., *Moyen Age*, VI, 527-528.

السادس على عرش القسطنطينية أنزل البطريرك عن عرشه لتأمره مع ابوكوكوس وأحلَّ محله اميدوروس مرشح الصامتين . فدعا البطريرك الجديد الى مجمع ثالث في السابع والعشرين من ايار سنة ١٣٥١ وخرج بالاماس ظافراً وانتصر الصامتون^١.

مشكلة جنوى : واشتد طمع الجنويين في اسواق العاصمة ولاسيا في الاتجار مع سواحل البحر الاسود . وأحبوا ان يستأثروا بتجارة البحر الاسود وان يمنعوا البنادقة والروم من الاشتغال بها . وأحب كنتاكوزينوس ان يزيد النشاط التجاري في اسواق العاصمة بتخفيض الرسوم الكمركية وبانشاء السفن الرومية الوطنية . فلم يرضَ الجنويون عن هذه السياسة الجديدة . وكانوا منذ ايام ميخائيل الثامن قد استقروا خارج العاصمة في غَلَطَة فجعلوا منها حصناً منيعاً عند ابواب القسطنطينية . وفي منتصف آب السنة ١٣٤٨ انتهزوا فرصة تغيب يوحنا كنتاكوزينوس عن العاصمة فأرسلوا انذاراً الى حكومة العاصمة فلم ترضَ هذه عنه . فأغرقوا السفن الرومية وأحرقوا بعض الضواحي وضربوا حصاراً بحرياً برياً حول العاصمة^٢ . ودام الحصار بضعة أشهر . وحاول يوحنا بناء السفن لصد هذا الخطر الجنوي . ولكن توتر العلاقات بين الجنويين والبنادقة اضطر اولئك الى تقبل جميع شروط يوحنا^٣.

الحرب بين جنوى والبندقية : ولجأت جنوى الى العنف في سبيل منع البنادقة من الاتجار في مياه البحر الاسود فسدت البوسفور في وجههم في أضيق مضايقه . وحاول يوحنا السادس ان يحافظ على الحياد التام .

Bréhier, L., Byzance, 442.

Byzantion, 1938, 346-347 ; Gregoras, N., Hist., XVIII, 1-4.

Cantacuzenus, J., op. cit., IV, 11

١

٢

٣

ولكن الجنوبيين قصفوا اسوار العاصمة بالمخانيق فاضطر الفيلسفس ان يحالف
البنادقة (آب ١٣٥١) . فانقض الجنوبيون على مراكبه وأغرقوها ولم
يتمكن البنادقة من اقتحام مراكز الجنوبيين في البوسفور . فاضطر الفيلسفس
ان يصلح الجنوبيين (٦ ايار ١٣٥٢) على شروط اهمها توسيع رقعة غَلَطَة
وامتناع مراكب الروم عن الاجار في مياه البحر الاسود.

حرب اهلية ايضاً : ولم يبال يوحنا الخامس بالخطر المحقق ولم
يكثرث لما قد يحل بالروم من جراء المنازعات الداخلية ، فأعلن نفسه من
ثيسالونيكية في السنة ١٣٥١ الفيلسفس الوحيد لدولة الروم . وفاوض
اسطفان دوشان في ذلك فأقره عليه . وزحف على ادنة في ايلول السنة
١٣٥١ في الوقت الذي كان فيه الحصار قائماً حول القسطنطينية . ففاوض
يوحنا السادس الجنوبيين وصالحهم في ربيع السنة ١٣٥٢ ، ثم قام الى ادنة
فطرد يوحنا الخامس منها . فاستعان يوحنا الخامس بالصرى والبلغار والبنادقة ،
ولجأ يوحنا السادس الى الاتراك العثمانيين ، ونزع من كنائس القسطنطينية
ذهبها وفضتها ليدفع بها جماكيات العساكر الاتراك الذين أمده بهم
صديقه السلطان اورخان . ووعد يوحنا صديقه العثماني بمصن في تراقية
لقاء هذه المساعدة . ثم تمكن بمؤازرة الاتراك من فرض سلطته على
تراقية ومقدونية . وفرّ خصمه يوحنا الخامس الى جزيرة تينيدوس . ثم
قام بهجوم بحري على القسطنطينية فلم يفلح ، فلجأ الى ثيسالونيكية واعتم
بها . فاتهمه يوحنا السادس بالخيانة واعلن ابنه متى وريثاً له بعد وفاته .
ولما امتنع البطريرك كاليستوس عن تتويج متى فرّ من القسطنطينية .
فأقام يوحنا السادس فيلوثاوس بطريركاً مسكونياً^٢ .

واتسع أفق يوحنا السادس وكاد يؤسس امرة مالكة جديدة . ولكن

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 625-629.

١

Cantacuzenus, J., *op. cit.*, IV, 32-38.

٢

حليفه العثماني ترك الوفاء بعهدده . وفي الثاني من آذار سنة ١٣٥٤ في
 اليوم الاول من الصوم الكبير زلزلت الارض في شبه جزيرة غاليبولي
 فتهدمت أسوار غاليبولي وغيرها من المدن المجاورة فدخلها الجنود الاتراك
 واستقروا فيها . فعظم هذا الامر على يوحنا السادس وأفرعه وعدة محاولة
 لانشاء رقبة جسر للاتراك في اوروبه . ففاوض صديقه اورخان في ذلك
 وعرض عليه دفع مبلغ من المال لقاء خروج الاتراك من هذه المدن
 المحصنة ولكن اورخان اجابه بانه لا يمكنه ان يتخلى عن عطية من الله
 بها عليه ورفض مقابلة الفيلسوف^١ . وفي حزيران السنة نفسها عبر الاتراك
 الدردنيل الى اوروبه ونهبوا تراقية وأضاعوا على السكان حصادهم . وبعد
 ذلك بقليل اعترض قرصان من الاتراك سبيل بالاماس في طريقه بجزراً
 الى القسطنطينية فأسروه ونفوه^٢ . ففتوت همه يوحنا . وجعله الناس مسؤولاً
 عما حل بالدولة من مصائب . فحاول في حزيران من السنة ١٣٥٥
 التفاوض مع يوحنا الخامس ، فصدده هذا ولم يقبل . وفي خريف هذه
 السنة نفسها قام يوحنا الخامس الى القسطنطينية بجزراً فنزل في احد
 مرافئ بحر مرمرة . فثار الشعب مطالباً بعودته الى الحكم واقتحم
 مستودعات الاسلحة . فعاد يوحنا السادس عن الحكم الفردي وقبل بالحكم
 الثنائي . ثم ثار الشعب ثانية فخلع يوحنا السادس شارات السلطنة ولبس
 ثوب الرهبنة واتخذ لنفسه اسم يواصف وبقي مدة في احد اديار آثوس ، ثم
 التحق بابنه متى فأقام في مسترة (١٣٨٠) وتوفي فيها في الخامس عشر من
 حزيران سنة ١٣٨٣^٣ .

Cantacuzenue, J., op. cit., IV, 38.

*Accord. to one of his letters to the Thessalonikians, Neos Hellenomne-
mon, 1922, 7 ff.*

*Cantacuzenus, op. cit., IV, 39-42; Zakythinos, D, A., Despotat Grec ٣
de Morée, 114 ff.*

الفصل الخامس والثلاثون

الأتراك العثمانيون في اوروبة

(١٣٥٥ - ١٣٨٩)

شبه جزيرة البلقان بعد الاضطراب : وتسلبت يوحنا الخامس على دولة متهدمة خربة ، تجتاحها العصابات وتمزقها الفتن ، فيتسلط على اجزائها الاجانب . ولم يكن يوحنا الخامس سيد هذه الدولة بل زعيم حزب من احزابها . فصب على المصيبة ورضي بنصيبه . واعترف للاجانب بما فرضوه عليه . ففي السابع عشر من تموز سنة ١٣٥٥ تخلى عن جزيرة لسبوس لفرنسيس غتيلوزيو الذي عاونه على الوصول الى العرش . وكان بعض قرصان فوقة قد أمروا خليلاً ابن اورخان فحمله زميله العثماني مسؤولية هذا العمل . فحاول يوحنا ان يفك خليلاً من الاسر فلم يفلح . فاضطر الى ان يتخلى لاورخان عن مدن تراقية مقابل الفدية (١٣٥٧ - ١٣٥٨) . وكان متى ابن يوحنا السادس لا يزال يحمل لقب فيسيلفس ويتمتع باقطاع واسع في ادرنة وضواحيها فاضطر يوحنا الخامس الى ان يجاربه . فتدخل يوحنا السادس واقنع ابنه بوجود التخلي عن هذه الرتبة السامية . وعاد الاثنان الى المورة وحاولا التحرر من سلطة القسطنطينية . فأدى ذلك الى حرب اسفرت عن نجاح الاسرة المالكة . وظلت المورة

بعد ذلك بيد احد افراد الاسرة المالكة حتى النهاية^١. وما كاد يوحنا الخامس يعود الى عرش آباءه حتى فرَّ البطريرك فيلوثاوس من القسطنطينية وعاد اليها البطريرك كليستوس. وعاد اليها ايضاً نيقيفوروس غريغوراس من منفاه. وطالب هذا بنقاش علي بينه وبين بالاماس. فتم ذلك بحضور ممثل البابا انوشنتش السادس ورئيس اساقفة ازميز. وعاد الحزبان الدينيان الى سابق نزاعهما^٢.

وشعر البنّادقة بهذا الحُور وهذه الحُشجة فكتب احدهم مارينو فاليارو Faliero الى الدوق ان يستولي على القسطنطينية قبل وقوعها في يد الاتراك وذلك في الرابع عشر من نيسان سنة ١٣٥٥^٣. وتوفي هذه السنة نفسها في العشرين من كانون الاول ملك الصرب اسطفان دوشان الذي كان يعد العدة لتحقيق آماله في دمج الروم والصرب في دولة واحدة فدخلت دولته في طور انحلال سريع^٤. وكانت بلغارية تشكو من انقسامات دينية ومشاحنات بين افراد الاسرة المالكة فدخلت بعد وفاة يوحنا الكسندروس (١٣٦٥) في حرب اهلية^٥. وكان لويس ملك المجر (١٣٤٢ - ١٣٨٢) وحده قادراً على القيام بعمل حربي كبير ولكنه آثر التلهي بتجزئة الصرب واقتطاع بعض الاراضي البلغارية والحيلولة دون قيام دولة في الفلاخ والبغدان على الدفاع عن الصقالبة ضد الاتراك الطامعين^٦.

Zakythinos, D. A., op. cit., 98-105. ١

Bréhier, L., Byzance, 448-449. ٢

Ostrogorsky, G., Gesch. des Byz. Staates, 379. ٣

Can'acuzenus, J., op. cit., IV, 34 ; Temperly, H., Hist. of Serbia 93-95. ٤

Guerin - Songeon, Bulgarie, 280. ٥

Giurescu, C. C., Istoria Romanilor, I, 385-395 ; Eckardt, F., Hist. de la Hongrie, 38 ff. ٦

المهجوم التركي : وتميز الاتراك العثمانيون آنئذٍ بقيادة قوية نشيطة وبخدمة عسكرية اجبارية وبتسامح ديني غير عادي في ذلك العصر . وكان الاسلام كالنصرانية يُقدم على العنصر والجنس واللغة ، فجعل من الاتراك ومن أحب الدخول في الاسلام في ظل الدولة الجديدة امةً عثمانية تساوي فيها التركي وغير التركي . وتميز جيش هذه الدولة بتأسكه وولائه فاختلف كل الاختلاف عن الجنود المرتزقة الذين كانوا يحاربون في صفوف الروم وغيرهم من الدول المعاصرة^١ .

وكان اورخان قد انشأ رقبة جسر له في شبه جزيرة غاليبولي فبدأ منذ السنة ١٣٥٥ باغارات متتالية في تراقية تهدف الى الاستيلاء على ادرنة . فاحتل اولاً عدداً من النقاط الاستراتيجية في نواحيها ، ثم سجل نصراً باهراً في بورغاس فاحتل المدينة في اذار السنة ١٣٦١ . وتوفي بعد ذلك بقليل . وأكمل ابنه مراد الاول فتح تراقية في الاشهر القليلة التالية ففصل القسطنطينية عن ممتلكاتها الغربية .

وعني مراد عناية فائقة بجيشه فأنشأ حرساً من المشاة اسماء الجنود الجديدة « يكيجرى » الانكشارية . وقد نسب انشاء هؤلاء خطأ الى اورخان واخيه علاء الدين^٣ . وهم غلمان من النصارى انتزعوا انتزاعاً من بيوت آباؤهم فنشأوا في السراي السلطاني نشأةً عسكرية حربية . ومنعوا من الزواج فخصوا السلطان بكامل ولائهم . ونظموا تنظيماً شبه ديني على غرار جمعيات الفرسان الصليبية فانضوا تحت لواء الطريقة البكتاشية . وكان الاتراك العثمانيون قد استهروا منذ خروجهم من خراسان بانهم

Gibbons, H. A., *Foundations of Ott. Emp.*, 73-84.

١

Balinger, F., *Byz. Osman. Grenzstudien Byz. Zeit.*, 1930, 413.

٢

Gibbons, H. A., *Foundations etc.*, 117, note 1.

٣

فرسان بارعون . ولكن حرب الحصون والمراكز المنيعه تطلبت مشاة مدربين . ومن هنا كان هذا اللجوء الى النصارى وهذه التربية الخاصة^١ . ولم يبقَ لدى يوحنا الخامس جيش من الرجال المدربين ، فأسلم أمره الى الله وانقاد لمراد الاول فاعترف بسلطة الاتراك على تراقية وحالف سلطان العثمانيين ضد خصومه الاتراك في بر الاناضول (١٣٦٢ - ١٣٦٣)^٢ . وحاول في السنة ١٣٦٤ ان يستمد المعونة من الصرب . فأرسل وفداً الى سرييس يفاوض ارملة اسطفان دوشان ولكن دون جدوى^٣ . فأجاب مراد بتوقيع معاهدة تجارية مع جمهورية راغوسة على شاطئ الادرياتيک ويجعل ادرنة مركز حكمه ومقره الدائم (١٣٦٦) .

الفسيلفس وبابا رومة : وكان الفسيلفس يوحنا الخامس قد أصدر في اواخر السنة ١٣٥٥ خريسوبولة أقسم فيها الطاعة لرومة واقترح انشاء قصادة رسولية دائمة في القسطنطينية تشرف على التعيينات الاكليزيكية كما وعد بارسال ابنه رهينة الى افينيون مقابل تنظيم حملة صليبية يتولى هو قيادتها بنفسه . ولكن انوشنتش السادس كان حذراً قليل الثقة وكان يعلم في الوقت نفسه انه ليس بإمكان الفسيلفس الضعيف ان يفرض ارادته على الاكليروس الارثوذكسي ، فلم ينجم عن هذه المفاوضة سوى حملة بحرية صغيرة بزعامة بطرس توما أدت الى احتلال لمساكوس احتلالاً مؤقتاً^٤ . فلما أكره الفسيلفس على الرضوخ والاعتراف بالواقع في تراقية (١٣٦٢) وجه نداءً جديداً الى رومة في ايام اوربانوس الخامس (١٣٦٢ - ١٣٧٠)

١ كارل بروكلمان ، الشعوب الاسلامية ، ٣ ، ٢٠ - ٢٣ .

Gibbons, H. A., op. cit., 121-122.

Cantacuzenus, J., op. cit., IV, 50.

Halecki, O., Empereur de Byzance à Rome, 31 ff., 68.

وقام بنفسه الى بودا يفاوض لويس آنجو . فدعا البابا الى حملة صليبية عامة لتحرير « رومانية » من نير الاتراك وذلك في الخامس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٣٦٥ واشتروط مثول يوحنا بين يديه ليعلن بنفسه عودته الى الطاعة . فقام يوحنا الخامس من القسطنطينية في نيسان السنة ١٣٦٩ ونزل في كستلماري في السادس من آب من السنة نفسها . وقام اوربانوس الخامس من افينيون قاصداً رومة فوصلها في الثالث عشر من تشرين الاول . وفي الحادي والعشرين من هذا الشهر تقبل طاعة يوحنا في كنيسة القديس بطرس . وشملت هذه الطاعة ، التي قال بها يوحنا وحده فيما يظهر ، القول بما قالته رومة في جميع نقاط الخلاف بينها وبين الكنيسة الارثوذكسية . وذهب يوحنا الى أبعد من هذا فأعلن نفسه لاتيني المذهب^١ . فحض اوربانوس الخامس جميع المؤمنين على حمل السلاح لبذل المعونة الى « قسطنطين الجديد » وفوض الفيلسفس تجميش المحاربين في ايطالية . ولكن لويس الكبير ملك المجر ظل غير مبالٍ بمصير الروم وظل البابا غير مبالٍ بهذا الموقف السلبي . أما البنادقة فانهم أظهروا اندفاعاً كبيراً في سبيل المحافظة على القسطنطينية والحيلولة دون سقوطها في يد الاتراك . فقام يوحنا الخامس الى البندقية في اوائل السنة ١٣٧٠ واتفق الطرفان على شروط اهمها تحلي الفيلسفس عن جزيرة تنيديوس عند مدخل الدردنيل الى البنادقة لقاء تقديم المراكب اللازمة لتقل المحاربين وتقديم سلفة مالية معينة واعادة جواهر التاج البيزنطي التي كانت قد حفظت رهينة في البندقية . ويرى بعض رجال الاختصاص ان لا صحة لما جاء في بعض المراجع المتأخرة من ان البنادقة التقوا القبض على يوحنا لوفاء دينه^٢ .

Halecki, O., op. cit., 203 ff.

Halecki, O., op. cit., 223-229 ; Bréhier, L., Byzance, 455-456.

البطريك فياوثاوس يقاوم : وفي اثناء هذا كله كان البطريك المسكوني يسعى سعيًا حثيثاً في جميع الاوساط الارثوذكسية في البلقان وفي روسية الى تنظيم حملة ارثوذكسية توقف الاتراك عند حد معين وتشل مفعول الاتحاد الذي أعلنه يوحنا الخامس . ولكن شيئاً من هذا لم يتم . وجل ما توصل اليه البطريك المسكوني انه ثبت الاوساط الصربية والبلغارية والفلاخية على التمسك بقرارات المجامع المسكونية وعدم الاعتراف بسلطة رومة .

الاتراك عند ضفة الدانوب : وظل خلفاء يوحنا الكسندروس ملك البلغار في خصام مستميت . فاحتل مراد الاول قلعة سوزوبوليس التي كانت تسيطر على مرفأ بورغاس واضطر شيمان ان يدخل في طاعته (١٣٦٩) وان يبعث اخته مارة زوجة له . ثم تعاون مراد وشيمان فطرد المجر من بلغارية الشمالية ووصل الاتراك لاول مرة الى ضفة الدانوب وذلك في السنة ١٣٧٠ . وأفزع هذا التقدم بعض رجال الاقطاع من الصرب المجاورين ، فهبّ اثنان من هؤلاء الى السلاح : يوحنا وفوكاشين اوغلياشة وقاما بالرجال الى حدود الاتراك في اوروبة ففوجئاً عندما حاولا قطع نهر المريتزا في السادس والعشرين من ايلول سنة ١٣٧١ وغلبا على أمرهما . وخشي شيمان البلغاري سوء العاقبة فتعاون مع الصرب على صد الاتراك عن الزحف باتجاه صوفية . فانكسر انكساراً ذريعاً في سماكوف سنة ١٣٧٣ وفرّ ملتجأ الى اعالي جبال الرودوب . ودوَّخ مراد بلغارية وأضافها الى ممتلكاته . ثم زحف على مقدونية فاحتل جميع المدن التي كانت قد دخلت في حوزة الصرب في عهد اسطفان دوشان . وقام بعد ذلك الى بلاد الصرب وما فتىء يواصل زحفه حتى أطلّ على الادرياتيك . ودخل أمراء

الصرب في طاعته محتفظين بالقباهم ورتبهم ، مقدمين الجنود عند الحاجة^١.
اخفاق البابا ودخول الفسيلفس في طاعة السلطان : وتوفي اوربانوس
 الخامس وتولى السدة الرومانية غريغوريوس الحادي عشر (١٣٧٠ - ١٣٧٨).
 وسمع هذا البابا بأساءة مريتزا فحضر المجر والبندقية على التدخل (ايار
 ١٣٧٢) ودعا جميع الدويلات المسيحية في الشرق الى مؤتمر في ثيبة من
 بلاد اليونان وحدد موعداً له تشرين الاول من السنة ١٣٧٣ ولكنه ،
 اخفق في هذا كله ولم ينعقد المؤتمر . وأوفد يوحنا الخامس يوحنا لاسكاريس
 كالوفيروس الى افينيون وباريس والى عاصمة المجر يستغيث فلم يلق الا
 وعوداً غامضة . ثم ارسل البابا غريغوريوس سفراءه الى القسطنطينية في
 خريف السنة ١٣٧٤ ليؤكد لفسيلفس الروم ان الدفاع يتيسر بسهولة ان
 هو نجح في ضم الكنيسة الارثوذكسية الى الكنيسة اللاتينية . ولكن
 يوحنا كان قد يئس ففاوض مراداً ودخل في طاعته قبل تموز هذه السنة
 نفسها . وحاول البابا في السنتين التاليتين ١٣٧٥ - ١٣٧٦ ان يستنهض
 الهمم في اوروبة لتخليص القسطنطينية ولكن دون فائدة . فالانقسامات
 والمناظرات الدولية وعدم المبالاة كانت افضل ما قدمته اوروبة للاتراك
 العثمانيين^٢.

ثورة اندرونيكوس : وفي السنة ١٣٧٤ حرم يوحنا الخامس بكره
 اندرونيكوس من الملك وقدم عليه اخاه عمانوئيل وذلك لاسباب نجحها .
 فقد تكون ذات علاقة بسياسة السلطان العثماني وموقفه من ابنه ساوهجي
 الذي كان يطمع في الملك فيتودد الى اندرونيكوس ابن يوحنا ، وقد
 تكون بسبب طمع اندرونيكوس وشوقه للاستثمار بالسلطة ، وقد تكون

Gibbons, H. A., op. cit., 143-148.

Halecki, O., op. cit., 248-307.

عظماً خاصاً من يوحنا على ابنه عمانوئيل . والواقع الذي لا جدال فيه ان اندرونيكوس لم يخضع لمشيئة ابيه ، بل تأمر وساوه جي على والده ، فثار ثائرٌ مراد وأمر بقلع عيني ابنه كما اوصى بسمل عيني اندرونيكوس . ونفذ كل من السلطان والفيلسوف أمر السمل وفقد ساوه جي بصره ولكن اندرونيكوس لم يفقد سوى عين واحدة . ونفي اندرونيكوس وعائلته الى جزيرة لمنوس . ثم اشتد النزاع بين البندقية وجنوى . فألحت الاولى بوجود السماح لها باحتلال تينيدوس عملاً بنص المعاهدة بينها وبين يوحنا ، وقد سبقت الاشارة اليها . فعاونت جنوى اندرونيكوس على الخروج من سجنه من لمنوس . فخرج في صيف السنة ١٣٧٦ وقام الى القسطنطينية فخلع اياه عن العرش وسجنه وأرضى الاتراك بالعودة الى غاليبولي . وتولى الحكم ثلاث سنوات متتالية ١٣٧٦ - ١٣٧٩ . ثم أفلت يوحنا الخامس من السجن بمعونة البنادقة وقام الى القسطنطينية فدخلها في اول تموز سنة ١٣٧٩ فخرج اندرونيكوس منها الى غلطة ، ثم ترامى على قدمي والده فعفا عنه ولكنه توفي في السنة ١٣٨٥ .

الاتراك اسياد الموقف : وهكذا فان الاتراك أصبحوا اسياد الموقف في البلقان وامسى الروم في حالة بؤس ويأس . وكتب أحد هؤلاء حوالى السنة ١٣٧٨ يقول : « والكل خارج الاسوار عبيد للاتراك والجميع في داخل المدينة يشنون من البؤس والاضطراب^٢ » . وبردت هممة المسيحيين في الغرب وحمد نشاطهم فأقبلوا على التفاوض مع الاتراك ولم يعبأوا بتهديد البابا ووعيده^٣ .

Chalkondyles, L., *Hist.*, n. 52 ; Iorga, N., *Usurpation d'Andronic IV*, ١
Rev. Hist. S. E. Européen, 1935, 105-107.
 Cydones, D., *Correspondance*, n. 26, 61-62. ٢
 Gibbons, H. A., *op. cit.*, 163-165. ٣

وأراد مراد الاول ان يوسع سلطته في البلقان ، وكانت ثيسالونيكية لا تزال في يد الروم يدير شؤونها عمانوئيل ابن يوحنا وكذلك حصن سرييس . فعبث مراد بشروط التحالف بينه وبين يوحنا وأرسل خير الدين احد رجاله الى سرييس فاستولى عليها في ايلول السنة ١٣٨٣ . ولكن عمانوئيل رفض ان يسلم ثيسالونيكية فحاصرها الاتراك اربع سنوات ١٣٨٣ - ١٣٨٧ فسقطت في ايديهم^١ . فسخط يوحنا على ابنه عمانوئيل ونفاه الى لمنوس . ثم تدخل مراد متابعا سياسة التفريق بين افراد اسرة باليولوغوس فرضي يوحنا عن عمانوئيل وأعادته الى رتبته وسابق عهده^٢ . وكان خير الدين يتابع فتوحاته في غربي البلقان فانتصر في السنة ١٣٨٥ على الالبان في سورة ودخلت اسقودرة في حوزة الاتراك واعتنق الاسلام عدد كبير من الالبان . واتجه الاتراك نحو الدانوب فاستولوا على عقدي الطرق الهامتين : صوفيا في السنة ١٣٨٦ ونيش في السنة ١٣٨٧ .

قوصوة : (١٣٨٩) وكان عازار قد خلف ابن دوشان على عرش الصرب ، فشق عليه خضوع سلفه للاتراك فحالف توركتو ملك البشناق وخرج على الاتراك . فأنفذ مراد لالا شاهين بقوة لاختضاع عازار وتوركتو فالتقيا به عند بلوشنك Plochnik فأوقعا به هزيمة شنعاء وذبحا معظم جنوده (١٣٨٨) . فثارت البلقان بأسرها على الاتراك وانضم الى عازار وحليفه شثمان ملك البلغار وغيره من أمراء النصارى^٣ .

فأنفذ مراد قوة بقيادة علي باشا الى قتال شثمان وحده في بلغارية . ثم قام ومعه ولداه بايزيد ويعقوب وأمراء آسية الى عازار وحليفه

Loenertz, Manuel Paléologue, *Echos d'Orient*, 1937, 480 ff.

Cydones, D., *Corresp.*, n. 35-36.

Gibbons, H. A., *op. cit.*, 167 ff.

وجموعهما . فاقتتل الطرفان في مرج الشحارير « قوصوة » حيث ينبع
الايبار والوردار ودرينة . وتنازع الفريقان راية النصر فكانت الحرب
سجالاً . ثم أخذ ميلوش اوبيليش احد اشراف الصرب على عاتقه أمر
اغتيال مراد ، فطعنه خنجرأ في خيمته . وكاد النصر يكون لعازار وحلفائه
ولكن فوك برانكوفيتش احد انسياء عازار انسحب من ميدان القتال
بائني عشر الفاً فأمن النصر للاتراك . فانتصروا في الخامس عشر من
حزيران سنة ١٣٨٩ وقضوا على استقلال الصرب .

الباب الثاني عشر

النهاية

(١٤٥٣ - ١٣٨٩)

•

الفصل السادس والثلاثون

الروم وبايزيد ومحمد

(١٤٢٥ - ١٣٨٩)

السلطان بايزيد : ونودي ببايزيد سلطاناً في قوصوة . فبدأ عهده بقتل اخيه يعقوب فاخطط لخلفائه طريقاً مخضباً بالدم ساروا عليه قروناً متتالية . وتسلم بايزيد دولة لا تزال في دور النشوء فأرادها وريثة لبينزطة . فاتجهت انظاره الى آسية الصغرى بعد شبه جزيرة البلقان . فزحف على امارة آيدين وأكره اميرها على الطاعة ثم فرض عليه اقامة جبرية في بروسة . وقام في السنة ١٣٩١ فحاصر أزمير وكانت قد أصبحت بيد الاسبتاليين منذ السنة ١٣٤٥ فلم يقوَ عليها لانه لم يكن لديه اسطول بحري . ثم أخضع امارة صروخان ومنتش ودخل أضالية فوصل بها الى البحر المتوسط . وانشأ في هذه السنة نفسها اسطولاً بحرياً فخرّب جزيرة

خيوس وغزا سواحل اتيكة في بلاد اليونان . ثم جمع حوله أمراء
البلقان وقام الى ايقونية عاصمة علاء الدين فحاصرها في اواخر السنة ١٣٩١
ففرّ اميرها من وجهه والتجأ الى جبال طوروس . وكانت قد ساءت
احوال جبهته في شمالي البلقان فعاد عن ايقونية وعبر بمجموعه وجيوشه الى
اوروبه . وعاد علاء الدين الى ايقونية محارباً فرجع بايزيد الى آسية . وما
ان وصل الى كوتاهية حتى فاوضه علاء الدين في الصلح ، فلم يقبل وانتفض
عليه فهزمه وقتله واستولى على امارة القرمان (١٣٩٢) . وفي السنة
١٣٩٥ حارب برهان الدين امير قبدوقية فأجبره على الطاعة . وخشي امير
قسطنطيني سوء العاقبة ففر والتجأ الى المغول . ووصل بايزيد الى البحر
الاسود واحتل مرفأى سمسون وسينوب .

وكان بايزيد يتابع في الوقت نفسه اعمال الفتح في البلقان التي بدأ بها
والده مراد . فاقصص من عازار بعد قوصوة ، ولكنه أعجب بشجاعة
الصرب وبأسهم فعامل ابن عازار معاملة حسنة وأدخل عناصر صربية في
جيشه . وبعد ان جال جولته الاولى في آسية الصغرى غزا البشناق
والفلاخ . وانتصر على مرقية Mircea هوسبودار الفلاخ وأبعده الى
بروسه وأكرهه على الدخول في طاعته بشروط بقيت اساس علاقات
العثمانيين بامراء الفلاخ مدة طويلة : اعتراف بسلطة السلطان ، ودفع مال
سنوي معين ، وتقديم معونة عسكرية عند الحاجة ، وامتناع السلطان
عن الدعوة للدين الاسلامي شمالي الدانوب ، وعن اقامة اية جالية اسلامية
واي جامع للصلاة . وأصبحت المجر بعد هذا كله مركز المقاومة الرئيسي
لتقدم الاتراك في اوروبه . وكان لويس ملكها قد توفي في السنة ١٣٨٦
فخلفه في الحكم صهره سيجموند ابن الامبراطور كارلوس الرابع . وكان

هذا أيضاً يحلم بالسيطرة على البلقان^١. فبادر الى الحرب فأرسل انذاراً الى بايزيد يوجب عليه الجلاء عن بلغارية فلم يُجيب بايزيد. فأغار سيجموند على بلغارية واحتل نيقوبوليس بعد حصار طويل. ثم اضطر الى ان يتراجع بخسارة كبيرة لدى وصول بايزيد الى الجبهة (١٣٩٢). ولمس بايزيد تأييداً لحصمه في الاوساط البلغارية، فاحتل تيرنوفو وسبى جماعات من البلغار فاسكنهم برّ الاناضول، وألقى الوضع السياسي الخاص الذي كان قد أعطاه والده للبلغار فاحتل البلاد احتلالاً وامتنع عن التعرف باللفظ «بلغار» في مراسيمه بعد ذلك^٢.

وكان منذ ان تبوأ عرشه قد تدخل في سياسة القسطنطينية للتفريق بين افراد الاسرة المالكة. فعطف على يوحنا ابن اندرونيكوس الرابع وشجعه على الدخول الى القسطنطينية وعلى التربع في دست الحكم (١٤ نيسان - ٧ ايلول ١٣٩٠) مكرهاً يوحنا الخامس على الالتجاء الى احد الحصون. ولما جاء عمانوئيل الثاني ابن يوحنا الخامس وطرد هذا المغتصب تقبله بايزيد واقطعه ارض سيامبرية. وكان قد أكره يوحنا الخامس على دفع اتاوة معينة وعلى الحاق ابنه عمانوئيل به على رأس مئة فارس. وكانت مدينة فيلادلفية (آلاشهر) في آسية الصغرى لا تزال خاضعة للفيلسفس، فأحب بايزيد ان يضمها الى ملكه. فامتنعت فحاصرها وأمر الفيلسفس وابنه عمانوئيل ان يشتركا في اعمال الحصار! اي ان يظاهرا السلطان على اتباعهما المخلصين، فاقدا ممتعضين كل الامتعاض. وحاول يوحنا الخامس ان يرمم الحصون في عاصمته فأمره بايزيد بوجوب هدم ما انشأ مهدداً بسمل عيني عمانوئيل. فخضع الفيلسفس لمشيئة السلطان متحسراً وتوفي بعد

Eckhardt, op. cit., 40 42.

Guerin - Songeon, Hist. de la Bulgarie, 293-294.

ذلك بقليل في السادس عشر من شباط سنة ١٣٩١ . وعلم عمانوئيل بوفاة والده وهو لا يزال في بروسة مكرهاً على الإقامة فيها . ففرّ منها ودخل القسطنطينية . فغضب بايزيد وحاصر القسطنطينية سبعة أشهر متتالية . ثم فرض على عمانوئيل زيادة في الأتاوة وإنشاء جامع في القسطنطينية وإقامة حرس تركي في غلطة .

ثم كان ما كان من أمر الفتح في البلقان والآناضول ، كما سبق ان أشرنا ، فأصبح بايزيد وريث رومة الجديدة وصاحب الحق في نسرهما الملكي . ولم يبقَ من تركتها خارج نطاق سلطته سوى العاصمة وبلاد اليونان . وكانت المورة قد دخلت في دور نزاع شديد بين ثيودوروس باليولوغوس ديسبوتس المورة او بالاحرى ذلك الجزء منها الذي كان خاضعاً للقسطنطينية وبين بعض أمراء اللاتين المجاورين . فشكا هؤلاء طمع ثيودوروس الى بايزيد وطلبوا تدخله .

فدعا بايزيد جميع أمراء الاقطاع التابعين للملكه الى سرّيس في ربيع السنة ١٣٩٤ . فلبى الدعوة كل من عمانوئيل الثاني الفسيلفس وثيودوروس باليولوغوس سيد ميسترة والفسيلفس الخلوع يوحنا السابع وأمراء الصرب وسيد مونغازية اللاتيني . وبعد ان استمع الى شكوى ماموناس ونظر في ما قاله أفراد اسرة باليولوغوس حكم على جميع هؤلاء بالاعدام ثم أبدل حكم الاعدام بسمل أعين مستشاريهم وأمر ثيودوروس ان يكف عن مونغازية وان يتخلى له عن أرغوس وان يتقبل في حصونه حاميات تركية . فقبل ثيودوروس ثم فرّ من سرّيس خلسة وسبق الاتراك الى حصونه وامتنع فيها واستعان بالبنادقة . فاحتل بايزيد ثيسالية ونوقيدية واستعاد لماموناس بعض ما فقدته وأرجأ الاقتصاص من ثيودوروس الى وقت

آخرًا.

نيقوبوليس : (١٣٩٦) وخشي البنادقة لاول وهلة التحالف التركي البيزنطي . ثم عادوا الى انفسهم فأرأوا في استيلاء الاتراك على المضائق وعلى القسطنطينية خطراً أكبر وأعظم ، فراحوا يستنهضون الهمم لحملة صليبية جديدة تخلص نصارى البلقان والقسطنطينية من الاتراك . فبدأوا بالوصول الى تفاهم تام بينهم وبين الجنوبيين . ثم اتصلا بعمانوئيل الثاني في تموز السنة ١٣٩٤ وفاتحوه بكلام في هذا المعنى . فأبان الفيلسفس المخاطر التي تحيق بحملة برية وارتأى ان يصار الى تقويته بجرأ^٢ . واتصل سيجموند في هذا الوقت بكارلوس السادس في بوردو وبدوق لانكستر وبالبنادقة . فلقى استعداداً كبيراً لدى هؤلاء جميعاً^٣ . وتبنى هذا الواجب فيليب دي ميزير de Mezieres فبث دعوة قوية في اوساط الأشراف في فرنسة وغيرها ، فتطوع عدد من كبار فرسان ذلك العصر بينهم وريث دوقية برغونية والمارشال بوسيكو Boucicaut وغيرهما . وتم الاتفاق على ان يتولى سيجموند تطهير الفلاخ وبلغارية من الاتراك وان تقوم البندقية بجرق الحصار البحري الذي كان قد ضربه بايزيد حول مداخل القسطنطينية . ثم ترددت البندقية موازنةً بين مفاوضة بايزيد وبين محاربهه ، فتأخر انطلاق الحملة سنة كاملة .

وفي ربيع السنة ١٣٩٦ وافقت البندقية موافقة كاملة ، فتقاطر الى بودا جيش قوي من فرسان الغرب . وفي صيف هذه السنة تحرك اسطول البندقية الى مياه الدردنيل والبوسفور وتمكن في الثامن والعشرين من

Zakythinos, D. A., *Despotat Grec de Morée, 155-156 ; Ro. d, Princes of Achaea, II, 249-250.*

Bréhier, L., *Eyzance, 468-469.*

Delaville - Leroux, *La France en Orient, 226-229.*

تشرين الاول من خرق الحصار حول مداخل القسطنطينية ويبرا وبات ينتظر وصول الجيش البري الزاحف عبر الدانوب . وكان سيجموند قد حاول انتظار بايزيد في ميدان ملائم للقتال متخذاً موقف الدفاع . ولكن الفرسان الغربيين أبوا ان ينتظروا في موقف دفاعي وانطلقوا عبر الدانوب فاحتلوا تورنو وبدأوا بحصار نيقوبوليس . وجاءهم بايزيد بمشاته المدربين فلم يقوَ فرسان الغرب على اختراق صفوف هؤلاء ، فولوا مدبرين في الخامس والعشرين من ايلول ، ونجا سيجموند بنفسه على قارب صغير عبر به الدانوب ، وقتل او أسر عدد كبير من خيرة الفرسان الغربيين . وأسعد الحظ مرقية هوسبودار الفلاخ اذ بقي جيشه سالمًا فتمكن من رد الاتراك على أعقابهم بعد ان قطعوا الدانوب^١ .

واتجه بايزيد بعد نيقوبوليس الى بلاد اليونان فحارب ثيودوروس ديسبوتس المورة في ليونتاريون Leontarion في الحادي والعشرين من حزيران سنة ١٣٩٧ وتغلب عليه فدخل في طاعته . واستولى السلطان على كورنثوس وأرغوس ونهب المورة وخرج منها بثلاثين الف رقيق^٢ .

وطلب السلطان الى الفسيلفس ان يسلم العاصمة ، فأبى عمانوئيل الثاني . فقام بايزيد يعد العدة لاقتحام القسطنطينية ، فأنشأ على بعد ثمانية كيلومترات منها كوزل حصار (القلعة الجميلة) . ثم أصغى الى نصائح حاشيته فارتد عن حصار العاصمة نظراً لضعفه في البحر وخوفاً من اتحاد الغرب عليه . وكان عمانوئيل قد اتصل منذ السنة ١٣٩٧ بدوق موسكو باسيليوس الاول طالباً المعونة ، وشاركه في هذا البطريك المسكوني ، فأرسل

Delaville - Leroux, France, 247 ff; Hammer, J., Emp. Ott., I, 324-338; ١
Kling, G, Die Schlacht bei Nikopolis; Atiya, A.S., Crusade of Nicopolis.
Zakythinos, D. A., op. cit., 155 ff. ٢

الدوق معونة مالية^١. واستغاث عمانوئيل بملكي فرنسا وانكلترة، فأنته من الاثنين معونة مالية، وأضاف ملك فرنسا كارلوس السادس بعثة عسكرية مؤلفة من الف ومئتي جندي بقيادة المارشال بوسيكو. ووصلت هذه الحملة الصغيرة في اواخر السنة ١٣٩٨ الى مياه الدردنيل، فاعترضتها قوة بحرية تركية، فتغلب الفرنسيون عليها ووصلوا الى القسطنطينية في وقت كاد بايزيد فيه ان يستولي على عِلَطة، فتراجع بايزيد عن عِلَطة. وحاربه بوسيكو بعد ذلك في مواقع متعددة ولكن انتصاراته لم تضمن سلامة العاصمة نظراً لضآلة عدد المحاربين^٢.

عمانوئيل الثاني في الغروب : (١٣٩٩ - ١٤٠٢) ولمس بوسيكو فداحة الخطر المحدق بالعاصمة، فألح على عمانوئيل بوجود القيام بنفسه الى الغرب في طلب المعونة وبوجود اسناد الحكم في اثناء غيابه الى يوحنا السابع فيضمن بذلك ولاء هذا الامير للدولة ضد الاتراك. وتعمد البنادقة والجنويون بالقيام بالواجب في اثناء غيابه. فقام عمانوئيل في العاشر من كانون الاول سنة ١٣٩٩ الى الغرب يرافقه المارشال بوسيكو. فوصلا الى البندقية في نيسان السنة ١٤٠٠ وقاما منها الى فلورنزة وفرارة وجنوى وميلانو ولقيا استقبالاً حاراً في جميع هذه المدن. ولكن اشتداد المزاحمة بين البندقية وجنوى حال دون الحصول على المعونة المنشودة. وفي السابع والعشرين من ايار السنة ١٤٠٠ أصدر البابا بونيفاسيوس التاسع نداءً حاراً الى جميع المؤمنين يحضهم فيه على تأييد عمانوئيل في نضاله ضد الاتراك واعداءً بالغفرانات لمن يحمل الصليب في هذا السبيل كما لو كان يناضل في الاراضي المقدسة نفسها. وتابع عمانوئيل سيره فوصل باريس في الثالث

Ostrogorski, G., *Gesch. d. Byz. St.*, 397-398.

Marinescu, E., *Manuel II Paléologue, Bullet. Acad. Roum.*, 1924, 194 ff.

من حزيران سنة ١٤٠٠ فاحتفى به كارلوس السادس وأصغى اليه اصغاءً شديداً ولكنه بعد ان اشار الى النضال القائم بينه وبين هنريكوس الرابع ملك الانكليز اكنفى بتقديم الف ومئتي جندي وضعهم تحت قيادة بوميكو وتعهد بنفقاتهم لسنة كاملة . وعبر عمانوئيل بحر المانش وزار هنريكوس الرابع في لندن فقبول بالترحاب الشديد ولم يحظَ بآية معونة عسكرية . وعاد عمانوئيل الى باريس وأقام فيها حتى خريف السنة ١٤٠٢ ولكن دون جدوى^١ .

وهب بايزيد في اثناء هذا يطالب بخضوع يوحنا السابع وبتسليم العاصمة ، ولكن يوحنا أبى . فاستشاط بايزيد غيظاً وأقسم « بالله وبرسوله » انه لن يبقي رجلاً واحداً حياً في القسطنطينية . ولكن يوحنا أصرَّ على الرفض . فشدد بايزيد اعمال الحصار ثم فوجيء بتيemor .

تيمورلنك وبازيد : (١٤٠٢) وكان الامراء الاتراك الذين استولى بايزيد على اماراتهم في آسية الصغرى قد لجأوا الى حمى تيمور . وكان بايزيد قد تعرض لصاحب ارزنجان الارمني ، فغضب تيمور لكرامته لانه اعتبر صاحب ارزنجان تابعه له . فقام الى آسية الصغرى في السنة ١٤٠٠ واحتل سيواس واعمل السيف في رقاب حاميتها التركية العثمانية وقتل ارطغرل اكبر ابناء بايزيد . ثم ولّى وجهه شطر الجنوب فاكتسح كل من جروء على الصمود في وجهه واستولى على عينتاب وبغداد وحلب ودمشق وما بينها جميعاً . وفي مطلع السنة ١٤٠٢ ارسل الى بايزيد يأمره باعادة كل المدن والاراضي التي استولى عليها الى الروم . وكتب الى الجنويين في غلطة ان يعاونوه ليقضي على بايزيد ودولته . فأبى بايزيد

Schlumberger, G., Un Emp. de Byz. à Paris et à Londres, Byz. et les Croisades, 1927, 87-147 ; Jugie, M., Voyage de l'Emp. Manuel en Occident, Echos d'Orient, 1912, 322-332.

وأجاب جواباً قاسياً . فقام تيمور من سيواس الى انقره . فوجد في شمالها الشرقي جيوش بايزيد وعددها مئة وعشرون ألفاً بينها عشرة آلاف محارب مسيحي بقيادة اسطفان لازاروفيتش . وفي صباح الثامن والعشرين من تموز بدأت المعركة . فهجم فرسان الصرب على جند المغول وشدوا عليهم ولكن بايزيد أمر بتراجعهم خشية التطويق . وتقدم المغول حتى بلغوا الصفوف العثمانية . فألقى السلاجقة المحاربون في صفوف بايزيد سلاحهم ولاذوا بالفرار رافضين القتال ضد امراءهم السابقين . وثبت بايزيد وحرصه الانكشاري حتى المساء . ثم لاذ بالفرار تحت جناح الليل ولكنه أمر هو وابنه موسى وعدد من القادة . وفزع ابناه الآخرون محمد وعيسى الى القرمان . وحاول بايزيد الهرب فشدت تيمور عليه الحصار وحمله معه في قفص من حديد ! ثم توفي بايزيد في الاسر في الثامن من آذار سنة ١٤٠٣ فسمح تيمور بدفنه في بروسة . وأعاد تيمور الامراء السلاجقة الى اماراتهم وأبقى تراقية وما يليها في يد سليمان ابن بايزيد ، فحكمها باسم تيمور . وبعد ان نهب تيمور جميع آسية الصغرى قام الى الشرق البعيد ليحارب الصين . وتوفي في التاسع عشر من شباط سنة ١٤٠٥ في أطرار . فزالت دولته بزواله .

اثر انهزام الاتراك : وتنازع ابناء بايزيد الملك ، وكان محمد أشدهم بأساً واكثرهم نشاطاً . وكان قد فرّ من انقره واعتصم في جبال اماسية وطوقات وكتب منها الى اخيه عيسى مقترحاً تقسيم آسية الصغرى بينهما (١٤٠٣) . وكان عيسى قد احتل مدينة بروسة فرفض ما اقترحه محمد . فتقاتل الاخوات فهزم محمد اخاه ، فلاد عيسى بالفرار الى القسطنطينية .

Alexandrescu - Dersca, M., Campagne de Timur en Anatolie, (1942); ١
Grousset, R., Empire des Steppes, 476-534.

فأمدّه اخوه سليمان بالجند فقام الى محاربة محمد مرة ثانية فمضى بالحربة ولقي حتفه في القرمات . فعبر سليمان الدردنيل (١٤٠٤) وأخرج محمداً من بروسة . فهاجم موسى ممتلكات سليمان في اوروبه ، فهزم سليمان اخاه موسى عند القرن الذهبي . ولكن بطانته خانتته فقتله بعض الفلاحين في السنة ١٤١٠ . وأبى موسى ان يعترف لمحمد بالسيادة .

وفي مطلع السنة ١٤٠٣ عاد عمانوئيل الثاني الى القسطنطينية ، فعلم بما حلّ ببايزيد فعادت انفاسه اليه . ولكنه لم يتمكن من استغلال الموقف استغلالاً يعيد نشاطه اليه نظراً لما كان قد حلّ بدولته من ضعف وهوان . وأراد سليمان ابن بايزيد ان يعزز مركزه بالتحالف فعقد معاهدة مع كل من الجنويين والبنادقة في السنة ١٤٠٣ . وفي السنة ١٤٠٥ أعاد الى عمانوئيل ساحل البحر الاسود وساحل بحر مرمره وثيرسالونيكية والمورة وأرسل اخاه واخته رهينين الى القسطنطينية لقاء تعاون عمانوئيل معه ورضائه عنه . وحارب موسى اخاه سليمان عند القرن الذهبي فخسر الموقعة ففرّ الى الفلاخ ثم عاد الى قتال سليمان وعمانوئيل ، فانفرط عقد سليمان ففرّ الى القسطنطينية فقتل قبل وصوله اليها (١٤١٠) . وحاول موسى ان يستعيد ما قدمه سليمان الى عمانوئيل ، فحاصر ثيسالونيكية واستولى عليها ، ثم زحف على القسطنطينية نفسها . فاستعان عمانوئيل بمحمد ، فعبر هذا الى اوروبه وتعاون مع اسطفان لازاروفيتش ديسبوتس الصرب ، فتغلبا على موسى بالقرب من جامورلو في العاشر من تموز سنة ١٤١٣ ولعله قتل خنقاً في معسكر اخيه محمد . وعاد محمد الى آسية الصغرى تواكبته قوة رومية . فأعلن نفسه سلطاناً على العثمانيين (١٤١٣) وجدد تحالفه مع

« والده » عمانوئيل واعترف بسلطته على ساحلي الاسود ومرمرة وعلى نيسالونيكية وثيرسالية^١. اما البشناق والصرب والبلغار فانهم استعادوا حريتهم . وحفظ محمد الاول عهده هذا وحافظ عليه طوال سني حكمه .

عمانوئيل الثاني والمورة : وانتهز عمانوئيل هذه الفرصة فرصة الوثام بينه وبين محمد فقام الى نيسالونيكية وأقام فيها مدة من الزمن . ثم برحها في ربيع السنة ١٤١٥ فزار ابنه ثيودوروس الثاني ديسبوتس المورة . وتفقد شؤون الرعية في المورة ووطد سلطته فيها وانشأ عند برزخ كورنثوس خطاً دفاعياً هاماً امتد ستة اميال كاملة . ومن هنا اسمه اليوناني Hexamilion وحصنه بالابراج وانشأ ما قارب المئة والחסين برجاً^٢ . وأصغى عمانوئيل في اثناء اقامته في المورة لبرنامج فيلسوفها غيمستوس بليثون Gemistus Plethon . وكان هذا الفيلسوف المتأخر شديد الاعجاب بجمهورية افلاطون فاقترح الغاء الملكية العقارية الخاصة وتبسيط الضرائب وانشاء جيش وطني يحل محل الجنود المرتقة . وكتب في هذا كله رسالتين وجههما الى الفيلسوف عمانوئيل الثاني^٣ . وأبقى عمانوئيل بكره يوحنا الثامن في المورة ليعاون اخاه في تنظيم ادارتها وتوطيد السلطة فيها وعاد هو الى القسطنطينية في اذار السنة ١٤١٦ .

عمانوئيل الثاني ومواد الثاني : وبوفاة محمد الاول انتهت فترة الاستراحة وعاد ابن محمد وخلفه مراد الثاني (١٤٢١ - ١٤٥١) الى حلم اجداده اي الى محاولة الاستيلاء على القسطنطينية والقضاء على ما تبقى من دولة الروم . وأظهر مراد الثاني شيئاً من حسن النية لدى وصوله الى

Diehl, C., Europe Orientale, 354 ; Doukas, Chronog, 97.

Zakythinos, D. A., Despotat, 175 ff.

Tozer, H. F., A Byzantine Reformer, Jour. Hell. Studies, VII, 353 ff.

العرش فاقترح على عمانوئيل تجديد المعاهدة التي وقعها والده من قبله ، وقد سبقت الاشارة اليها . ولكن عمانوئيل طلب الى السلطان الجديد ان يبقي ابنه رهينة في القسطنطينية ، فأبى . وفي التاسع عشر من كانون الثاني سنة ١٤٢١ اعلن يوحنا الثامن فيلسفياً وشريكاً لوالده في الحكم . فأطلق سراح مصطفى ابن بايزيد المطالب بالعرش العثماني كما حرر جنيداً الوزير السابق الثائر . فاضطر مراد الثاني الى ان يحارب مصطفى فتلاقيا في ميدان لوباذيون Lopadion فخسر مصطفى المعركة وفرّ هارباً ، فألقي القبض عليه وأعدم في ادرنة في مطلع العام ١٤٢٢ . وحاول عمانوئيل التقرب من مراد ولكن دون جدوى . وقام مراد الثاني بخمسين الف جندي الى القسطنطينية وضرب عليها الحصار ، واستعان بعدد من المدافع القديمة الطراز . ثم اضطر الى ان يرفع هذا الحصار لمجاهة ثورة هامة اذكاهها عمانوئيل في بروسة ونيقية والقرمان . وكانت زعيم هذه الثورة مصطفى اخا مراد . وقدّر لمراد ان يخدم نار هذه الفتنة بسرعة فعاد الى اوروبة يزعج خصمه الفيلسفس في المورة . فانه أنفذ اليها قوة في السنة ١٤٢٣ فدكت حصون عمانوئيل عند برزخ كورنثوس واستولت على ميسترة وغيرها من القلاع . وقام مراد الثاني بنفسه الى البانية والبشناق وفرض اتاوة على هوسبودار الفلاخ .

يوحنا الثامن في الغروب : (١٤٢٣) وفي هذه السنة نفسها قام يوحنا الثامن الى اوروبة يستنهض الهمم . فزار البندقية وميلانو والمجر . وأحب البابا مرتينوس الخامس ان ينتهز هذه الفرصة لتوحيد الكنيستين ، فارتأى ان يصار الى انعقاد مجمع في ايطالية ، وارسل الكردينال سانتانجلو Sant'Angelo الى القسطنطينية لهذه الغاية . ولكن عمانوئيل الثاني أجاب بانه لا يمكن تحقيق الاتحاد المنشود دون مجمع مسكوني يعقد خصيصاً لهذه الغاية . ومما جاء في بعض المراجع الاولية ان عمانوئيل اوصى قبيل

وفاته « الا يُنظر الى الاتحاد الا كوسيلة لصد الاتراك وان يصار الى المطالبة بعقد مجمع مسكوني وان يماطل في ذلك بقصد كسب الوقت وانه لا يمكن التوفيق بين عجرة اللاتين وعناد الروم » .

وفاة عمانوئيل الثاني : (١٤٢٥) وصالح عمانوئيل مراداً الثاني على ان يدفع اثاره سنوية قدرها ثلاث مئة الف آسبر وان يدخل في طاعة السلطان . ومقابل هذا يسمح له بالاحتفاظ بالموارة وبزمبوية وذر كوس ويعيد جميع مدن مقدونية والبونتوس الى العثمانيين . ووقعت معاهدة بهذا المعنى في الثاني والعشرين من شباط سنة ١٤٢٤ .

وكان عمانوئيل قد تنحى عن العمل منذ ان تزوج ابنه يوحنا الثامن . ثم لبس اسكيم الرهبنة وانعزل في دير « الكلي القدرة » Pantocrator باسم الراهب متى . ثم توفي في الحادي والعشرين من تموز سنة ١٤٢٥ وكان في السابعة والسبعين من عمره .

الفصل السابع والثلاثون

علوم الروم وثقافتهم في دورهم الاخير

(١٢٦١ - ١٤٥٣)

وعلى الرغم مما حلَّ بالروم من ضعف ووهن في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ظلت عاصمتهم مركزاً للثقافة العالية ومحجاً رائعاً للفن . وبقيت مدارسها زاهية زاهرة يؤمها الطلاب من البلقان والجزر وبرّ الاناضول وايطالية ايضاً . وتتميز هذه الفترة من تاريخ الفكر والثقافة عند الروم برودة الى الادب اليوناني القديم وبتعلق عجيب به . فاننا نرى الاسماء الكلاسيكية القديمة : اسماء بريكليس وثيرموستكوليس وايبامينونداس وغيرهم من ابطال اليونان الاقدمين تفاجئنا بعودتها الى افواه الروم . ونرى بليثون يقترح اصلاحاً قومياً يونانياً ، كما نرى بيساريون يذكر قسطنطين الحادي عشر ببطولة الاسبارطين القدماء وبامكانية الانتكال على أحفادهم لتحرير البلقان وآسية الصغرى . ونرى الوجهاء في العاصمة يرجون الفسيفس ان يلقب نفسه بـ « ملك اليونان » ليشعر هؤلاء بالواجب الوطني فيعيدوا ايجاد الاجدادا .

دور الملوك والامراء : واندفع افراد الاسرتين المالكيتين في هذه الحقبة في سبيل العلم والادب . ولم يكتفوا بالعطف والتشجيع بل اشتركوا

اشتراكاً فعلياً في الانتاج . فصنّف عمانوئيل الثاني في انبثاق الروح وفي الدفاع عن المسيحية ضد الاسلام وفي واجبات الحاكم العادل . ودوّن يوحنا السادس ذكرياته الشهيرة عما جرى بين السنة ١٣٢٠ والسنة ١٣٥٦ فاتحف العالم بافضل ما صنّف في التاريخ في عهد الروم . وكتب في الدفاع عن النصرانية ضد اليهود ضد المسلمين^١ . وقام متى قانتاقوزينوس يكتب في الرغبة في العلم وفي قوى النفس الثلاث^٢ .

التأريخ : وعني جاورجيوس باخيميريس Pachimeres (١٢٤٢ - ١٣١٠) بتاريخ الفترة بين السنة ١٢٦١ والسنة ١٣٠٨ فصنّف ثلاثة عشر كتاباً حفظ بها الشيء الكثير من محتويات المفاوضات الرسمية ونقل الينا حرارة المشادة حول اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية ، كما دوّن اخبار الهجوم التركي ومغامرات الحملة القطلونية الاسبانية . وهو والحالة هذه مرجعنا الاكبر لتاريخ الروم في عهد ميخائيل الثامن واندورنيكوس الثاني^٣ . ولمع في النصف الاول من القرن الرابع عشر نيقيفوروس غريغوراس Grégoras ، فانه بعد ان اتقن اللغة اليونانية الكلاسيكية وبرع في اللاهوت والفلسفة والتاريخ والفلك انخرط في عداد المجاهدين ضد تعاليم برلام الراهب ، ثم مال الى اتحاد الكنيستين فلقى عذاباً أليماً . ومن أجل آثاره فائدة مصنفه في تاريخ الروم ويقع في سبعة وثلاثين كتاباً ، وفيه اجمال واختصار قبل السنة ١٢٠٤ وتفصيل وتوسع في ما جرى بين السنة ١٢٠٤ والسنة ١٣٥٩ . وله ايضاً مراسلات ومكاتبات تلقي ضوءاً قوياً في بعض الاحيان على تاريخ عصره^٤ .

Parisot, V, Cantacuzene; Iorga N., Médaillons, Byzantion, 1925, 292 293. ١

Krumbacher, K., Gesch. d. Byz. Litt., 136, 489. ٢

Krumbacher, K., op. cit., 288-291; Laurent, V., Manuscrits de Georges ٣

Pachymères, Byzantion, 1929-1930, 129-205, 1936, 43-57.

Laurent, V., Nicéphore Grégoras, Dict. Théol. Cath., col. 451-467; ٤

Guilland, R., Essai sur Nic. Grégoras.

ودون جاورجيوس فرانجيس Phrantzes تاريخين : الاصغر والاكبر .
فشمّل الاصغر حوادث السنوات ١٤١٣ - ١٤٧٣ . اما الاكبر فانه ضم
اخبار الفترة ما بين السنة ١٢٥٨ والسنة ١٤٧٨ . ورافق فرنجيس عمانوئيل
الثاني بضع سنوات ، ثم رحل الى المورة في خدمة الامير توما والامير
قسطنطين الذي اصبح فيما بعد قسطنطين الحادي عشر . وشاهد حصار
القسطنطينية بام عينه . وذبح الاتراك اولاده الذكور وسبوا ابنته فقضت
حياتها في الحرّم السلطاني . وأسر فرنجيس ثم افتدي فأقام في ميسترة حتى
سقوطها في يد الاتراك . ثم رحل عنها الى جزيرة كورفو وتقبل النذر
باسم غريغوريوس ودون تاريخه فيها .

وقضى دوكاس Doukas معظم حياته في خدمة حاكم جزيرة لسبوس
الجنوي فدون اخبار السنوات ١٣٤١ - ١٤٦٢ باللغة اليونانية المحكية
آتئذٍ وأظهر اعتدالاً في القول وعدلاً في الرواية جعلاه مرجعاً هاماً
لكل من أحب الاطلاع على الحتمية . ونُقل تاريخ دوكاس الى الايطالية
وحفظ بها . فان بعض ما نجده مختصراً في الاصل اليوناني نقرأه مفصلاً
في الترجمة الايطالية^٢ .

ولنا في صاحب « القلم الرنان » Chalcocandyles مثال ناطق لانصاف
العدو . ولد لا يونيكوس خالقونديليس Laonikos Chalcondyles في آثينة
وعني بتاريخ ألد اعداء شعبه وهم الاتراك العثمانيون فدون تاريخهم منذ
السنة ١٢٩٨ حتى السنة ١٤٦٣ وذلك في كتب عشرة وفي جزيرة اقريطش .
وحذا حدو ثوقيديزس فجعل ابطال روايته ينطقون بما اراده هو لهم .

Krumbacher, K., op. cit., 307-309 ; Faller-Papadopoulos, J. B., Phran- ١
tzes, Bull. Inst. Arch. Bulgare, 1935, 177-189.

Krumbacher, K., op. cit., 306-307 ; Diehl, C., Europe Orientale, 403-404. ٢

وقلّد هيرودوتس فوصف عادات الشعوب المجاورة وتقاليدهم^١.
وخرج في هذه الحقبة عدد من المؤرخين على التقاليد المتبعة في التاريخ عند
الروم فصفوا في مواضيع خاصة . فكتب اليكسيس مكرمبوليتيس
Macrembolites في حرب السنة ١٣٤٨ بين الروم والجنوبيين . وصنّف
يوحنا كنانوس Cananos في حصار القسطنطينية سنة ١٤٢٢ . وألّف يوحنا
انغوستيس Anagnostes في استيلاء الاتراك على ثيسالونيكية سنة ١٤٣٠ .
ولع سيليفستروس سيروبولوس Syropoulos بعدالته في تدوين اخبار مجمع
فلورنزة^٢.

اللاهوت : وقضت ظروف الروم في هذا الدور الاخير من تاريخهم
بان يلجأوا الى الغرب في طلب المعونة ضد الطامعين في ملكهم من
رجال الغرب وضد الاتراك العثمانيين ورأوا ان لا مفرّاً من استرضاء
رومة واستعطافها لكثرة تدخل احبارها في السياسة وانغماسهم فيها . فكانت
محاولات ومحاولات لتوحيد الكنيستين الشقيقتين الكاثوليكية الغربية
والارثوذكسية الشرقية . وأثار هذا الموضوع عناية رجال الدين في الشرق
فصنفوا فيه واختلفوا فيما بينهم .

وكان اكثر رجال الدين استعداداً لغض النظر عن قرارات المجامع
المسكونية السبعة الاولى لارضاء احبار رومة في هذا الدور واستدرار
مساعدتهم في السياسة والحرب يوحنا فقس او بكوس Veccos . وكان
هذا الاكثريكي من أقدر أهل زمانه علماً وثقافة وحيجة وفصاحة . وبدأ
ارثوذكسياً متمسكاً بقرارات المجامع الاولى محارباً النزول عند مطالب
الغرب فاضطهده الفيلسوف ميخائيل الثامن وجبسه . ثم قال باتحاد الكنيستين

Miller, W., *The Last Athenian Historian, Journ. of Hell. Studies*, 36-49. ١

Krumbacher, K., *op. cit.*, 300-301, 121-122. ٢

فرقي السدة البطريركية المسكونية في عهد ميخائيل الثامن (يوحنا الحادي عشر) وظل يدير شؤونها حتى ايام اندرونيكوس الثاني. فأُنزل به هذا عقاباً صارماً لانه قال بالاتحاد. وأشهر ما صنّف فُقُس كتابه «الاتحاد والسلم بين الكنيستين: كنيسة رومة القديمة وكنيسة رومة الجديدة»^١. وحذا حذو فُقُس ديمتريوس قيذونس Cydones الذي عمّر طويلاً (١٣١٠ - ١٤١٠) فتعلم اللاتينية في رومة وقال باتحاد الكنيستين بشروط رومة وصنّف كثيراً. وأشهر ما فعل في حقل اللاهوت انه نقل الى اليونانية مصنّف توما الاكوييني Summa Theologiae. وأجلّ ما دوّن لنا مراسلاته مع عمانوئيل الثاني ويوحنا كنتاكوزينوس وغيرهما^٢. وبين هؤلاء الذين قالوا باتحاد الكنيستين الانسيّ الشهير بيساريون Bessarion. ولد في طرابزون حوالى السنة ١٣٩٥ وأمّ القسطنطينية لمتابعة دروسه ثم انهاها في ميسترة في المورة على يد بليثون الفيلسوف. ورافق يوحنا الثامن الى مجمع فلورنزة وخرج عن ارتوذكسيته وأصبح كرديناً^٣. وأشهر ما كتب في اتحاد الكنيستين رده على مرقس رئيس اساقفة افسس ودفاعه عن فُقُس ضد هجمات بلاماس^٣. وسنعود اليه في الكلام عن اليقظة في ايطالية.

وأشدّ الارثوذكسين تمسكاً بقرارات المجامع المسكونية واقواهم شكيمه مرقس افجنيكوس Eugenicos رئيس اساقفة افسس. فانه حضر

^١ Pachymeres, G., *De Michaelae Palaeologo* V, 24; Bonn, I, 403; Gregoras, N., *Historia*, Bonn, I, 128-129; Grummel, V., *Jean Beccos, Echos d'Orient*, 1925, 26.32.

^٢ Laurent, V., *Correspondance de Demetrius Cydones*, *Echos d'Orient*, 1931, 339-354, 1937, 271-287, 474-487, 1938, 107-124.

^٣ Vast, H., *Le Cardinal Bessarion*; Bréhier, L., *Bessarion, Dict. Hist. Geog. Eccles.*

مجمع فلورنزة وأبي ان يوقع مقرراته . ثم عاد الى القسطنطينية ينادي بالحفاظة على العقيدة وعلى تنظيم الكنيسة كما أقرتهما المجمع المسكونية السبعة . وأشهر ما صنّف كتابه في تنفيذ العقيدة اللاتينية . وأجلّ ما خلّفه لنا مراسلاته^١.

وأوسعهم اطلاعاً واقواهم حجةً وأعلمهم البطريركان المسكونيان غريغوريوس القبرصي وجناديوس الفيلسوف . تولى الاول السدة البطريركية المسكونية في عهد اندرونيكوس الثاني في السنة ١٢٨٩ فجادل فقسّس ، وصنّف في « الايمان » وفي « الانبثاق » . وكان خطيباً مفوّهاً وكاتباً كبيراً ، فألّف في اللغة والادب ، وخلّف رسائل كثيرة هي من اكثر مراجع المؤرخ فائدة^٢ . واما الثاني جناديوس سכולاريوس Scholarios اول بطريرك مسكوني في عهد الاتراك العثمانيين فانه اشتهر في حقلي اللاهوت والفلسفة . واشترك في اعمال مجمع فلورنزة وأظهر ميلاً نحو الاتحاد ولكنه اصبح فيما بعد من أشهر خصومه . فكتب عدداً كبيراً من الرسائل في موضوع الاتحاد والانشقاق . وجادل بليثون الفيلسوف حول ارسطو وافلاطون فأيد الاول تأييداً كبيراً . وخير ما خلّف لنا كتابه « المرثي » وقد ضمنه معلومات مفيدة جداً لتاريخ الكنيسة الارثوذكسية في اول عهد الاتراك العثمانيين في القسطنطينية^٣ .
وقضى اهتمام الرهبان ورجال الفكر الديني في هذا الدور الاخير

Petit, L., Marc Eugenicos, *Dict. Théol. Cath.*, 1968-1986 ; Grummel, V., ١
Marc d'Ephèse, *Estudis Franciscanes*, 1925, 425-448.

Cayré, F., Georges de Chypre, *Dict. Théol. Cath.*, 1231-1235 ; Lameere, ٢
W., *Tradition Manuscrite de la Corresp. de Grégoire de Chypre*, (1281-
1289), Bruxelles - Rome, 1937.

Petit, L., *Oeuvres Complètes de Genade Scholarios* ; Jugie, M., Schola- ٣
rios, G., *Dict. Théol. Cath.*, 1521-1570.

بالزهد والتصوف وبالتأمل « والصمت » الى التأليف . فكتب غريغوريوس
بلاماس المدافع الاكبر عن حركة الصمت سبعين عظة لا تزال غير منشورة
كما خلف رسائل عديدة مفيدة . وصنف البطريك فيلوثاوس مؤلفاً
هاماً فند فيه آراء نيقيفوروس غريغوراس ، كما صنف نيقولاووس
قباسيلاس متروبوليت ثيسالونيكية رسالة هامة في الطقس البيزنطي^١ .
الفلسفة والبيانات وفقه اللغة : ولم ينقطع الروم عن ارسطو طوال
عهودهم . واستمر اهتمامهم بافلاطون منذ القرن الحادي عشر حتى آخر
ايامهم . فكل من ميخائيل بسلوس في القرن الحادي عشر ويوحنا
ايطالوس في القرن الثاني عشر ونيقيفوروس البلميدي كرّس نفسه للفلسفة
وعكف عليها . وأحب بسلوس افلاطون ، ودعا له ، ولكن الآخريين عشقا
ارسطو وأيدا قوله .

وأبصر النور في ميسترة (المورة) في منتصف القرن الرابع عشر
جاورجوس غمستوس Gemistus ودرس في القسطنطينية . ثم عاد الى
ميسترة ليقضي حياة طويلة ناهزت المئة . وعني بالفكر الكلاسيكي وتعشقه
فاستبدل كنيته بما قابلها في اللغة اليونانية القديمة فدعا نفسه بليثون Plethon .
ومعنى اللفظين واحد : « الملائن » . وامتلاً بليثون أنسنة وتعشق افلاطون
عن طريق الافلاطونية الجديدة فقدمه الى الروم واللاتين معاً ، وروج
لفكرة انشاء اكااديمية افلاطونية في فلورنزة . ووافق على ذلك كوزيمو
مديتشي وغيره من عشاق الأنسنة في ايطالية . ومال بليثون ايضاً الى
احياء الآلهة اليونانية القديمة بانشاء دين افلاطوني جديد . وصنف في
المفاضلة بين افلاطون وارسطو كما كتب في النواميس . وتوفي في ميسترة
في السنة ١٤٥٠ . وفي السنة ١٤٦٥ استولى على اسبارطة قائد ايطالي من

Diehl, C., Europe Orientale, 408-409.

أسرة ملاطيسية فنقل رفات بليثون الى ريميني في ايطالية وواراه التراب في
كنيسة القديس فرنسيس^١.

وعني رجال الفصاحة والبلاغة والخطابة بالفلسفة كالعادة . وأشهرهم في
هذا الدور نيقيفوروس خومنوس Chumnos تلميذ غريغوريوس القبرصي
فانه خلّف عدداً من الرسائل في اللاهوت والفلسفة والبيان وما لا يقل
عن مئة واثنين وسبعين رسالة . وقد يختلف البعض في تقدير اهمية
نتاجه الفكري ولكن حبه للقديم القديم وعودته اليه واندفاعه في سبيله
بشّرت بالأنسنة في ايطالية وبيقظة الغرب^٢.

ويشكو علماء اللغة اليونانية الكلاسيكية اليوم زملاءهم في هذا الدور
الذي نحن بصدهه في ان هؤلاء اتخذوا لانفسهم الحق في تعديل بعض
النصوص القديمة فخرجوا في ذلك عن امانة سلفائهم في ازمنة الروم .
وعلى الرغم من ان الامانة هي الاصل في مثل هذه المواقف فاننا نرى
في خروجهم محاولة للتحرر ومظهراً من مظاهر الابتكار .

وأشهر علماء اللغة في هذا الدور مكسيموس بلانوذس Planudes معاصر
ميخائيل الثامن واندرونيكوس الثاني وسفير هذا ومثله في البندقية . وأهم
ما خلّفه رسائل في غراماطيق اللغة اليونانية ، ومختارات تاريخية وجغرافية
مأخوذة من كتب الاقدمين . وأجاد بلانوذس اللغة اللاتينية فنقل الى
اليونانية بعض مخرّفات الغرب اللاتيني امثال اوغوسطينوس وتوما الاكوييني
وكاتون الاكبر وقيصر وشيشرون . ويستدل من عدد النسخ الباقية من
هذه الترجمات ان طلاب اليونانية في الغرب جعلوها اساساً لتعلم اليونانية^٣.

Tozer, H., A Byzantine Reformer, Journ. Hell. Studies, 1886, 353-380 ; ١

Stephanou, E., Plethon, Dict. Théol. Cath. 2393-2404.

Gaillard, R., Correspondance, 317-324. ٢

Wendel, C., Real - Encyclopadie, XX, (1950), 2202-2253 ٣

وقام بعد بلانوذس تلميذه وصديقه عمانوئيل موسكوبولوس Moschopoulos يؤدي رسالة استاذة في تدريس اللغة اليونانية وجعلها في متناول الغربيين المقبلين عليها . فكان معجبه اليوناني اللاتيني ومؤلفه في غراماطيق اللغة اليونانية لمدة طويلة الكتابين الاساسيين لتعلم اليونانية في ايطالية وغيرها من بلدان الغرب^١.

ثيودوروس ميتوخيتس : ولع في النصف الاول من القرن الرابع عشر عالم آخر اشتهر بسعة اطلاعه وبتعلقه بالانسنه الكلاسيكية هو ثيودوروس ميتوخيتس Metochites وزير اندرونيكوس الثاني ومدبر اموره . جمع هذا الرجل الفذ بين السياسة والعلم « فكان يقضي نهاره في ادارة امور الدولة ولا هم له سوى تديرها والنجاح فيها . ثم يسهر ليله منقباً باحثاً كأنه لم يكن ذلك السياسي المسؤول^٢ . وكان شديد الاعجاب بارسطو وافلاطون وبلوتارخوس ، كثير الانتباه الى آرائهم في السياسة . ولكنه لم يفاضل بين الديموقراطية والاستقرائية بل نهج نهجاً خاصاً في الفلسفة السياسية فقال بملكية دستورية مقيدة وذلك في عصر كان فيه الفيلسوف والكنيسة والشعب يقولون بالحق الالهي في الملك^٣ . ثم جاءت الثورة فأنزلت اندرونيكوس الثاني عن العرش فخرس ثيودوروس نفوذه وماله وبيته وزج به في السجن . فألم به مرض عضال فسمح له ان يقضي ايامه في دير خورة الذي كان قد أنفق عليه بسخاء وزينه بمكتبة فاخرة . ولا يزال هذا الدير الذي أصبح فيما بعد جامع القاهرية يحفظ بالفسيفساء رسم ثيودوروس مرتدياً لباس الشرف حاملاً نموذجاً مصغراً للكنيسة في يده .

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 701-702.

١

Grégoras, N., *Hist.*, Bonn, I, 272-273.

٢

Diehl, C., *Etudes*, 401 ; Guiland, R., *Coresp. Nicéph. Grégoras*, 361.

٣

وتوفي ثيودوروس في السنة ١٣٣٢.^١
 وأشهر مؤلفات ثيودوروس « كشكوله^٢ » وقد ضمنه خلاصة اطلاعاته
 على سبعين مؤلفاً من مؤلفات القدماء. وأشهر هؤلاء مصنفات سينيوسوس،
 وهي أشبه بموسوعة عامة منها باي شيء آخر، وفيها آراؤه في كثير من
 المواضيع الفلسفية والتاريخية. ونظم ثيودوروس في مواضيع متعددة،
 وأشهر شعره ملحمة في تاريخ حياته، وقد جاءت في ١٣٣٥ بيتاً^٣،
 ووصفه الشعري لدير خورة. وخطف ثيودوروس بعض الرسائل
 أيضاً.^٤

ديمترئوس تريكلينيوس: ولا يجوز اغفال هذا البطل Triklinius الذي
 عني في هذا الدور الأخير بعدد من الكلاسيكيين امثال بيندار واسكيلوس
 وسوفوكليس وافريبيديس وأريستوفانس ففاق جميع معاصريه وسلفائه بدقة
 نظره وسدّة فهمه وامانته.^٥

القانون: وعني بالقانون في القرن الرابع عشر قاضي ثيسالونيكية
 قسطنطين هرمنبولوس Hermenopulus فضنّف « السداسي » Hexabiblos
 في قوانين الحقوق والجزاء، واستمد مادته من البروخيريون والاكلوغية
 والابنغوغ وغيرها من مصنفات القوانين القديمة. وبعد سقوط القسطنطينية
 أصبح هذا « السداسي » مرجع جميع من عني بدرس القانون الرومي
 الروماني في الغرب.^٦

- | | |
|---|---|
| Vasiliev, A. A., <i>Byz. Emp.</i> , 702-703. | ١ |
| « <i>Miscellanea Philosophica et Historica</i> ». | ٢ |
| Treu, M, <i>Diclungen des Gross-Logotheten Theodoros Metochites</i> , 1-54. | ٣ |
| Krumbacher, K., <i>op. cit.</i> , 350-353. | ٤ |
| Krumbacher, K., <i>op. cit.</i> , 354. | ٥ |
| Collinet, P., <i>Byz. Legislation, Com. Med. Hist.</i> , IV, 723 ff. | ٦ |

العلوم والطب : وتابع الروم اهتمامهم القديم في مخلفات اليونان في الرياضيات والفلك ، في مصنفات اقليدس وبطليموس ، واستعانوا في هذا الدور الاخير ببعض مصنفات العرب والفرس . وظل رأيهم في الطب هو المعوّل عليه في الغرب مدة طويلة بعد سقوط عاصمتهم في يد الاتراك . فطلبة الطب في باريس مثلاً واطبوا على تعلم هذا العلم بمصنف بيزنطي حتى القرن السابع عشر^١.

الفن : وتدل الآثار الفنية الباقية على اهتمام شديد بالفن في هذا الدور وعلى تطور وريقي . ويختلف رجال الفن في تحليل هذه الظاهرة . فيرى بعضهم انها اثر من آثار النهضة الفنية في ايطاليا . فيرد عليهم غيرهم بالقول ان فن النهضة الايطالية نفسه متأثر بالفن البيزنطي الاخير . ويرى شيخ رجال الاختصاص في الفن البيزنطي شارل ديل ان هذا التطور الاخير في فن الروم هو مظهر آخر من مظاهر النهضة بينهم التي بدأت في القرن الحادي عشر وسبقت كل شيء من نوعها في الغرب^٢. وليس على الطالب المتيقظ الذي يرغب في تفهم هذا الموضوع الا ان يعود الى مصنف شارل ديل في الفن البيزنطي ليستعين بأراء هذا الاستاذ على ضوء الرسوم والصور التي ألحقها بكتابه هذا .

الروم وعصر اليقظة في ايطالية : ولا يجوز القول مع بعض علماء القرن التاسع عشر بان رجال اليقظة في ايطالية مدينون بنهضتهم هذه للروم الذين لجأوا الى ايطالية بعد سقوط القسطنطينية في يد الاتراك وذلك لسببين رئيسين : اولهما ان اليقظة كانت قد شملت ايطالية بأسرها قبل سقوط القسطنطينية وان بطراركة وبوكاتشيو من اعيان القرن الرابع

Vasiliev, A. A., Byz. Emp., 705-706.

١

Vasiliev, A. A., op. cit., 709-713.

٢

عشر لا الخامس عشر؛ والثاني ان اليقظة في ايطالية كانت في حد ذاتها نتيجة تطور بالغ في حياة الايطاليين قبل ان تكون مجرد اطلاع على مخلفات العصور الكلاسيكية عن طريق الروم او غيرهم .

وجل ما يجوز قوله في هذا الموضوع هو ان الروم عاونوا رجال اليقظة في ايطالية في تعلم اللغة اليونانية في بدء نهضتهم وان اثر الروم الحقيقي في نهضة ايطالية جاء في اواخر القرن الرابع عشر وطوال القرن الخامس عشر بعد ان بدأ التيقظ في ايطالية واشتدت رغبة اهلها في الرجوع الى الفكر الكلاسيكي .

والواقع الذي لا مفر منه هو ان الدور الذي لعبه بلام في ايطالية في النصف الاول من القرن الرابع عشر كان مجرد تعليم اللغة اليونانية لمن رغب في ذلك ، وان دور ليونتيوس بيلاتوس تلميذ بلام الذي توفي في العقد السابع من القرن الرابع عشر كان قد نشر اللغة اليونانية بين عشاق الأنسنة الكلاسيكية في ايطالية .

ثم كان ما كان من أمر رجوع الروم الى تاريخهم القديم واعتزازهم به فلمع في القسطنطينية وفي ميسترة رجال ثلاثة اتقنوا علوم اليونان الاقدمين وتغنوا بأنسنتهم فاشتهروا بذلك في ايطالية نفسها عنيت بهم عمانوئيل خريسولوراس وغميستوس بليثون وبيساريون النيقاوي .

وذاع صيت خريسولوراس بما أوتي من مقدرة في التعليم وفصاحة في الخطابة وعلوم اللسان ، وتعمق في الفلسفة ، فجاءه غارينو Guarino الانسي الايطالي يدرس عليه في القسطنطينية اللغة اليونانية والمؤلفين اليونان . ثم قام خريسولوراس الى ايطالية في مهمة سياسية وكلها اليه الفسيلفس . فرحب به الانسيون الايطاليون ايما ترحيب وتباهوا بذلك . فأقام خريسولوراس عدة سنوات يعلم في جامعة فلورنزة . وأصغى اليه فيها عدد من عشاق الانسنة في ايطالية . ثم عاد خريسولوراس الى القسطنطينية

ليقوم مرة ثانية منها الى اوروبه الغربية في مهمة جديدة، فزار ايطالية وفرنسة وانكلترة واسبانية . وطلب اليه البابا ان يزور المانية ليمهد السبيل لعقد مجمع جديد . فتوفي في كونستانسة في السنة ١٤١٥ .

وجاء دور بليثون الفيلسوف فعرفه الايطاليون وأكرموه وتأثروا به فعظموا افلاطون معه وأنشأوا الاكاديمية الافلاطونية في فلورنزة .

وأشد الروم أثراً في تطوير اليقظة في ايطالية وفي تعزيزها وتقويتها بيساريون النيقاوي . وكان اول عهده باليقظة الايطالية اتصاله بالانسني الايطالي فيلفو Filelfo الذي أمّ القسطنطينية للدرس والتبجر عندما كان بيساريون يدرس فيها . وترهب وأصبح رئيس اساقفة نيقية ورافق الفيلسوف الى مجمع فراري ومال الى توحيد الكنيستين . ثم عاد الى القسطنطينية فلمس لمس اليد معارضة الاكثوية الساحقة للاتحاد الذي نشد ، فعاد الى ايطالية ليصبح احد كرادلة رومة . وما كاد يقيم فيها ويستقر في بيت خاص له حتى أصبح مقره مركز الانسنة . ومما قاله احد اصدقائه الانسني فالاً Valla في شخصه « ان بيساريون هو اقدر اليونانيين بين اللاتين واقدر اللاتين بين اليونانيين » . وأنفق الكردينال اليوناني بسخاء على اقتناء المخطوطات واستنساخها ، فجمع مكتبة عظيمة من مؤلفات الآباء الشرقيين والغربيين ومن كل ما كان له علاقة بالانسنة . وقبيل وفاته وهب هذه المجموعة الكبيرة الى البندقية فكانت نواة المكتبة المرقسية .

ثم سقطت القسطنطينية فرحل عنها عدد كبير من ابناءها الى ايطالية والغرب حاملين ما توافر لديهم من آثار السلف حافظين بعملهم هذا تراثاً كبيراً . وكان بين هذه المخطوطات التي حفظت عدداً من افضل النسخ عن مؤلفات العصر الكلاسيكي^٢ .

Mohler, L., Kardinal Bessarion, 406.

١

Vasiliev, A. A., Byz. Emp., 713-722.

٢

الفصل الثامن والثمانون

يوحنا الثامن وقسطنطين الحادي عشر

(١٤٢٥ - ١٤٥٣)

يوحنا الثامن : (١٤٢٥ - ١٤٤٨) وكانت الدولة قد تضاءلت فلم تعد تشمل سوى القسطنطينية وضواحيها حتى سيلميرية ، ثم بعض الاراضي الضيقة في ساحل البحر ، فجبل آثوس فيثسالونيكية فيلسترة وميزميرية وانخيالوس . وكانت الموارد قد نضبت وقلَّ الخير وكاد ينقطع . ولم يتمكن يوحنا الثامن وخلفه من سك النقود الذهبية فاكتفيا بالفضي منها . واستغل مراد الثاني ضعف الروم فاستولى على مودونة Modon في السنة ١٤٢٥ وخرج منها بألف امير . وفي السنة ١٤٣٠ زحف على ثيسالونيكية وضرب الحصار عليها . وكان اندرونيكوس باليولوغوس قد باعها من البنادقة منذ السنة ١٤٢٣ لقاء خمسين الف زكينة Zechin . وكانت البندقية قد تحاشت الاحتكاك بمراد الثاني ولكنها لم تتمكن فيما يظهر من اقامة حامية قوية في المدينة ، فاستولى عليها السلطان بنفسه (٢٩ ايار سنة ١٤٣٠) وأباح نهبها وذبح من قاومه من أهلها وكانوا

Blanchet, A., Monnaies d'Or des Emp. Byz. Rev. Numismatique, 1910, ١
78 ff.

كثراً. وحوّل جميع كنائسها الى جوامع ما عدا كنيسة القديس
ديمتريوس^١.

وفي هذه الآونة نفسها تمكن قسطنطين باليولوغوس من احتلال بتراس
ومن تصفية أمراء آخية الافرنج. فعاد العنصر اليوناني الى السيطرة في
بلاد اليونان بعد عراك طويل بينه وبين العنصر اللاتيني بدأً في ايام
ميخائيل الثامن^٢.

مجمع فواري: (١٤٣٨ - ١٤٣٩) وعظم على يوحنا الثامن سقوط
ثيسالونيكية في يد الاتراك، وأفزعته تقدم مراد وانتصاره، فهرع يرمم
حصون العاصمة. ولا تزال بعض النقوش اليونانية الباقية تنطق باهتمام
يوحنا بالاسوار والحصون. وهاله تخاصم الجنويين والبنادقة في هذا الطرف
الخرج^٣. وبما زاده اضطرراً وقلقاً انه لم يكن له ولد ذكر يخلفه وان
افراد اسرته المالكة لم يتفقوا على احد منهم. وقضى العرف والقانون بان
يتولى الحكم بعده اخوه الاصغر الديسبوتس ثيودوروس. ولكن
الفيلسوف رأى في اخيه قسطنطين شخصية أقوى وأليق وأجدر. والمؤسف
المؤلم الذي حزّ في صدر يوحنا ان المرشحين الاثنين خطبا ود مراد الثاني
واستعدا لحرب اهلية مرّة (١٤٣٥ - ١٤٣٦)^٤.

وقام في الغرب آتئذٍ من طالب باصلاح الكنيسة رأسها واعضاءها
وبوضع حدٍ لخروج يوحنا هوس واتباعه. فالتأم مجمع مسكوني غربي في
مدينة بازل (١٤٣١ - ١٤٤٨) للنظر في هذين الامرين الهامين. وعلم

Anagnostes, J., Extremo, 481-538.

١

Bréhier, L., Byzance, 486.

٢

Bréhier, L., Byzance, 489.

٣

Phrantzes, J., Chron., II, 12.

٤

الآباء المجتمعون بفوز الاتراك في البلقان وبتعاظم شوكتهم ففاوضوا يوحنا الثامن في كيفية التعاون بين النصارى للصمود المثمر في وجه الاتراك . وتبادل الطرفان الوفود وقام الى بازل وفد ارثوذكسي . وأشهر اعضاء هذا الوفد الاب ازيدوروس الذي اصبح فيما بعد رئيس اساقفة موسكو . ووصل هذا الوفد الى بازل وبات ينتظر البحث في التفاهم والاتحاد بين فرعي الكنيسة الأم الرئيسين . ولكن اساقفة الغرب تشاحنوا كثيراً في تعيين المكان الذي يلتئم فيه مجمع مسكوني جديد ثم اتفقوا على ارجاء البحث في قضية التعاون بين الكنيستين الى ان يكونوا قد حلوا مشكلة يوحنا هوس وأتباعه . فغضب الارثوذكسيون لكرامتهم وظنوا ان اخوانهم الغربيين الكاثوليكين انما ساووا بين الارثوذكسيين « الحقيقين » وبين الهرطقة . وعلمت الاوساط الاكليريكية والشعبية في الشرق بما جرى فهبت عاصفة هوجاء من الاستياء في عاصمة الارثوذكسية^١ .

ولم يرض البابا عن البحث في اصلاح رأس الكنيسة ولم يحضر اجتماعات بازل . ولكنه اهتم لسير الحوادث السياسية في البلقان اهتماماً كبيراً . ففاتح يوحنا الثامن كلاماً مستقلاً في الموضوع نفسه الذي فاوض بشأنه الاساقفة المجتمعون في بازل . وكان يوحنا على ما كان عليه من قلق واضطراب فقبل باقتراح اوجانيوس الرابع (١٤٣١ - ١٤٤٧) واقترح عقد مجمع مسكوني في القسطنطينية . ولكن البابا رأى ان يعقد هذا المجمع في بلد ايطالي وسط بين الشرق والغرب ووعد بدفع نفقات الاعضاء الارثوذكسيين ودعا الى مجمع مسكوني في فرايزي وقبل يوحنا الثامن وتأس الوفد بشخصه وضم اليه أخاه والبطريرك يوسف ومرقس متروبوليت إفسس وبيساريون العالم الاديب والاكليريكي الكبير سيلفستروس

Pierling, L. P., La Russie et le Saint - Siège, I, 11, 12, 15.

الذي أصبح فيما بعد مؤرخ هذا المجمع Sylvestrus Syropoulos وعددًا غير قليل من الاكليروس والشعب . وأوفد امير موسكو ازيدوروس رئيس اساقفة موسكو وعددًا من الاكليروس والشعب^١ .

وعارض الفسيفس في سياسته هذه عددًا غير قليل من وجهاء الروم من رجال الدين والدنيا فأكدوا ليوحنا « ان عمله هذا يؤدي حتماً الى ضياع الارثوذكسية النقية والى عودة اللاتين الى الحكم في الشرق بسابق فظاظتهم وجشعهم^٢ » . وفضل مثال على هذه المعارضة الشديدة ما كتبه يوسف برينوس Bryennius في اوائل هذا القرن الذي نحن بصدده . فانه قال : « ولا ينخدع احد منكم بالرجاء الفارغ بان جيوش الخلفاء الايطاليين سيحيثون لنا ان عاجلاً او آجلاً . وان هم تظاهروا بالدفاع عنا فانهم سيحملون السلاح للقضاء على مدينتنا وجنسنا واسمنا^٣ » .

وعارض البابا في دعوة المجمع المسكوني الى الانعقاد في فراري عددًا من الاساقفة اعضاء المجمع المنعقد في بازل ، وأبوا ان يطيعوا أمره . وظلوا في بازل مجتمعين . ورفعوا سلطته !

وقد جمع يوحنا ، قبل ان يبرح القسطنطينية ، مجلساً من الوجهاء وبسط امامه وجهة نظره مجدداً ، فتجددت المعارضة في شخص جاورجيوس سكولاريوس Scholarios وغيره . وابدى البطريرك يوسف رأيه فاذا به يعارض ايضاً . واضطر يوحنا الى ان يستأذن سيده مراداً الثاني فلم يوافق هذا على خطة الفسيفس . وبعد ان قام الوفد من القسطنطينية أحب مراد ان يقتحم اسوارها ولكنه أصغى الى مشورة وزيره خليل

Vast, H., *Le Cardinal Bessarion*, 43; Bréhier, L., *Byzance*, 491; ١

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.* 672-673.

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.* 672. ٢

Kalogeras, Marcos etc., 70; Norden, W., *Das Papsttum und Byzanz*, 781. ٣

فعدل^١.

ووصل الوفد الارثوذكسي الى البندقية في الثامن من شباط سنة ١٤٣٨ . وفي اوائل آذار التالي وصل الى فراري وبدأت اعمال المجمع . وبحث بادىء ذي بدء في برنامج العمل فألح يوحنا علي ان يبدأ في السياسة والحرب ولكن الاساقفة الغربيين رأوا غير ذلك . وكانوا اكثرية غالبية فبوشر في بحث نقاط الخلاف بين الكنيستين . وطال الجدل ، وقالت الاكثوية بوجود حصر البحث في نقاط اربع : انبثاق الروح القدس ، واستعمال الفطير ، ونوع آلام المطهر ، ورئاسة البابا . وأكد متروبوليت افسس ان القول بالانبثاق من الابن أمر احدثه رومة . وجادله في هذا بين البابا الكردينال يوليانوس قيصريني . ثم انتشر الطاعون في فراري وأصاب بعض أعضاء المجمع فانتقل المجمع الى فلورنزة في العاشر من كانون الثاني سنة ١٤٣٩ . واحتدم الجدل مرة ثانية حول هذه النقاط وامتنع البطريرك وغيره عن موافقة الاساقفة الغربيين وأيد هؤلاء كل التأييد ازيدور رئيس اساقفة موسكو وشد ازره بيساريون العالم . وسم الفيلسوف هذه المشادة وهذا الجدل ومل وكاد يغادر فلورنزة . وتوفي البطريرك قبل الوصول الى نتيجة حاسمة . وظل مرقس رئيس اساقفة افسس متمسكاً بوجهة النظر الارثوذكسية حتى النهاية . وثابر الفيلسوف في تأييد الاساقفة الغربيين . فاتخذت قرارات معينة وأعلن اتحاد الكنيستين في السادس من تموز سنة ١٤٣٩^٢.

ولا تزال فلورنزة حتى يومنا هذا تفاخر بما جرى فيها فتعرض في

Phrantzes, G., Chron. II, 13 ; Bréhier, L., Byzance, 493.

Hofmann, G., Konzilsarbeit in Ferrara, Orient. Christ. Periodica, 1937, 110-140, 403-455, 1938, 157-188, 372-433 ; Jugie, M., Schisme Byzantin, (1941), 264-270.

في احدى دور كتبها Biblioteca Laurenziana نسخة معاصرة عن قرار الاتحاد باللغات اللاتينية واليونانية والصقلية . ولا تزال كنيسة Santa Maria Novella تحتفظ بأثر تذكاري لوفاة البطريرك المسكوني يوسف المشار اليه . ولا يزال الناظر الى مدخل كنيسة القديس بطرس في رومة يشاهد نقوشاً صغيرة تحلّد ذكر ابحار يوحنا الثامن من القسطنطينية ووصوله الى فراري وجلوسه في فلورنزة وعودته من البندقية . اما تمثال يوحنا الثامن الذي لا يزال يعرض في متحف البروبوغندا في رومة فانه في الارجح مزوّر من صنع احد النحاتين الايطاليين في القرن الماضي^١ .

وعاد يوحنا الثامن الى الشرق وعاد الوفد بأكمله . فالتف حول مرقس متروبوليت افسس عدد كبير من المعارضين . ورجع عدد كبير ممن وقع صك الاتحاد عن تواقيعهم . ووقف امير موسكو رئيس الاساقفة ازيدور ولقبه بالذئب بدلاً من الراعي . واجتمع بطاركة الاسكندرية وانطاكية واوروشليم في مجمع محلي في اوروشليم سنة ١٤٤٣ وشجبوا قرارات فلورنزة ووصموها بالدائس^٢ . ويرى بعض العلماء ان أقطاب الكنيسة الارثوذكسية اجتمعوا في السنة ١٤٥٠ في كنيسة الحكمة الالهية في مجمع مسكوني ارثوذكسي فشجبوا الاتحاد ومن قال به . واول من نشر اعمال هذا المجمع لاوون اتاليوس الايطالي وذلك في القرن السابع عشر . ومنذ ذلك الحين وعلماء الكنيسة معسكران فمنهم من يقول بصحة هذه الاعمال ومنهم من ينكر انعقاد هذا المجمع . وأشهر من يؤيد الصحة العالم الالماني درايزكه والعالم الافرنسي براهيه^٣ . وفي

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.* 674.

Allatus, L., *Ecclesiae Occidentalis*, III, (4), 939; Diehl, C., *Europe Orientale*, 363-364.

Draseke, J., *Zum Kircheneinigungsversuch des Jahres 1939*, (*Byz. Zeit.*), 1896, 580; Bréhier, L., *Attempts at Reunion of the Greek and Latin Churches*, *Camb. Med. Hist.*, IV, 624-625.

طلبة الآخرين العالم بابايانو اليوناني ولبيدوف الروسي^١. ويرى العلامة المعاصر فازيليف الروسي انه ليس هنالك دليل كاف يؤيد رجوع قسطنطين الحادي عشر عن الاتحاد. ولكن ليس هنالك اي اختلاف في انه لدى سقوط القسطنطينية في يد الاتراك (١٤٥٣) رقي السدة المسكونية البطريرك جناديوس وان هذا البطريرك الذي كان قد اشترك في اعمال فلورنزة بصفته جاورجيوس سكولاريوس كان قد عاد عن اتحاد الكنيستين^٢.

موقف مراد الثاني: وبرّ البابا اوجانيوس الرابع بوعوده في فلورنزة فحضر جميع ملوك النصارى على انقاذ الروم من الخطر التركي. فلبى هذا النداء الفونزو الخامس ملك ارغونة، ولاديسلاس ملك المجر، ويوحنا هونيادي امير ترانسلفانية، وعدد كبير من الفرسان الالمان والافرنسيين والمجريين والبولونيين. وفي تموز السنة ١٤٤٣ غادر هؤلاء الصليبيون بودا وعبروا الدانوب فرحب بهم الصرب والبلغار واحتلوا صوفيا. وكان مراد الثاني منهمكاً في اخضاع ابراهيم بك امير القرمات. فهرع الى البلقان وحارب الصليبيين في كونوفيتزة Kounovitsa في الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٤٤٣ فكسره هونيادي فيها وأكرهه على المهادنة لمدة عشر سنوات على ان يتنازل عن الصرب ويعطي الفلاخ للمجر^٣. وكان جاورجيوس كستريوته Castriota « اسكندر بك » قد رفع راية الثورة ضد العثمانيين في البانيا وحرر كل ما وقع بين فوروسة وارثة. ونهض قسطنطين باليولوغوس ديسبوتس المورة فرمم خط الدفاع عن برزخ كورنثوس وفرض سلطته على جميع المورة.

Papaioanna, K., So-Called Council of Sophia, Vizantijski Vremennik, ١
II, 394-413; Lebedev, A., Essays on Byz. East. Ch., 294.

Vasiliev, A. A., Byz. Emp. 675.

Iorga, N., Notices, II, 395.

موقعة ورنه : (١٤٤٤) ثم رأى مراد الثاني ان يستريح من عناء الملك فنزل عن العرش لابنه محمد الثاني وكان حديث السن لا يتجاوز الرابعة عشرة . وأقام مراد في مغنيسية في آسية الصغرى يطلب الراحة . فلما رأى الكردينال قيصريني ويوحنا الثامن ذلك حضا لاديسلاس ملك المجر على ان يغتم هذه الفرصة لمتابعة النصر . واعتبر الكردينال العهد التي تعطى لغير المؤمنين غير ملزمة اصحابها . فادعى لاديسلاس ان العثمانيين لم ينفذوا شروط الصلح اذ انهم لم يتخلوا عن جميع الحصون في بلاد الصرب ، فنقض عهده معهم وأمر يوحنا هونيادي بالزحف على الاراضي العثمانية . فتقدم هذا في بلغارية واستولى على كثير من حصونها ووصل الى شاطيء البحر الاسود . وعلم مراد بذلك فرجع الى الملك وسار بجيش الى بلغارية . والتقى لاديسلاس وهونيادي خارج ورنه Varna في التاسع من تشرين الثاني سنة ١٤٤٤ . وأمر بان تحمل بين الاعلام صورة المعاهدة المنقوضة . فأنزل بالصليبيين هزيمة شنعاء « بفضل حمق الملك لاديسلاس الذي لم يكن يتجاوز العشرين من عمره والذي تأكل نفسه الحسد لانتصارات هونيادي فبرح المكان المعين له وصرع في هجوم شنه على الانكشارية » .

مراد وقسطنطين باليولوغوس : ولم يفت هذا في ساعد قسطنطين ديسبوتس المورة فانه حالف ديسبوتس الصرب وقطع برزخ كورنثوس واستولى على بلاد اليونان الوسطى . فقام اليه مراد الثاني في السنة ١٤٤٦ وكسره في ثيبة . ثم دك حصون البرزخ واكتسح المورة وسبى من ابنائها ستين الف رقيق . فدخل قسطنطين في ظاعة السلطان في ربيع السنة ١٤٤٧ .

Diehl, C., *Europe Orientale*, 365-366.

Zakythinos, D. A., *Despotat*, 235 ff.

موقعة قوصوة : (١٤٤٨) وفي خريف السنة ١٤٤٨ عاد مراد الثاني الى القتال في البانية ليخضع اسكندر بك . فهبَّ البابا نيقولاوس الخامس يحضُّ المؤمنين على القتال ولاسيا المجريين والبولونيين . وتزعم هذه الحركة يوحنا هونيادي الوصي على ابن لاديسلاس القاصر . ونجح هونيادي في تنظيم جيش مؤلف من اربعة وعشرين الف مقاتل . وأحسن تنظيمه وتدريبه وتقدم به عبر بلاد الصرب الى ميدان قوصوة حيث التقى مراد الثاني وجيوشه . واستمر القتال يومين كاملين كانت الحرب فيهما سجالاً . وفي اليوم الثالث خان هونيادي الجنود الفلاحيون وعددهم ثمانية آلاف . فانتصر مراد الثاني . وحاول هونيادي ان يشق طريقه عبر الدانوب فوقع في ايدي الصرب الذين كانوا قد امتنعوا عن التعاون معه منذ اعلان الحرب . فاضطر الى ان يعقد صلحاً لم يكن في مصلحته . ولجأ اسكندر بك الى اعالي التلال وتابع الحرب ضد الاتراك وحده حتى السنة ١٤٦٨ .

وفاة يوحنا الثامن : وتوفي الفيلسوف يوحنا الثامن بعد قوصوة باسبوعين في السنة ١٤٤٨ . وكان قد تزوج ثلاثاً : حنة ابنة باسيلوس الاول دوق موسكو ولكنها توفيت بداء الطاعون بعد ثلاث سنوات . ثم تزوج من صوفية مونتفرات الايطالية ، ولكنها كانت قبيحة سمجة فتركته وحده وعادت الى بلادها وتوفيت فيها . فاقتون يوحنا عندئذٍ بمریم كومنينوس من افراد الاسرة المالكة في طرابزون . ولكنه على الرغم من هذا كله لم يرزق ولداً يخلفه في الحكم . ولدى وفاته تدخل مراد الثاني في أمر الخلافة فتزوج قسطنطين باليولوغوس ديسبوتس المورة فيلسفياً في ميسترة في السادس من كانون الثاني سنة ١٤٤٩ .

قسطنطين الحادي عشر : (١٤٤٩ - ١٤٥٣) ودخل قسطنطين الحادي عشر القسطنطينية في الثاني عشر من آذار سنة ١٤٤٩ فاستقبله الشعب

بابتهاج عظيم . وكانت علاقاته مع الاتراك طيبة للغاية فعاهد مراداً الثاني على الولاء في الخامس والعشرين من الشهر نفسه . ولم يعن بالاسوار والحصون ولم يتصل برومة ليثبت لها ان اتحاد الكنيستين كان لا يزال قائماً في نظره . وجدد الهدنة بين الروم والبنادقة . ولم يقلقه في اول عهده سوى طمع اخويه توما وديميتريوس في الحكم في المورة . ففي السنة ١٤٥١ استولى توما على جزء من مقاطعة اركادية التابعة لحكم ديميتريوس ، فاستعان هذا بطره خان حاكم ثيسالية التركي ، فأعاد هذا الى ديميتريوس ما كان قد سلبه اخوه توما . ثم توفي مراد الثاني في الثاني من شباط سنة ١٤٥١ ، فاكفهر جو العلاقات الرومية التركية وعظم الحطب .

محمد الثاني والقسطنطينية : (١٤٥١ - ١٤٥٢) واستهل محمد حكمه بان أمر بقتل اخيه الطفل احمد . وحاول ابراهيم امير القرماني ان يشق عصا الطاعة فقام محمد اليه مقاتلاً فأخضعه . وبينما كان منهمكاً في هذا العمل كان وزيره خليل باشا يفاوض قسطنطين الحادي عشر في مصير الامير اورخان حفيد سليمان العثماني الذي كان لا يزال في القسطنطينية . فطالب قسطنطين بمضاعفة المبلغ الذي كان يدفع الى القسطنطينية لقاء احتفائه باورخان .

وعاد محمد الثاني الى ادرنة فعلم بمطالب قسطنطين الحادي عشر ، فوقع في العاشر من ايلول من هذه السنة نفسها (١٤٥١) معاهدة مع البندقية التي كانت تستعد لحرب ضد جنوى . وفي العشرين من تشرين الثاني تمّ التفاهم بينه وبين يوحنا هونيادي . فتعهد السلطان الجديد بان يمتنع عن تحريض هوسبودار الفلاخ على المجر وعن انشاء الحصون عند الدانوب مقابل سلم وأمان بين الطرفين . وصادق في الوقت نفسه جنوى وراغوسا وفرسان

رودوس^١. وفي تشرين الاول من السنة ١٤٥٢ أنفذ السلطان حاكم
ثيسالية بقوة عسكرية الى المورة ليستولي عليها ويمنع اميرها توما وديميتريوس
من مساعدة قسطنطين الحادي عشر عند الحاجة^٢. وقام في الوقت نفسه
تقريباً بمحاربة اسكندر بك في البانية لان ألفونزو ملك نابولي كان قد
أنزل بعض القوات على شاطئ البانية^٣.

وفي آذار السنة ١٤٥٢ كان محمد قد بدأ بانشاء قلعة بالقرب من
القسطنطينية أطلق عليها اسم روم ايلى حصار ليهدد بها الابجار من مرفأ
القسطنطينية واليه. فقامت هذه القلعة في الساحل الاوروي مقابل كوزل
حصار التي كان بايزيد قد انشأها على الشاطئ الاسيوي. فأرسل قسطنطين
وفدأً يفتح على ذلك. فأمر محمد بهم فقطعت رؤوسهم. وبذلك بدأت
الحرب^٤.

قسطنطين الحادي عشر يستعد: (١٤٥٢) وفي ربيع السنة ١٤٥٢
وصيفها رمم قسطنطين الاسوار والحصون وذخر المؤن لوقت الحصار.
وراسل يوحنا هونيادي مقدماً سيلهبرية، والفونزو الخامس واهباً جزيرة
لمنوس، ولووح بامتيازات هامة لكل من البندقية وجنوى. وكتب الى
البابا نيقولاوس الخامس. ولكنه لم يتلق من الغرب شيئاً سوى شخص
ايزودور الذي كان قد أصبح كرديناً بعد خروجه من موسكو. فانه
جاء من رومة موجباً اعلان اتحاد الكنيستين في كنيسة الحكمة الالهية
وذكر البابا في الذبيخة. فضغط الفسيلفس على بعض رجال الاكايروس
العالي وأقام في الثاني عشر من كانون الاول من السنة ١٤٥٢ قداساً

Diehl, C., Europe Orientale, 370.

١

Zakythinos, D. A., Despotat, 246-247.

٢

Gegaj, Albanie et Invasion Turque, 97-99.

٣

Critobule a'Imbros, H st., 30, ff.

٤

حافلاً في كنيسة الحكمة الالهية بموجب الطقس اللاتيني . وما ان فعل حتى ضجت المدينة بالاحتجاج والسخط وانتقد عالم المورة وفيلسوفها قول اللاتين بانبثاق الروح القدس من الآب والابن وأوجع الفيلسوف لوماً لانه لجأ الى الضغط في هذه القضية . وتزعم جناديوس العالم هذه المعارضة ، وأعلن الدوق الكبير نوتاراس Notaras انه يؤثر عمائم شيوخ الاتراك على تيجان اساقفة اللاتين^١ . وبدأ الحصار وظل قسطنطين يسعى لاستدراار المعونة من الغرب . ولكنه لم يلق سوى سبع مئة محارب بقيادة يوحنا الغوستنياني الجنوبي . وألح سفير البندقية وممثل البابا على الاميرال غبريال تريفيزانو Trevisano الذي كان قد واكب الكردينال ايزيدور ان يبقى في مياه القسطنطينية . ولكن ربابنة البوارج آثروا الخروج على البقاء . وحذا حذوهم اهل الحل والربط من رجال الجالية الجنوبية في بيروا . فقالوا بان بقاءهم على الحياذ يكون في صالح الروم اذ يتمكنون عندئذٍ من ادخال المعونة الى العاصمة .

ويستدل من افضل المراجع الاولية على ان عدد المحاربين في عاصمة الروم آنئذٍ لم يتجاوز الـ ٤٩٧٣ رجلاً وان عدد الاجانب المقاتلين معهم تراوح بين الالفين والثلاثة آلاف وان سلاح هؤلاء جميعاً كان ابيض وانه لم يكن لديهم سوى بعض المدافع المتوسطة الحجم وان القوة البحرية كانت مؤلفة من سبع بوارج وان الذخيرة لم تكن كافية وان الفيلسوف اضطر الى ان يسك النقود من فضة الكناش^٢ .

حصار القسطنطينية : (٧ نيسان - ٢٩ ايار) وفي الثاني من نيسان سنة ١٤٥٣ مدّ الروم السلسلة العظيمة فأقفلوا بها مدخل القرن الذهبي .

Diehl, C., *Europe Orientale*, 371-372.

Phrantzes, G, *Chron.*, III, 3, 338 ; Leonare de Chio, *Lettre*, P. G., ٢ 934-936.

وفي الخامس منه وصل محمد الفاتح بجيوشه الى الاسوار بستين الف مقاتل
وبعدد كبير من الدراويش والتجار والفلاحين العزل الذين استهواهم النهب
والسلب . وفي السابع من الشهر نفسه ارسل السلطان الى الفيلسوف انذاراً
رسمياً بوجوب تسليم المدينة ، فرفض ، فبدأ الحصار .

وكان قد وفد على قسطنطين الحادي عشر مغامر مجري اسمه اوربانوس
عرض عليه اعداد مدفعية قوية تسهل الدفاع عن العاصمة ضد الاتراك .
فقبل الفيلسوف ولكنه لم يتمكن من دفع التعويضات التي طلبها هذا
المجري . فخرج اوربانوس من القسطنطينية ووفد على سلطان الاتراك
(١٤٥٢) واستأذنه في صنع مدفع جبار يقذف قنابل ضخمة مؤكداً ان
هذه المقذوفات تدك اسوار القسطنطينية دكاً . فتحمس السلطان الفتي
وأمر بوضع كميات غير محدودة من البرونز تحت تصرف اوربانوس . فصنع
هذا منها مدفعاً جباراً طول ماسورته سبعة امتار وقطر فوهته متر .
وعملاً بنصيحة اوربانوس أمر محمد الفاتح بان يوضع المدفع على مركبة
ذات ست عجلات صنعت من خشب السنديان القوي . اما القذائف فقد
جعلها اوربانوس من الحجر وزن الواحدة منها حوالي سبع مئة كيلو .
ونقل هذا المدفع الى ادرنة وجرب في ضواحيها فاذا به يقذف هذه
القنابل الى مسافة كيلومتر واحد او اكثر قليلاً . فسُرَّ السلطان بالنتيجة
وأمر بنقل المدفع الى جوار القسطنطينية . فجرَّ هذا المدفع مئة ثور
وقطع المسافة بين ادرنة والقسطنطينية في خمسة وستين يوماً . وكان لدى
الروم مدافع ولكنها كانت صغيرة الحجم لا تقوى على رد المثل بالمثل .
ومن هنا قول كريتوبولوس المؤرخ المعاصر : « ان القول الفصل في الحصار
كان للمدفعية » . وخشي السلطان معونة بحرية من الغرب فأنشأ منذ
السنة ١٤٥٢ اسطولاً حربياً مؤلفاً من مئتين وخمسين بارجة ما عدا
مراكب النقل . فأبحر هذا الاسطول عند بدء الحصار من بحر مرمره

ورسا في مياه البوسفور .

وفي الثامن عشر من نيسان أمر السلطان بهجوم عام ولكنه نكص على اعقابه . وحاول اقتحام مداخل القرن الذهبي فلم يفلح . وفي العشرين من نيسان أطل من بحر مرمره اسطول غربي مؤلف من اربع بوارج وثلاث ناقلات كبيرة . فأمر السلطان قائد اسطوله بلطه اوغلو بصدّهم عن الوصول الى القسطنطينية وبتدميرهم . ونشب القتال بين الطرفين برأى من السلطان . وانتصر الاسطول الجنوبي القادم على الاسطول التركي المدافع . فاستشاط محمد غيظاً وأراد ان يقطع رأس بلطه اوغلو بيده . ووصل الاسطول الجنوبي الى القرن الذهبي واذا به يتقل الجبوب من صقلية الى العاصمة .

وكان السلطان قد بدأ بمهاجمة الاسوار الغربية وكانت تمتد من القرن الذهبي الى بحر مرمره . ثم رأى على ضخامة مدافعه انه لا يستطيع التغلب على الاسوار لمناعتها وعظم سمكها . فعوّل على مهاجمة المدينة من أضعف جهاتها وهي الجهة المشرفة على القرن الذهبي . وكان يحمي الاسوار المشرفة على القرن الذهبي سلسلة عظيمة عند مدخل هذا القرن ووراءها مراكب حربية . فرأى السلطان ان يتقل قسماً من سفنه برأ وينزلها في مياه القرن الذهبي ووراء البوارج الرومية التي تحمي مدخل هذا القرن . فمهد طريقاً برية بين البوسفور والقرن الذهبي بلغ طولها حوالي ثلاثة كيلومترات . ووضع عليها عوارض ضخمة من الحشْب تتدحرج عليها اسطوانات طويلة خشبية . وسيّر فوق هذه ستين او سبعين سفينة من اسطوله ، فبحرّت عليها هذه السفن حتى بلغت القرن الذهبي ، فنزلت فيه بلا عناء . وكان السلطان في اثناء نقل هذه السفن يضلل حامية القسطنطينية بالتصّف بالمدافع من الجهات الاخرى . وفي صباح الثالث والعشرين من نيسان فوجئت بوارج الروم عند مدخل القرن الذهبي بالنار من امامها وورائها في آن

واحد . ولم يبقَ امام الروم سوى حيلة واحدة هي حرق السفن التركية التي أُدخلت بهذا الشكل الى مياه القرن الذهبي . فأعدوا العدة لذلك وقرروا الهجوم في ليل الثامن والعشرين من الشهر نفسه . ولكن الجنويين في غَلَطَة أعلموا الاتراك بذلك في حينه فاتخذ هؤلاء الاجراءات اللازمة وحالوا دون نجاح الروم .

ودام قصف المدينة بالمدافع اسابيع اربعة . فرأى البطريرك والوجهاء والقائد الايطالي غوسطيانبي ان يغادر الفسيلفس العاصمة ليجيش الروم في المورة وغيرها ويتلقى المعونة المنتظرة من الغرب . ولكن قسطنطين الحادي عشر آثر الموت مع شعبه في الدفاع عن النفس .

وقام السلطان في السابع من ايار وفي الثاني عشر منه بهجومين عنيفين ولكنه أخفق في المرتين . وفي الحادي والعشرين من ايار حاول قطع السلسلة العظيمة عند مدخل القرن الذهبي فلم يفلح . وفي الثالث والعشرين من هذا الشهر نفسه اوفد محمد الثاني امير سينوب يفاوض الفسيلفس بتسليم المدينة مقابل خروجه منها وخروج من رغب في ذلك من السكان آمنين حاملين كنوزهم وامتعتهم ومقابل تولية قسطنطين على المورة وانه في حال الرفض تؤخذ العاصمة عنوة وتستباح ثم يُدبج رجالها ذبجاً وتباع نساؤها في اسواق الرقيق . فلم يرَ قسطنطين في هذا كله سوى فسخ منصوب . فرفض . فعقد محمد في السابع والعشرين مجلساً حربياً لدرس الموقف . فاقترح خليل باشا رفع الحصار نظراً لما كان قد شاع عن وصول قوة غربية الى مياه خيوس . ولكن محمداً عارض كل المعارضة وأمر بوجود الاستعداد لهجوم عام في التاسع والعشرين . وعلم الروم بذلك وقاوموا ببسالة فائقة وردوا الاتراك على أعقابهم مرتين متتاليتين . وكان قد تهدم السور الخارجي بالقرب من باب ادرنة ، فقتل الانكشاريون من هذه الثغرة الى السور الداخلي . وعلموا من اعوانهم في داخل القسطنطينية ان الباب

الحفي الصغير Kerkoporta الذي كان يطل على الحندق في هذا القطاع نفسه كان مهملاً . فاقتحموه ونفذوا منه الى داخل المدينة ، فدب الذعر في العاصمة . وكان القائد غوسطنيا في قد جرح فنقل الى جزيرة خيوس وتوفي لدى وصوله اليها . وتابع قسطنطين الجهاد وما فتئ يحارب حتى خراً صريعاً في ميدان الشرف . وأباح السلطان المدينة ثلاثة ايام بلياليها ثم دخلها وذهب تواً الى كنيسة الحكمة الالهية فصلى على مذبحها وأعلنها مسجداً ، ثم استقر في القصر المقدس . وذبح الاتراك اربعين الفاً وساقوا الى اسواق الرقيق خمسين او ستين الفاً .

انتهى

Phrantzes, G. ; Chalkokondyles, L. ; Pears, E., Destruction of Greek Empire ; Schlumberger, G., Siège et Prise de Const. ; Guerdan, R., Vie, Grandeur et Misères de Byzance, 205-247.

الإباطرة

(٢٢٤ - ٦١٠)

Constantine the Great	٣٣٧ - ٣٢٤	قسطنطين الكبير
Constantine	٤٤٠ - ٣٣٧	قسطنطين
Constans	٣٥٠ - ٣٣٧	قسطنس
Constantius	٣٦١ - ٣٣٧	قسطنديوس
Julian the Apostate	٣٦٣ - ٣٦١	يوليانوس الجاحد
Jovian	٣٦٤ - ٣٦٣	يوفيانوس
Valens	٣٧٨ - ٣٦٤	والنس
Theodosius the Great	٣٩٥ - ٣٧٩	ثيودوسيوس الكبير
Arcadius	٤٠٨ - ٣٩٥	اركاديوس
Theodosius II	٤٥٠ - ٤٠٨	ثيودوسيوس الثاني
Marcian	٤٥٧ - ٤٥٠	مرقيانوس
Leo I	٤٧٤ - ٤٥٧	لاوون الاول
Leo II	٤٧٤	لاوون الثاني
Zeno	٤٩١ - ٤٧٤	زينون
Anastasius I	٥١٨ - ٤٩١	انسطاسيوس الاول
Justin I	٥٢٧ - ٥١٨	يوستينوس الاول
Justinian I	٥٦٥ - ٥٢٧	يوستينيانوس الاول
Justin II	٥٧٨ - ٥٦٥	يوستينوس الثاني
Tiberius II	٥٨٢ - ٥٧٨	طيباريوس الثاني
Maurice	٦٠٢ - ٥٨٢	موريقيوس
Phocas	٦١٠ - ٦٠٢	فوقاس

الفسالسة

(٦١٠ - ١٤٥٣)

Heraclius	٦٤١ - ٦١٠	هرقل
Constantine II	٦٤١	قسطنطين الثاني
Heracleon (Heracleonas)	٦٤١	هرقليون
Constantine III (Constans II)	٦٦٨ - ٦٤١	قسطنطين الثالث او قسطنس الثاني
Constantin IV	٦٨٥ - ٦٦٨	قسطنطين الرابع
Justinian II Rhinotmetus	٦٩٥ - ٦٨٥	يوستنيانوس الثاني الاشرم
Leontius	٦٩٨ - ٦٩٥	لاونديوس
Tiberius III	٧٠٥ - ٦٩٨	طيباريوس الثالث
Justinian II	٧١١ - ٧٠٥	يوستنيانوس الثاني للمرة الثانية
Philippicus Bardanes	٧١٣ - ٧١١	فيلبيكوس البرداني
Anastasius II	٧١٥ - ٧١٣	انسطاسيوس الثاني
Theodius III	٧١٧ - ٧١٥	ثيودوسيوس الثالث
Leo III	٧٤١ - ٧١٧	لاوون الثالث
Constantine V Copronymus	٧٧٥ - ٧٤١	قسطنطين الخامس الزبلي
Leo IV Chazar	٧٨٠ - ٧٧٥	لاوون الرابع الخزري
Constantine VI	٧٩٧ - ٧٨٠	قسطنطين السادس
Irene	٨٠٢ - ٧٩٧	ايرينة
Nicephorus I	٨١١ - ٨٠٢	نيقيفوروس الاول
Stauracius	٨١١	استوراقيوس
Michael I Rangabé	٨١٣ - ٨١١	ميخائيل الاول
Leo V	٨٢٠ - ٨١٣	لاوون الخامس الارمني
Michael II Stammerer	٨٢٩ - ٨٢٠	ميخائيل الثاني الاثغ
Theophilus	٨٤٢ - ٨٢٩	ثيوفيلوس
Michael III	٨٦٧ - ٨٤٢	ميخائيل الثالث
Basil I	٨٨٦ - ٨٦٧	باسيليوس الاول
Leo VI Philosopher	٩١٢ - ٨٨٦	لاوون السادس الحكيم
Alexander	٩١٣ - ٩١٢	الاسكندر

Constantine VII Porphyrogenitus	٩٥٩ - ٩١٣	قسطنطين السابع
Romanus I Lecapenus	٩٤٤ - ٩١٩	رومانوس الاول
Stephen and Constantine	٩٤٥ - ٩٤٤	اسطفانوس و قسطنطين
Romanus II	٩٦٣ - ٩٥٩	رومانوس الثاني
Nicephorus II Phocas	٩٦٩ - ٩٦٣	نيقيفوروس الثاني
John I Tzimisce	٩٧٦ - ٩٦٩	يوحنا الاول جيمسكي
Basil II Bulgaroctonus	١٠٢٥ - ٩٧٦	باسيلوس الثاني
Constantine VIII	١٠٢٨ - ١٠٢٥	قسطنطين الثامن
Romanus III Argyrus	١٠٣٤ - ١٠٢٨	رومانوس الثالث
Michael IV	١٠٤١ - ١٠٣٤	ميخائيل الرابع
Michael V Calaphates	١٠٤٣ - ١٠٤١	ميخائيل الخامس
Theodora and Zoè	١٠٤٢	ثيودورة وزوية
Constantine IX Monomachus	١٠٥٥ - ١٠٤٢	قسطنطين التاسع
Theodora	١٠٥٦ - ١٠٥٥	ثيودورة
Michael VI Stratioticus	١٠٥٧ - ١٠٥٦	ميخائيل السادس
Isaac I Comnenus	١٠٥٩ - ١٠٥٧	اسحق الاول
Constantine X Ducas	١٠٦٧ - ١٠٥٩	قسطنطين العاشر
Romanus IV Diogenes	١٠٧١ - ١٠٦٧	رومانوس الرابع
Michael VII Ducas Parapinakes	١٠٧٨ - ١٠٧١	ميخائيل السابع
Nicephorus III Botaniates	١٠٨١ - ١٠٧٨	نيقيفوروس الثالث
Alexius I Comnenus	١١١٨ - ١٠٨١	اليكسيوس الاول
John II	١١٤٣ - ١١١٨	يوحنا الثاني
Manuel I	١١٨٠ - ١١٤٣	عمانوئيل الاول
Alexius II	١١٨٣ - ١١٨٠	اليكسيوس الثاني
Andronicus I	١١٨٥ - ١١٨٢	اندرونيكوس الاول
Isaac II Angelus	١١٩٥ - ١١٨٥	اسحق الثاني
Alexius III	١٢٠٣ - ١١٩٥	اليكسيوس الثالث
Isaac and Alexius IV	١٢٠٤ - ١٢٠٣	اسحق واليكسيوس الرابع
Alexius V Mourtzouphlos	١٢٠٤	اليكسيوس الخامس
Theodore I Lascaris	١٢٢٢ - ١٢٠٤	ثيودوروس الاول

John III Vatatzes	١٢٥٤ - ١٢٢٢	يوحنا الثالث
Theodore II Lascaris	١٢٥٨ - ١٢٥٤	ثيودوروس الثاني
John IV	١٢٦١ - ١٢٥٨	يوحنا الرابع
Michael VIII Paleologus	١٢٨٢ - ١٢٦١	ميخائيل الثامن
Andronicus II	١٣٢٨ - ١٢٨٢	اندرونيكوس الثاني
Michael IX	١٣٢٠ - ١٢٩٥	ميخائيل التاسع
Andronicus III	١٣٤١ - ١٣٢٨	اندرونيكوس الثالث
John V	١٣٩١ - ١٣٤١	يوحنا الخامس
John VI Cantacuzene	١٣٥٤ - ١٣٤١	يوحنا السادس
Andronicus IV	١٣٧٩ - ١٣٧٦	اندرونيكوس الرابع
John VII	١٣٩٠	يوحنا السابع
Manuel II	١٤٢٥ - ١٣٩١	عمانوئيل الثاني
John VIII	١٤٤٨ - ١٤٢٥	يوحنا الثامن
Constantine XI	١٤٥٣ - ١٤٤٩	قسطنطين الحادي عشر

اباطرة «رومانية» اللاتينية

١٢٦١ - ١٢٠٤

Baudouin I	١٢٠٦ - ١٢٠٤	بردويل الاول
Henri de Hainaut	١٢١٦ - ١٢٠٧	هنريكوس الهيناوي
Pierre de Courtenay	١٢١٨ - ١٢١٧	بطرس الكرتناوي
Yolande de Hainaut	١٢٢٠ - ١٢١٨	يولنده الهيناوية
Rabert de Courtenay	١٢٢٨ - ١٢٢١	روبرتوس الكرتناوي
Baudouin II	١٢٦١ - ١٢٢٨	بردويل الثاني
Jean de Brienne	١٢٣٧ - ١٢٣١	يوحنا البرياني

ملوك اوروشليم اللاتينيون

١٢٠٥ - ١٠٩٩

Godefroy de Bouillon	١١٠٠ - ١٠٩٩	غودفري
Baudouin I	١١١٨ - ١١٠٠	بردويل الاول
Baudouin II	١١٣١ - ١١١٨	بردويل الثاني
Foulque d'Angou	١١٤٣ - ١١٣١	فولك أنجو
Boudouin III	١١٦١ - ١١٤٣	بردويل الثالث
Amaury I	١١٧٤ - ١١٦١	أموري الاول
Baudouin IV	١١٨٥ - ١١٧٤	بردويل الرابع
Baudouin V	١١٨٥	بردويل الخامس
Henri de Champagne	١١٩٥ - ١١٩٢	هنريكوس
Amaury II de Lusignan	١٢١٠ - ١١٩٧	اموري الثاني
Jean de Brienne	١٢٢٥ - ١٢١٠	يوحنا البرياني
Frédéric II Emp.	١٢٥٠ - ١٢٢٥	فريديريكوس الثاني
Conrad	١٢٥٤ - ١٢٥٠	كونراد
Conradin	١٢٥٧ - ١٢٥٤	كونرادين
Hugues II	١٢٦٩ - ١٢٥٧	هوغ الثاني
Hugues III	١٢٧٧ - ١٢٦٩	هوغ الثالث
Charles d'Anjou	١٢٨٤ - ١٢٧٧	كارلوس انجو
Jean I	١٢٨٥ - ١٢٨٤	يوحنا الاول
Henri II	١٢٨٥	هنريكوس الثاني

بطاركة رومة الجديدة

١٤٥٣ - ٣٢٤

Alexander I	٣٣٧ - ٣١٤	الكسنديوس الاول
Paul I	٣٣٩ - ٣٣٧	بولس الاول
Eusebius	٣٤١ - ٣٣٩	يوسيبوس
Paul I	٣٤٢ - ٣٤١	بولس الاول (ثانية)
Macedonius	٣٤٦ - ٣٤٢	مقدونيوس الاول
Paul I	٣٥١ - ٣٤٦	بولس الاول (ثالثة)
Macedonius	٣٦٠ - ٣٥١	مقدونيوس الاول (ثانية)
Eudoxius	٣٧٠ - ٣٦٠	افدوكسيوس
Demophilus	٣٨٠ - ٣٧٠	ديموفيلوس
Evagrius	٣٧٠	إفاغريوس
Gregorius	٣٨١ - ٣٧٩	غريغوريوس الاول النازيانزي
Maximus	٣٨٠	ماكسيموس الاول
Nectarius	٣٩٧ - ٣٨١	نيقيطاريوس
Jean Chrysostomus	٤٠٤ - ٣٩٨	يوحنا الذهبي الفم
Arsacius	٤٠٥ - ٤٠٤	ارساكيوس
Atticus	٤٢٥ - ٤٠٦	اتيكيوس
Sisinnius	٤٢٧ - ٤٢٦	سيسينيوس الاول
Nestorius	٤٣١ - ٤٢٨	نسطوريوس
Maximianus	٤٣٤ - ٤٣١	ماكسيميانوس
Proclus	٤٤٦ - ٤٣٤	بروقلوس
Flavianus	٤٤٩ - ٤٤٦	فلافيانوس
Anatolius	٤٥٨ - ٤٤٩	انطوليوس
Cennadius	٤٧١ - ٤٥٨	جناديوس

Acacius	٤٨٩ - ٤٧١	اكاكيوس
Fravitas	٤٩٠ - ٤٨٩	فراويته
Euphemius	٤٩٦ - ٤٩٠	افيموس
Macedonius II	٥١١ - ٤٩٦	مقدونيوس الثاني
Timotheus	٥١٨ - ٥١١	تيموثاوس
Jean II	٥٢٠ - ٥١٨	يوحنا الثاني
Epiphanius	٥٣٥ - ٥٢٠	ابيفانيوس
Anthimius I	٥٣٦ - ٥٣٥	انثيموس الاول
Menas	٥٥٢ - ٥٣٦	ميناس
Eutychius	٥٦٥ - ٥٥٢	افتيوخوس
Jean III	٥٧٧ - ٥٦٥	يوحنا الثالث
Eutychius	٥٨٢ - ٥٧٧	افتيوخوس ثانية
Jean IV	٥٩٥ - ٥٨٢	يوحنا الرابع الصائم
Cyriacus	٦٠٦ - ٥٩٥	كيريياكوس
Thomas I	٦١٠ - ٦٠٧	توما الاول
Sergius I	٦٣٨ - ٦١٠	سرجيوس الاول
Pyrrhus	٦٤١ - ٦٣٨	بروس
Paul II	٦٥٤ - ٦٤١	بولس الثاني
Pyrrhus	٦٥٥	بروس ثانية
Pierre	٦٦٦ - ٦٥٥	بطرس
Thomas II	٦٦٩ - ٦٦٧	توما الثاني
Jean V	٦٧٥ - ٦٦٩	يوحنا الخامس
Constantin I	٦٧٧ - ٦٧٥	قسطنطين الاول
Theodorus I	٦٧٩ - ٦٧٧	ثيودوروس الاول
Georges I	٦٨٦ - ٦٧٩	جاورجيوس الاول
Theodorus I	٦٨٧ - ٦٨٦	ثيودوروس الاول ثانية
Paul III	٦٩٤ - ٦٨٨	بولس الثالث
Callinicus	٧٠٥ - ٦٩٤	كالينيكوس
Cyrus	٧١٢ - ٧٠٥	كيروس
Jean VI	٧١٥ - ٧١٢	يوحنا السادس

Germanus I	٧٢٩ - ٧١٥	جرمانوس الاول
Anastasius	٧٥٢ - ٧٢٩	انسطاسيوس
Constantin II	٧٦٥ - ٧٥٣	قسطنطين الثاني
Nicetas I	٧٨٠ - ٧٦٥	نيقيطاس الاول
Paul IV	٧٨٤ - ٧٨٠	بولس الرابع
Tarasius	٨٠٦ - ٧٨٤	طراسيوس
Nicephorus I	٨١٥ - ٨٠٦	نيقيفوروس الاول
Theodotus	٨٢١ - ٨١٥	ثيودوتوس
Antonius I	٨٣٢ - ٨٢١	انطونيوس الاول
Jean VII	٨٤٣ - ٨٣٢	يوحنا السابع
Methodius	٨٤٧ - ٨٤٣	مثنوديوس الاول
Ignatius	٨٥٨ - ٨٤٧	اغناطيوس
Photius	٨٦٧ - ٨٥٨	فوطيوس
Ignatius	٨٧٧ - ٨٦٧	اغناطيوس ثانية
Photius	٨٨٦ - ٨٧٧	فوطيوس ثانية
Etienne I	٨٩٣ - ٨٨٦	اسطفانوس الاول
Antonius II	٩٠١ - ٨٩٣	انطونيوس الثاني
Nicolas I	٩٠٧ - ٩٠١	نقولا الاول
Euthymius	٩١٢ - ٩٠٨	اقتيميوس
Nicolas I	٩٢٥ - ٩١٢	نقولا الاول ثانية
Etienne II	٩٢٨ - ٩٢٥	اسطفانوس الثاني
Tryphon	٩٣١ - ٩٢٨	تريفون
Theophylactus	٩٥٦ - ٩٣٣	ثيوفيلاكطوس
Polyeuctus	٩٧٠ - ٩٥٦	بوليفكتوس
Basilus I	٩٧٤ - ٩٧٠	باسيليوس الاول
Antonius III	٩٧٩ - ٩٧٤	انطونيوس الثالث
Nicolas II	٩٩١ - ٩٧٩	نقولا الثاني
Sisinnius II	٩٩٨ - ٩٩١	سيسينيوس الثاني
Sergius II	١٠١٩ - ١٠٠١	سرجيوس الثاني
Eustathius	١٠٢٥ - ١٠١٩	افستاثيوس

Alexis Studite	١٠٤٣ - ١٠٢٥	اليكسيوس الامتودي
Michael Cerulare	١٠٥٨ - ١٠٤٣	ميخائيل كيرولاريوس
Constantin III Lichoudès	١٠٦٣ - ١٠٥٩	قسطنطين الثالث ليخودس
Jean VIII Xiphilin	١٠٧٥ - ١٠٦٣	يوحنا الثامن زفلين
Cosmas I	١٠٨١ - ١٠٧٥	قوزما الاول
Eustrathius	١٠٨٤ - ١٠٨١	افستراثيوس
Nicolas III Grammatikos	١١١١ - ١٠٨٤	نقولا الثالث النحوي
Jean IX Hiéromnémon	١١٣٤ - ١١١١	يوحنا التاسع
Leon Stypiotés	١١٤٣ - ١١٣٤	لاون
Michael II Curcuas	١١٤٦ - ١١٤٣	ميخائيل الثاني
Cosmas II Atticus	١١٤٧ - ١١٤٦	قوزما الثاني
Nicolas IV Mauzalon	١١٥١ - ١١٤٧	نقولا الرابع موزالون
Theodotus II	١١٥٣ - ١١٥١	ثيودوتس الثاني
Neophytus I	١١٥٣	نيوفيطوس الاول
Constantin IV Chliarénos	١١٥٦ - ١١٥٤	قسطنطين الرابع
Luc Chrysoberges	١١٦٩ - ١١٥٦	لوقا
Michael III Anchialos	١١٧٧ - ١١٧٠	ميخائيل الثالث
Chariton	١١٧٨ - ١١٧٧	خريطون
Theodosius I	١١٨٣ - ١١٧٨	ثيودوسيوس الاول
Basilius II Kamatéros	١١٨٦ - ١١٨٣	باسيلوس الثاني
Nicetas II Mountanès	١١٨٩ - ١١٨٦	نيقيطاس الثاني
Léonce	١١٩٠ - ١١٨٩	لاونقيوس
Dosithée	١١٩١ - ١١٩٠	دوسيثاوس
Georges Xiphilin	١١٩٨ - ١١٩١	جاورجيوس زفلين
Jean X Kamatéros	١٢٠٦ - ١١٩٩	يوحنا العاشر
Michael IV Autorianos	١٣١٣ - ١٢٠٧	ميخائيل الرابع اوطوريانوس
Théodore II	١٢١٥ - ١٢١٣	ثيودوروس الثاني
Maximus II	١٢١٥	ماكسيموس الثاني
Manuel I	١٢٢٢ - ١٢١٥	عمانوئيل الاول
Germanus II	١٢٤٠ - ١٢٢٢	جرمانوس الثاني

Methodius II	١٢٤٠	مثنودوس الثاني
Manuel II	١٢٥٥ - ١٢٤٤	عمانوئيل الثاني
Arsenius Autorianus	١٢٥٩ - ١٢٥٥	ارسانيوس اوطوريانوس
Nicephorus II	١٢٦٠ - ١٢٦١	نيقفوروس الثاني
Arsenius Autor.	١٢٦٧ - ١٢٦١	ارسانيوس اوطوريانوس ثانية
Germanus III	١٢٦٧	جرمانوس الثالث
Joseph I	١٢٦٧ - ١٢٧٥	يوسف الاول
Jean XI Veccos	١٢٧٥ - ١٢٨٢	يوحنا الحادي عشر فقّس
Joseph I	١٢٨٢ - ١٢٨٣	يوسف الاول ثانية
Gregorius II	١٢٨٣ - ١٢٧٩	غريغوريوس الثاني
Athanasius I	١٢٨٩ - ١٢٩٣	اثناسيوس الاول
Jean XII Cosmas	١٢٩٤ - ١٣٠٤	يوحنا الثاني عشر قوزما
Athanasius I	١٣٠٤ - ١٣١٠	اثناسيوس الاول ثانية
Niphon I	١٣١١ - ١٣١٥	نيفون الاول
Jean XIII Glykys	١٣١٦ - ١٣٢٠	يوحنا الثالث عشر غليكس
Gerasmus I	١٣٢٠ - ١٣٢١	جراسيموس الاول
Isaïe	١٣٢٣ - ١٣٣٤	اشعيا
Jean XIV Calécas	١٣٣٤ - ١٣٤٧	يوحنا الرابع عشر
Isidorus I	١٣٤٧ - ١٣٤٩	اسيدوروس الاول
Callistus I	١٣٥٠ - ١٣٥٤	كليستوس الاول
Philotheus	١٣٥٤ - ١٣٥٥	فيلوثيوس
Callistus I	١٣٥٥ - ١٣٦٣	كليستوس الاول ثانية
Philotheus	١٣٦٤ - ١٣٧٦	فيلوثيوس ثانية
Macarius	١٣٧٦ - ١٣٧٩	مكاريس
Nilus	١٣٧٩ - ١٣٨٨	نيلوس
Antonius IV	١٣٨٩ - ١٣٩٠	انطونيوس الرابع
Macarius	١٣٩٠ - ١٣٩١	مكاريس ثانية
Antonius IV	١٣٩١ - ١٣٩٧	انطونيوس الرابع ثانية
Callistus II	١٣٩٧	كليستوس الثاني
Matthieu I	١٣٩٧ - ١٣١٠	متي الاول

Euthymius II	١٤١٦ - ١٤١٠	افثيموس الثاني
Joseph II	١٤٣٩ - ١٤١٦	يوسف الثاني
Metrophanes II	١٤٤٣ - ١٤٤٠	ميتروفانس الثاني
Gregorius III Mammas	١٤٥٣ - ١٤٤٣	غريغوريوس الثالث ماماس
Gennadios II Scholarios	١٤٥٧ - ١٤٥٣	جناديوس الثاني سكولاريوس

باباوات رومة القديمة

١٤٥٣ - ٣٢٤

Sylvestre I	٣٣٥ - ٣١٤	سيلفستروس الاول
Marc	٣٣٦	مرقس
Jules I	٣٥٢ - ٣٣٧	يوليوس الاول
Libère	٣٦٦ - ٣٥٢	ليباريوس
Damase I	٣٨٤ - ٣٦٦	دماسوس الاول
Sirice	٣٩٩ - ٣٨٤	سيريقوس
Anastase I	٤٠١ - ٣٩٩	انسطاسيوس الاول
Inncent I	٤١٧ - ٤٠١	انوشنتيوش الاول
Zosime	٤١٨ - ٤١٧	زوسيموس
Boniface I	٤٢٢ - ٤١٨	بونيفاسيوس الاول
Celestin I	٤٣٢ - ٤٢٢	شالستينوس
Sixte III	٤٤٠ - ٤٣٢	سكستوس الثالث
Leon I	٤٦١ - ٤٤٠	لازون الاول الكبير
Hilaire	٤٦٨ - ٤٦١	هيلاريوس
Simplice	٤٨٣ - ٤٦٨	سيمبليسيوس
Felix III	٤٩٢ - ٤٨٣	فاليكس الثالث
Gelase I	٤٩٦ - ٤٩٢	جلاسيوس الاول
Anastase II	٤٩٨ - ٤٩٦	انسطاسيوس الثاني

Symmaque	٥١٤ - ٤٩٨	سيماكوس
Hormisdas	٥٢٣ - ٥١٤	هورميسداس
Jean I	٥٢٦ - ٥٢٣	يوحنا الاول
Félix III	٥٣٠ - ٥٢٦	فاليس الثالث
Boniface II	٥٣٢ - ٥٣٠	بونيفاسيوس الثاني
Jean II	٥٣٥ - ٥٣٢	يوحنا الثاني
Agapet I	٥٣٦ - ٥٣٥	اغايبتوس الاول
Sylvère	٥٣٧ - ٥٣٦	سيلفاريوس
Vigile	٥٥٥ - ٥٣٧	فيجيليوس
Pélage I	٥٦١ - ٥٥٦	بلاجيوس الاول
Jean III	٥٧٤ - ٥٦١	يوحنا الثالث
Benoît I	٥٧٩ - ٥٧٥	بنيديكطوس الاول
Pélage II	٥٩٠ - ٥٧٩	بلاجيوس الثاني
Grégoire I	٦٠٤ - ٥٩٠	غريغوريوس الاول الكبير
Sabinien	٦٠٦ - ٦٠٤	سابينيانوس
Boniface III	٦٠٧	بونيفاسيوس الثالث
Boniface IV	٦١٥ - ٦٠٨	بونيفاسيوس الرابع
Deusdedit	٦١٨ - ٦١٥	عطا الله
Boniface V	٦٢٥ - ٦١٩	بونيفاسيوس الخامس
Honorius I	٦٣٨ - ٦٢٥	اونوريوس الاول
Séverin	٦٤٠	سفارينوس
Jean IV	٦٤٢ - ٦٤٠	يوحنا الرابع
Théodore	٦٤٩ - ٦٤٢	ثيودوروس الاول
Martin I	٦٥٣ - ٦٤٩	مريتوس الاول
Eugène I	٦٥٧ - ٦٥٤	اوجانيوس الاول
Vitalien	٦٧٢ - ٦٥٧	فيتاليانوس
Adéodat	٦٧٦ - ٦٧٢	اداداتوس
Domnus	٦٧٨ - ٦٧٦	دومنوس
Agathon	٦٨١ - ٦٧٨	اغاثون
Léon II	٦٨٣ - ٦٨٢	لاون الثاني

Benoît II	٦٨٥ - ٦٨٤	بنيديكتوس الثاني
Jean V	٦٨٦ - ٦٨٥	يوحنا الخامس
Conon	٦٨٧ - ٦٨٦	كونون
Sergius	٧٠١ - ٦٨٧	سرجيوس
Jean VI	٧٠٥ - ٧٠١	يوحنا السادس
Jean VII	٧٠٧ - ٧٠٥	يوحنا السابع
Sisinnius I	٧٠٨	سيسينيوس
Constantin I	٧١٥ - ٧٠٨	قسطنطين الاول
Grégoire II	٧٣١ - ٧١٥	غريغوريوس الثاني
Grégoire III	٧٤١ - ٧٣١	غريغوريوس الثالث
Zacharie	٧٥٢ - ٧٤١	زخريا
Etienne II	٧٥٧ - ٧٥٢	اسطفانوس الثاني
Paul I	٧٦٧ - ٧٥٧	بولس الاول
Constantin II	٧٦٨ - ٨٦٧	قسطنطين الثاني
Philippe	٧٦٨	فيلبوس
Etienne III	٧٧٢ - ٧٦٨	اسطفانوس الثالث
Hadrien I	٧٩٥ - ٧٧٢	ادريانوس الاول
Léon III	٨١٦ - ٧٩٥	لاون الثالث
Etienne IV	٨١٧ - ٨١٦	اسطفانوس الرابع
Pascal I	٨٢٤ - ٨١٧	بسال الاول
Eugène II	٨٢٧ - ٨٢٤	اوجانيوس الثاني
Valentin	٨٢٧	فالتينوس
Grégoire IV	٨٤٤ - ٨٢٧	غريغوريوس الرابع
Sergius II	٨٤٧ - ٨٤٤	سرجيوس الثاني
Léon IV	٨٥٥ - ٨٤٧	لاون الرابع
Benoît III	٨٥٨ - ٨٥٥	بنيديكتوس الثالث
Nicolas I	٨٦٧ - ٨٥٨	نقولا الاول
Hadrien II	٨٧٢ - ٨٦٧	ادريانوس الثاني
Jean VIII	٨٨٢ - ٨٧٢	يوحنا الثامن
Marin I	٨٨٤ - ٨٨٣	مارينوس الاول

Hadrien III	٨٨٥ - ٨٨٤	ادريانوس الثالث
Etienne V	٨٩١ - ٨٨٥	اسطفانوس الخامس
Formose	٨٩٦ - ٨٩١	فرموزوس
Boniface VI	٨٩٦	بونيفاسيوس السادس
Etienne VI	٨٩٧ - ٨٩٦	اسطفانوس السادس
Romain	٨٩٧	رومانوس
Théodore II	٨٩٧	ثيودوروس الثاني
Jean IX	٩٠٠ - ٨٩٨	يوحنا التاسع
Benoît IV	٩٠٣ - ٩٠٠	بونيفاسيوس الرابع
Léon V	٩٠٣	لاوون الخامس
Christophe	٩٠٤ - ٩٠٣	خريستوفوس
Sergius III	٩١١ - ٩٠٤	سرجيوس الثالث
Anastase III	٩١٣ - ٩١١	انسطاسيوس الثالث
Landon	٩١٤ - ٩١٣	لندون
Jean X	٩٢٨ - ٩١٤	يوحنا العاشر
Léon VI	٩٢٨	لاوون السادس
Etienne VII	٩٣١ - ٩٢٩	اسطفانوس السابع
Jean XI	٩٣٥ - ٩٣١	يوحنا الحادي عشر
Léon VII	٩٣٩ - ٩٣٦	لاوون السابع
Etienne VIII	٩٤٢ - ٩٣٩	اسطفانوس الثامن
Marin II	٩٤٦ - ٩٤٢	مارينوس الثاني
Agapit	٩٥٥ - ٩٤٦	اغاييتوس الثاني
Jean XII	٩٦٤ - ٩٥٥	يوحنا الثاني عشر
Léon VIII	٩٦٥ - ٩٦٣	لاوون الثامن
Benoît V	٩٦٤	بنيديكتموس الخامس
Jean XIII	٩٧٢ - ٩٦٥	يوحنا الثالث عشر
Benoît VI	٩٧٤ - ٩٧٣	بنيديكتموس السادس
Boniface VII	٩٨٥ - ٩٨٤ و ٩٧٤	بونيفاسيوس السابع
Benoît VII	٩٨٣ - ٩٧٤	بنيديكتموس السابع
Jean XIV	٩٨٤ - ٩٨٣	يوحنا الرابع عشر

Jean XV	٩٩٦ - ٩٨٥	يوحنا الخامس عشر
Grégoire V	٩٩٩ - ٩٩٦	غريغوريوس الخامس
Jean XVI	٩٩٨ - ٩٩٧	يوحنا السادس عشر
Sylvestre II	١٠٠٣ - ٩٩٩	سلفيستروس الثاني
Jean XVII	١٠٠٣	يوحنا السابع عشر
Jean XVIII	١٠٠٩ - ١٠٠٣	يوحنا الثامن عشر
Sergius IV	١٠١٢ - ١٠٠٩	سرجيوس الرابع
Benoît VIII	١٠٢٤ - ١٠١٢	بنيديكتوس الثامن
Jean XIX	١٠٣٣ - ١٠٢٤	يوحنا التاسع عشر
Benoît IX	١٠٤٥ - ١٠٣٣	بنيديكتوس التاسع
Sylvestre III	١٠٤٤	سلفيستروس الثالث
Grégoire VI	١٠٤٦ - ١٠٤٥	غريغوريوس السادس
Clément II	١٠٤٧ - ١٠٤٦	اكليمينضوس الثاني
Damase II	١٠٤٨ - ١٠٤٧	داماسوس الثاني
Léon IX	١٠٥٤ - ١٠٤٨	لاوون التاسع
Victor II	١٠٥٧ - ١٠٥٤	فيكتور الثاني
Etienne IX	١٠٥٨ - ١٠٥٧	اسطفانوس التاسع
Benoît X	١٠٥٩ - ١٠٥٨	بنيديكتوس العاشر
Nicolas II	١٠٦١ - ١٠٥٩	نقولا الثاني
Alexandre II	١٠٧٣ - ١٠٦١	الكسندروس الثاني
Honorius II	١٠٦٤ - ١٠٦١	اونوريوس الثاني
Grégoire VII	١٠٨٥ - ١٠٧٣	غريغوريوس السابع
Clément III	١١٠٠ - ١٠٨٠	اكليمينضوس الثالث
Victor III	١٠٨٧ - ١٠٨٦	فيكتور الثالث
Urbain II	١٠٩٩ - ١٠٨٨	اوربانوس الثاني
Pascal II	١١١٨ - ١٠٩٩	بسكال الثاني
Gelase II	١١١٩ - ١١١٨	جلاجيوس الثاني
Calixte II	١١٢٤ - ١١١٩	كاليكستوس الثاني
Honorius II	١١٣٠ - ١١٢٤	اونوريوس الثاني
Innocent II	١١٤٣ - ١١٣٠	انوشتيوش الثاني

Anaclet II	١١٣٨ - ١١٣٠	انقليتوس الثاني
Victor IV	١١٣٨	فيكتور الرابع
Celestin II	١١٤٤ - ١١٤٣	ساليستينوس الثاني
Lucius II	١١٤٥ - ١١٤٤	لو كيوس الثاني
Eugène III	١١٥٣ - ١١٤٥	اوجانيوس الثالث
Anastase IV	١١٥٤ - ١١٥٣	انسطاسيوس الرابع
Hadrien IV	١١٥٩ - ١١٥٤	ادريانوس الرابع
Alexandre III	١١٨١ - ١١٥٩	الكسندروس الثالث
Victor IV	١١٦٤ - ١١٥٩	فيكتور الرابع
Pascal III	١١٦٨ - ١١٦٤	بسكال الثالث
Calixte III	١١٧٩ - ١١٦٨	كاليكستوس الثالث
Innocent III	١١٨٠ - ١١٧٩	انوشتيوش الثالث
Lucius III	١١٨٥ - ١١٨١	لو كيوس الثالث
Urbain III	١١٨٧ - ١١٨٥	اوربانوس الثالث
Grégoire VIII	١١٨٧	غريغوريوس الثامن
Clément III	١١٩١ - ١١٨٧	الكليمنضوس الثالث
Célestin III	١١٩٨ - ١١٩١	ساليستينوس الثالث
Innocent III	١٢١٦ - ١١٩٨	انوشتيوش الثالث
Honorius III	١٢٢٧ - ١٢١٦	انوريوس الثالث
Grégoire IX	١٢٤١ - ١٢٢٧	غريغوريوس التاسع
Célestin IV	١٢٤١	ساليستينوس الرابع
Innocent IV	١٢٥٤ - ١٢٤٢	انوشتيوش الرابع
Alexandre IV	١٢٦١ - ١٢٥٤	الكسندروس الرابع
Urbain IV	١٢٦٤ - ١٢٦١	اوربانوس الرابع
Clément IV	١٢٦٨ - ١٢٦٥	الكليمنضوس الرابع
Grégoire X	١٢٧٦ - ١٢٧١	غريغوريوس العاشر
Innocent V	١٢٧٦	انوشتيوش الخامس
Hadrien V	١٢٧٦	ادريانوس الخامس
Jean XXI	١٢٧٧ - ١٢٧٦	يوحنا الحادي والعشرون
Nicolas III	١٢٨٠ - ١٢٧٧	نقولا الثالث
Martin IV	١٢٨٥ - ١٢٨١	مريتونس الرابع

Honorius IV	١٢٨٧ - ١٢٨٥	اونوريوس الرابع
Nicolas IV	١٢٩٢ - ١٢٨٨	نقولا الرابع
Célestin V	١٢٩٤	ساليستينوس الخامس
Boniface VIII	١٣٠٣ - ١٢٩٤	بونيفاسيوس الثامن
Benoît XI	١٣٠٤ - ١٣٠٣	بنيديكطوس الحادي عشر
Clément V	١٣١٤ - ١٣٠٥	اكليمينضوس الخامس
Jean XXII	١٣٣٤ - ١٣١٦	يوحنا الثاني والعشرون
Benoît XII	١٣٤٢ - ١٣٣٤	بنيديكطوس الثاني عشر
Clément VI	١٣٥٢ - ١٣٤٢	اكليمينضوس السادس
Innocent VI	١٣٦٢ - ١٣٥٢	انوشتيوش السادس
Urbain V	١٣٧٠ - ١٣٦٢	اوربانوس الخامس
Grégoire XI	١٣٧٨ - ١٣٧٠	غريغوريوس الحادي عشر
Urbain VI	١٣٨٩ - ١٣٧٨	اوربانوس السادس
Boniface IX	١٤٠٤ - ١٣٨٩	بونيفاسيوس التاسع
Innocent VII	١٤٠٦ - ١٤٠٤	انوشتيوش السابع
Grégoire XII	١٤٠٩ - ١٤٠٦	غريغوريوس الثاني عشر
Alexandre V	١٤١٠ - ١٤٠٩	الكسندروس الخامس
Jean XXIII	١٤١٥ - ١٤١٠	يوحنا الثالث والعشرون
Martin V	١٤٣١ - ١٤١٧	مرتنيوس الخامس
Eugène IV	١٤٤٧ - ١٤٣١	اوجانيوس الرابع
Nicolas V	١٤٥٥ - ١٤٤٧	نقولا الخامس

الأكاسرة الساسانيون

٦٥١ - ٢٢٦

Ardashir I	٢٤١ - ٢٢٦	أردشير الاول
Sapor I	٢٧٢ - ٢٤١	شاپور الاول
Hormizd I	٢٧٣ - ٢٨٢	هورمزد الاول

Vahram I	٢٧٦ - ٢٧٣	بهرام الاول
Vahram II	٢٩٣ - ٢٧٦	بهرام الثاني
Vahram III	٢٩٣	بهرام الثالث
Narseh	٣٠٢ - ٢٩٣	نرسه
Hormizd II	٣٠٩ - ٣٠٢	هورمزد الثاني
Sapor II	٣٧٩ - ٣١٠	شاپور الثاني ذو الاكتاف
Ardashir II	٣٨٣ - ٣٧٩	اردشير الثاني
Sapor III	٣٨٨ - ٣٨٣	شاپور الثالث
Vahram IV	٣٩٩ - ٣٨٨	بهرام الرابع
Yazdgard I	٤٢١ - ٣٩٩	يزدجرد الاول
Vahram V Gor	٤٣٨ - ٤٢١	بهرام الخامس غور
Yazdgard II	٤٥٧ - ٤٣٨	يزدجرد الثاني
Hormizd III	٤٥٩ - ٤٥٧	هورمزد الثالث
Peroz	٤٨٤ - ٥٤٩	فيروز
Valash	٤٨٨ - ٤٨٤	بلاش
Kavadh	٥٣١ - ٤٨٨	قباد
Chosroés I	٥٧٩ - ٥٣١	كسرى الاول انوشروان
Hormizd IV	٥٩٠ - ٥٧٩	هورمزد الرابع
Chosroés II	٦٢٨ - ٥٩٠	كسرى الثاني
Ardashir III et Hormizd V	٦٣٢ - ٦٢٨	اردشير الثالث وهورمزد الخامس
Yazdgard III	٦٥١ - ٦٣٢	يزدجرد الثالث

الخلفاء الراشدون

٦٦٠ - ٦٣٢

٦٥٥ - ٦٤٤

عثمان

٦٣٤ - ٦٣٢

ابو بكر

٦٦٠ - ٦٥٥

علي

٦٤٤ - ٦٣٤

عمر

الامويون

٧٠٥ - ٦٦٠

٧٢٠ - ٧١٧	عمر ابن عبد العزيز	٦٨٠ - ٦٦١	معاوية الاول
٧٢٤ - ٢٧٠	يزيد الثاني	٦٨٣ - ٦٨٠	يزيد الاول
٧٤٣ - ٧٢٤	هشام	٦٨٣	معاوية الثاني
٧٤٤ - ٧٤٣	الوليد الثاني	٦٨٥ - ٦٨٣	مروان
٧٤٤	يزيد الثالث	٧٠٥ - ٦٨٥	عبد الملك
٧٤٤	ابراهيم	٧١٥ - ٧٠٥	الوليد الاول
٧٥٠ - ٧٤٤	مروان الثاني	٧١٧ - ٧١٥	سليان

العباسيون

١٢٥٨ - ٧٥٠

٨٤٢ - ٨٣٣	المعتصم	٧٥٤ - ٧٥٠	السفاح
٨٤٧ - ٨٤٢	الواثق	٧٧٥ - ٧٥٤	المنصور
٨٦١ - ٨٤٧	المتوكل	٧٨٥ - ٧٧٥	المهدي
٨٦٢ - ٨٦١	المنتصر	٧٨٦ - ٧٨٥	الهادي
٨٦٦ - ٨٦٢	المستعين	٨٠٩ - ٧٨٦	الرشيد
٨٦٩ - ٨٦٦	المعتز	٨١٣ - ٨٠٩	الامين
٨٧٠ - ٨٦٩	المهتدي	٨٣٣ - ٨١٣	المأمون

١٠٧٥ - ١٠٣١	القائم	٨٩٢ - ٨٧٠	المتمم
١٠٩٤ - ١٠٧٥	المقتدي	٩٠٢ - ٨٩٢	المتمم
١١١٨ - ١٠٩٤	المستظهر	٩٠٨ - ٩٠٢	المكتفي
١١٣٥ - ١١١٨	المسترشد	٩٣٢ - ٩٠٨	المقتدر
١١٢٦ - ١١٣٥	الراشد	٩٣٤ - ٩٣٢	القاهر
١١٦٠ - ١١٣٦	المقتفي	٩٤٠ - ٩٣٤	الراضي
١١٧٠ - ١١٦٠	المستنجد	٩٤٤ - ٩٤٠	المتقي
١١٨٠ - ١١٧٠	المستفي	٩٤٦ - ٩٤٤	المستكفي
١٢٢٥ - ١١٨٠	الناصر	٩٧٤ - ٩٤٦	المطيع
١٢٢٦ - ١٢٢٥	الظاهر	٩٩١ - ٩٧٤	الطائع
١٢٤٢ - ١٢٢٦	المستنصر	١٠٣١ - ٩٩١	القادر
١٢٥٨ - ١٢٤٢		المستصم	

الطولونيون

٨٩٦ - ٨٩٥	ابو العساكر جيش	٨٨٤ - ٨٦٨	احمد ابن طولون
٩٠٤ - ٨٩٦	ابو موسى هارون	٨٩٥ - ٨٨٤	خارويه ابن طولون
٩٠٥ - ٩٠٤	ابو المناقب شيبان		

الاششيديون

٩٦٦ - ٩٦٠	ابو الحسن علي ابن اششيد	٩٤٥ - ٩٣٥	محمد الاششيد ابن طنج
٩٦٨ - ٩٦٦	ابو المسك كافور	٩٦٠ - ٩٤٥	ابو القاسم ابن اششيد
٩٦٩ - ٩٦٨	ابو الفوارس احمد ابن علي		

الفاطميون

١٠٩٤ - ١٠٣٥	المستنصر	٩٣٤ - ٩٠٩	المهدي (عبيد الله)
١١٠١ - ١٠٩٤	المستعلي	٩٤٥ - ٩٣٤	القائم
١١٣٠ - ١١٠١	الأمير	٩٥٢ - ٩٤٥	المنصور
١١٤٩ - ١١٣٠	الحافظ	٩٧٥ - ٩٥٢	المعز
١١٥٤ - ١١٤٩	الظاهر	٩٩٦ - ٩٧٥	العزير
١١٦٠ - ١١٥٤	الفائق	١٠٢٠ - ٩٩٦	الحاكم
١١٧١ - ١١٦٠	العاقد	١٠٣٥ - ١٠٢٠	الظاهر

الحمديون

١٠٠١ - ٩٩١	سعيد الدولة	٩٦٧ - ٩٤٤	سيف الدولة
١٠٠٣ - ١٠٠١	ابو الحسن علي ابو المعالي شريف	٩٩١ - ٩٦٧	سعد الدولة

الايوبيون

في القاهرة ودمشق ، والنجعة تشير الى الجمع بين القطرين

١١٩٩ - ١١٩٨	المنصور		١ - القاهرة
١٢١٨ - ١١٩٩	العادل الاول*	١١٩٣ - ١١٦٧	صلاح الدين*
١٢٣٨ - ١٢١٨	الكامل*	١١٩٨ - ١١٩٣	العزير

المعظم طوران شاه* ١٢٤٩ - ١٢٥٠	١٢٣٨ - ١٢٤٠	العادل الثاني*
الاشرف موسى ١٢٥٠ - ١١٥٢	١٢٤٠ - ١٢٤٩	الصالح ايوب*

٢ - في دمشق

١٢٣٨ - ١٢٣٧	الكامل*	١١٩٦ - ١١٨٦	الافضل
١٢٤٠ - ١٢٣٨	العادل الثاني*	١٢١٨ - ١١٩٦	العادل الاول*
١٢٤٠	الصالح ايوب*	١٢٢٧ - ١٢١٨	المعظم عيسى
١٢٤٠	الصالح اسماعيل	١٢٢٧	الناصر
١٢٤٩ - ١٢٤٥	الصالح ايوب*	١٢٣٧ - ١٢٢٨	الاشرف موسى
١٢٤٩	المعظم طوران شاه*	١٢٣٧	الصالح اسماعيل
١٢٦٠ - ١٢٥٠		الناصر يوسف	

المماليك البحريةية

١٣٨١ - ١٢٥٠

١٣٤٠ - ١٣٠٩	الناصر محمد (ثالثة)	١٢٥٠	شجر الدر ارملة الصالح ايوب
١٣٤١ - ١٣٤٠	المنصور ابو بكر	١٢٥٧ - ١٢٥٠	المعز أيبك
١٣٤٢ - ١٣٤١	الاشرف كجك	١٢٥٩ - ١٢٥٧	المنصور علي
١٣٤٢	الناصر احمد	١٢٦٠ - ١٢٥٩	المظفر سيف الدين قطز
١٣٤٥ - ١٣٤٢	الصالح اسماعيل	١٢٧٧ - ١٢٦٠	الظاهر بيبرس
١٣٤٦ - ١٣٤٥	الكامل شعبان	١٢٧٩ - ١٢٧٧	السميد بركه خان
١٣٤٧ - ١٣٤٦	المظفر حاجي	١٢٧٩	العادل سلامش
١٣٥١ - ١٣٤٧	الناصر حسن	١٢٩٠ - ١٢٧٩	المنصور قلاوون
١٣٥٦ - ١٣٥١	الصالح صلاح الدين	١٢٩٣ - ١٢٩٠	الاشرف خليل
١٣٦١ - ١٣٥٦	الناصر حسن (ثانية)	١٢٩٤ - ١٢٩٣	الناصر محمد
١٣٦٣ - ١٣٦١	المنصور محمد	١٢٩٦ - ١٢٩٤	العادل كتبغا
١٣٧٦ - ١٣٦٣	الاشرف شعبان	١٢٩٨ - ١٢٩٦	المنصور لاجين
١٣٨١ - ١٣٧٦	المنصور علاء الدين علي	١٣٠٨ - ١٢٩٨	الناصر محمد (ثانية)
١٣٨١	الصالح حاجي	١٣٠٩ - ١٣٠٨	المظفر بيبرس

المماليك البرجية

١٣٨٢ - ١٥١٦

١٤٢١	الظاهر ططر	١٣٩٢ - ١٣٨٢	الظاهر برقوق
١٤٢٢ - ١٤٢١	الصالح محمد	١٤٠٥ - ١٣٩٢	الناصر فرج
١٤٣٨ - ١٤٢٢	الاشرف برسباي	١٤٠٦ - ١٤٠٥	المنصور عبد العزيز
١٤٣٨	العزيز يوسف	١٤١٢ - ١٤٠٦	الناصر فرج (ثانية)
١٤٥٣ - ١٤٣٨	الظاهر جقمق	١٤١٢	العادل المستعين
١٤٥٣	المنصور عثمان	١٤٢١ - ١٤١٢	المؤيد شيخ محمودي
١٤٦٠ - ١٤٥٣	الاشرف اينال	١٤٢١	المظفر احمد

العثمانيون

١٢٩٩ - ١٤٥٣

١٤٢١ - ١٤٠٣	محمد الاول	١٣٢٦ - ١٢٩٩	عثمان الاول
١٤١٠ - ١٤٠٣	موسى	١٣٥٩ - ١٣٢٦	اورخان
١٤١٣ - ١٤١٠	سليمان	١٣٨٩ - ١٣٥٩	مراد الاول
١٤٥١ - ١٤٢١	مراد الثاني	١٤٠١ - ١٣٨٩	بايزيد الاول
١٤٨١ - ١٤٥١	محمد الثاني		

فهرس الاعلام وبعض المواضيع

- آثار : المسيحيون الاولون ٤٠ - ٤٢
 آفوس : الصامتون ٢ : ٢٣٣
 آريوس : بدعته ٥٦ ، ٦٠ - ٦١ ، ٩١
 آفار : في البلقان ٢٠٧ - ٢٠٨ ، حصار القسطنطينية ٢٢٨ - ٢٣٠
 آمد : والفرس ٩٨ ، ١٣٧
 آيدين : والمثانيون ٢ : ٢٥٣
 آباتية : الفيلسوفة ١٤٢ - ١٤٣
 اباغ : موقعة ٣٠٣
 ابجر : ملك الرها والمسيح ٢ : ٦٥
 ابرويز : والروم ٢٠٢ ، ٢٢٣ - ٢٢٨
 ابريلكاس : القائد ٢ : ٣٤
 ابسك : حلفاء الروم ٢ : ٧
 ابو بكر : والروم ٢٣٩ - ٢٤٢
 ابو جعفر : والعلم عند الروم ٣٤٦
 ابوقوقوس : العالم ٢ : ٢٠٦
 ابوليناريوس : اسقف ١٢٣ ، بطريرك ١٨٤ ، ٣١٠
 ابى عبيدة : والشام ٢٤٠
 اقالياتس : ميخائيل ٢ : ١٠٢
 اتحاد : كتاب ٢ : ٢٤
 اترك : في تراقية ٢ : ٢٢٦
 اتية : ملك الهون ١٢٠ - ١٢١
 اثساريكوس : قائد القوط ٨٨ ، في القسطنطينية ٩٠
 اثناسيوس : بطريرك الاسكندرية ٨٦ - ٨٧ ، ١٤٧ ، بطريرك انطاكية ٢٣١
 آثينة : زوجة ثيودوسيوس ١١٦ - ١١٧
 اجنادين : الموقعة ٢٤١ - ٢٤٢
 احد : يوم الاحد ٣٨
 احد : ابن طولون ٢ : ٦
 اخوليوس : اسقف ٩٠
 ادارة : قسطنطين الكبير ٦٥ - ٦٨ ، ثيودوسيوس ٩٧ ، يوليانوس ٨٠ - ٨١ ، ثيودوسيوس الثاني ١١٨ - ١٢٠ ، انسطاسيوس ١٣٧ - ١٣٨ ، يوستنيانوس ١٧٠ - ١٧٦ ، قسطنطين الثالث ٢٥٦ ، هرقل وخلفاؤه ٢٧٧ - ٢٧٨ ، القرنين الحادي عشر والثاني عشر ٢ : ٨٠ ، باسيلوس ٢ : ١٢ - ١٣ والانجيل ٢ : ٨٨ - ٩٣
 ادريانوس : الرابع والروم ٢ : ١٥١
 ادريتبوليس : الموقعة ٨٩ ، ٣١٦
 اديسيوس : الفيلسوف ٧٩

١٦٦ - ١٧٢

اسطفانوس : متروبوليت هرقلية ٢٥٨ ،
البطريك ٢ : ١٤ ، ملك الصرب ٢ :
٢٢٦ ، ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ميليسيبي ٢ :
٢٢٩ ، دندولو ٢ : ٢٣٠
اسكابينية : خلية ٢ : ٦٦ - ٦٧
اسكندرية : والوثنية ١٠٠ ومدستها
١٤٢ - ١٤٩ والفرس ٢٢٥ والعرب
٢٥٥

اسوري : الاسرة ٢٨٩ - ٢٩٠
اسيدوروس : البطريك ٢ : ٢٣٩ - ٢٤٠
اشرم : اطلب يوستينيانوس الثاني
اشوت : بغرتوني ملك ارمينية ٢ : ٧
اغاثيوس : المؤرخ ٢١٢
اغناطيوس : البطريك ٣٢٩ - ٣٣٠
افتروبيوس ؛ الحصي ١٠٨ وغايناس ١١١
اقتيشيوس : البطريك ١٨٤
اقتيميوس : البطريك السنكس ٢ : ١٥
اقتيميوس : زيفايينوس المدافع عن الدين
١٦٦ : ٢

افجنيكوس : مرقس والارثوذكسية
٢٧٠ : ٢

افذوكسية : زوجة اركاديوس الاول ١٨٠
افذوكية : زوجة هرقل ٢٢١ ، خلية
ميخائيل الثالث وزوجة باسيلوس الاول
٢ : ١٣ ، زوجة لاوون السادس ٢ :
١٥ ، زوجة قسطنطين العاشر ٢ : ١٠٨
افرام : القديس ١٦٢

افستراتيوس : قاضي المسكونة ٢ : ١٣٦
افسس : مجمعها ١٢٢ - ١٢٥ في يد الاتراك

اذرعات : درعة واليهود ٢٣٤

ارايوسوس : وهرقل وشهربراز ٢٢٧
ارجيروس : القائد ٢ : ٧٠
اردشير : المؤسس ٤٦ ، الثاني ٩٦ - ٩٧
ارزنجان : المعركة ٢ : ١٩٢
ارسانيوس : البطريك ٢ : ١٩٣ ، ١٩٩ ،
حزبه ٢ : ٢٢٦ ، ٢٣٢
ارضوم : عند الحدود ٩٧
ارطبون : القائد ٢٤٨

ارطغرل : وصوله الى سكوت ٢ : ٢١٨
اركاديوس : الامبراطور ١٠٨ - ١١٦ ،
مثل البابا ١٢٥

اركاديوبوليس : الموقعة ٢ : ٤٧
ارمينية : اقسامها ٩٧ ويوستينيانوس ١٩٩
وهرقل ٢٢٣ - ٢٢٨ والمشيئة الواحدة
٢٣١ والعرب ٢٦٧ واستقلالها ٢ : ٧
واخراج العرب ٢ : ٢٧ وسهاد ملكها
٢ : ٦٥ الصغرى والكبرى ٢ :
١١٥ - ١١٦

ازمير : والاتراك ٢ : ٢٥٣
اسامة : وعسقلان وبافة ٢٣٩

استباليون : ٢ : ٢٢٥ و ٢٥٣
استراتيغوبولس : اطلب اليكسيوس
استراتيكيوس : اطلب ميخائيل السادس
استوديبي : اطلب ثيودوروس
استوديون : الدير والدولة ٣٢٨ - ٣٢٩
والعلم ٣٤٠ - ٣٤١

استيليكون : المدير ١٠٩
اسحق كومنينوس الفيلسوف ٢ : ١٠٤ -
١٠٥ والفن ٢ : ١٦٣ ، الثاني ٢ :

الكسندروس : البطريك الاسكندري ٥٦ -
 ٥٨ ، اخو لاوون السادس ٢ : ١٣
 اليكسيادة : ٢ : ١٦٥
 اليكسيوس : كومنينوس ٢ : ١١٣ ،
 الاول الفيلسوف ٢ : ١١٩ - ١٢٠ ،
 سياسته الداخلية ٢ : ١٣٣ - ١٣٤ ،
 والدين ٢ : ١٣٥ - ١٣٦ ، والرهبانية
 ٢ : ١٦٣ ، براناس وثورته ٢ : ١٧١ ،
 الثالث الفيلسوف ٢ : ١٧٢ - ١٨٦ ،
 استراتيغوبولس القائد ٢ : ١٩٨ ،
 ابو كوكوس ٢ : ٢٣٥
 امبراطور : صلاحياته ١٣ - ١٤ ،
 امبراطوران وقصران ٥٢
 امبروسوس : اسقف ميلان ١٠٠
 امّ دزين : والفتح الاسلامي ٢٥٠
 اميانوس : مرسلوس المؤرخ ١٥٠
 اميون : القتال عندها ٢٦٥
 اناطوليوس : البطريك ١٢٧ - ١٢٩
 اثوزة : والدة الذهبي الفم ١١٣
 انثيميوس : المدبر الحكيم ١١٦ - ١١٧
 اندراسوس : مغارة الكحل ٢ : ٣٥
 اندراوس : الدمشقي وانشيده ٢٨٦ - ٢٨٧
 اندرونيكوس : الاول الفيلسوف ٢ :
 ١٥٩ - ١٦١ ، الثاني الفيلسوف ٢ :
 ٢١٨ - ٢٢٥ ، ورتاؤه ٢ : ٢٢٦ ،
 الثالث الفيلسوف ٢ : ٢٢٦ - ٢٣٥ ،
 الرابع الفيلسوف وثورته ٢ : ٢٤٩ -
 ٢٥٠
 انجيل : الانجيل الاربعة ٤٠ - ٤١ ،
 دستور الدولة ٢ : ٨٨ - ٩٣

٢ : ٢٢٥
 افسيتاثيروس : البطريك الانطاكي ٥٧ ، اسقف
 بيروت ١٢٨ ، الفيلسوف ٢ : ١٦٤ ،
 الخطيب ٢ : ١٦٦
 افشين : قائد الخليفة المعتصم ٣٢٦
 افطوريانوس : اطلب ارسانيوس
 افلاطون : محبوه ٢ : ١٦٤
 افلاطونية : الجديدة ٢١ - ٢٣
 افلوطين : فلسفته ٢٠ - ٢١
 اقريطش : وصول العرب اليها ٣٢٢ - ٣٢٣
 هجوم الروم عليها ٢ : ٢٠ ، استيلاؤهم
 ٢ : ٣٤ ، اميرها والبطريك المسكوني
 ٢ : ١٠٠
 اقليمس : الاسكندري ١٤٣ - ١٤٤ ،
 الخامس بابا رومة ٢ : ٢١١
 اكايستون : نظمه ٢٢٩ - ٢٣٠
 اكاريتة : الفرق العسكرية ٢ : ٢١٧
 اكاكيوس : البطريك ١٣٣
 اكثيسيس : ٢٣٢ والمشادة حوله ٢٥٦ -
 ٢٥٧
 اكروبوليتس : جورج المعلم ٢ : ١٩٣ ،
 العالم ٢ : ٢٠٥ - ٢٠٦
 اكريتس : ملحمة ١٠١ - ١٠٢
 اكسربتة : مصنف قسطنطين السابع ٢ : ٩٩
 اكوييني : توما ٢ : ٢٧٠
 الاريكوس : ملك القوط ١٠٩ - ١١٠
 الايف : قائد القوط ٨٨
 آلائي : قبائل ٩٨
 ألب ارسلان : سلطان السلاجقة ٢ : ١٠٩
 الفونزو : الخامس ملك اسبانية ٢ : ٢٨٩

و ٢١٨ - ٢١٩ و ٢٣١ - ٢٣٢ ،
 مشاغبات الاب بولام ٢ : ٢٣٣ ،
 الفيلسوف يوحنا الثامن ٢ : ٢٤٦ -
 ٢٤٧ ، فشل البطريرك فيلوثيوس في
 روسية ٢ : ٢٤٨
 انطاكية : والنصرانية ٢٧ - ٢٨ ،
 بطريركها افسيتاثيريوس ٥٧ ، ويوليانوس
 الجاحد ٨٢ - ٨٤ ، والضجة فيها ٩٧ ،
 ويوحنا الذهبي الفم ١١٣ ، وسلطة
 بطريركها ١٢٨ - ١٢٩ ، خروج
 بطريركها بطرس القصار ١٣٤ ،
 وسوريوس بطريركها ١٣٨ ، ومدربتها
 ١٤٩ - ١٥٤ ، و بطريركها ذمنوس
 ١٨٤ ، وكسرى انوشروان ١٨٩ ،
 والمنذر الفساني ٢٠٤ ، ومؤرخها
 ملاس ٢١٣ ، والمشية الواحدة ٢٣١ ،
 والفتح الاسلامي ٢٤٥ - ٢٤٦ ،
 والمجمع السادس ٢٥٨ ، واندراس
 الدمشقي ٢٨٦ - ٢٨٧ ، والمجمع السابع
 ٣١٠ ، والايقونات ٣٢٧ ، وابن قارون
 ٣٣٧ ، وصول الروم الى ابوابها ٢ :
 ٣٢ ، ٤١ - ٤٢ ، و بطريركها
 ثيودوروس ٢ : ٤٦ ، والروم
 والفاطميون ٢ : ٥٦ - ٥٧ ، والانشقاق
 العظيم ٢ : ٧٦ - ٧٧ ، والسلاجقة
 ٢ : ١٠٩ ، ودوقها رومانوس الرابع
 ٢ : ١١١ - ١١٢ ، في حوزة السلاجقة
 ٢ : ١٢٤ ، ومشكلتها الصليبية ٢ :
 ١٢٩ - ١٣٢ ، بطريركها يذكر
 البابا في الذبيحة ٢ : ١٣٠ ، اماره

انجيلوس : الاسرة ٢ : ١٦٩ - ١٧٠
 انطاسيوس : الاول الامبراطور ١٣٤ -
 ١٣٩
 انسيلوس : الاسقف ٢ : ١٦٧
 انشقاق : في عهد ثيودوسيوس الثاني ١٢١ -
 ١٢٩ ، و كتاب الاتحاد ١٣٣ - ١٣٤ ،
 يوستينيانوس بزيه ١٨٠ - ١٨١ ،
 هرقل وخلفاؤه ٢٥٨ حول الايقونات
 ٣٠٢ - ٣٠٩ ، البابا وبعض الابريشيات
 ٣١٠ ، البابا يقيم امبراطوراً غربياً
 ٣١٢ - ٣١٣ ، والبطريرك فوطيوس
 ٣٣٠ - ٣٣٢ ، وكنيسة بلغارية ٣٣٣ ،
 وابريشيات ايطالية ٢ : ٨ - ٩ ،
 وكنيسة بلغارية ٢ : ١٠ و ٢٥ ، البابا
 يؤيد امبراطوراً غربياً ٢ : ٤٣ ،
 والانبثاق ٢ : ٥٢ ، البطريرك المسكوني
 ووالي الروم في ايطالية ٢ : ٧٠ ،
 العظيم ٢ : ٧١ - ٧٧ ، الوفد الغربي
 وزيارة القسطنطينية والقدس ٢ : ١٠٧ -
 ١٠٨ ، غريغوريوس السابع البابا ٢ :
 ١١٤ - ١١٥ ، واوربانوس الثاني
 ٢ : ١٢٥ - ١٢٦ ، وعمانوئيل
 الاول ٢ : ١٥٥ ، المناظرة بين
 انسيلوس ونيقياس ٢ : ١٦٧ ،
 انوشتيوش الثالث يتقرب ٢ : ١٧٤ -
 ١٧٥ ، والحلمة الصليبية الرابعة ٢ :
 ١٨٠ - ١٨١ ، والبابا غريغوريوس
 التاسع ٢ : ١٩١ ، وانوشتيوش
 الرابع ٢ : ١٩٩ - ٢٠٢ ، الفيلسوف
 وتوحيد الكنيستين ٢ : ٢١٢ - ٢١٥

اوروشليم : والقديسة هيلانة ٦٠ ، تصبح
 مركزاً بطريركياً ١٢٨ - ١٢٩ ،
 دخولها في طاعة الفرس ٢٢٤ ، والمشيمة
 الواحدة ٢٣٢ ، في طاعة العرب ٢٤٧ ،
 في طاعة الروم ٢ : ٤٩ ، ترميم كنيسة
 القبر ٢ : ٦٤ - ٦٥ ، بطريركها
 والانشقاق ٢ : ١٠٧ ، جمعها يشجب
 الاتحاد ٢ : ٢٨٤
 اوريجانس : الاسكندري ١٤٤ - ١٤٧
 اوطيخة : بدعته ١٢٥ - ١٢٦
 اوفيموس : العاقل البطريرك ٨٣٤
 اولاغ : القائد الروسي ٢ : ٢١
 اولفيلاس : القبطي وتنصر القوط ٨٨
 اونوريوس : بابا رومة والمشيمة الواحدة
 ٢٣١ - ٢٣٢
 ايرينة : الخزرية ٢٩٣ ، الفسيلسة والصقالبة
 والعرب ٢٩٦ - ٢٩٧ ، زوجة
 اليكسيوس كومنينوس ٢ : ١٣٨
 ايفاغريوس : المؤرخ السوري ٢١٢
 ايقونة : حرب الايقونات ٣٠٢ - ٣٠٩ ،
 ميخائيل الثاني والايقونات ٣١٩ ،
 وثيوفيلوس الاول ٣٢٤ - ٣٢٥ ،
 نصب الايقونات ٣٢٧ ، ولاون
 الخامس ٣١٧
 ايلة : النبي العربي واهلها ٢٣٨
 اينوتيكون : كتاب الاتحاد ١٣٣
 ايوب : البطريرك الانطاكي والايقونات
 ٣٢٧

رومية ٢ : ١٤٣ - ١٤٤ و ١٤٧ ،
 وعودة البطريرك الارثوذكسي اليها ٢ :
 ١٥٣ ، بطريركها اللاتيني ٢ : ٢٠١
 انطونيوس : الكبير شفيع الرهبان ١٠٣
 انطونيوس : البطريرك ٢ : ١٤ و ١٤٦ و ٥١
 انفوستيس : يوحنا المؤرخ ٢ : ٢٦٩
 انقرة : والنورمنديون ٢ : ١١٣ ، المعركة
 ٢ : ٢٦١
 انكشارية : الجند العثماني ٢ : ٢٤٥ - ٢٤٦
 انوشتيوش : الثالث بابا رومة ٢ : ١٧٤ -
 ١٧٥ و ١٨٠ - ١٨١ و ١٩٩ -
 ٢٠٢ ، السادس والروم ٢ : ٢٤٦
 اوتوريانوس : اطلب ميخائيل الرابع
 البطريرك
 اوثون : الاول الامبراطور وايطالية ٢ :
 ٤٣ ، الثاني ٢ : ٥٥ و ٥٥
 اوجانيوس : الثالث بابا رومة ٢ : ١٤٨
 اوربانوس الثاني بابا رومة والانشقاق ٢ :
 ١٢٥ - ١٢٦ ، الرابع وسياسته ٢ :
 ٦١٠ - ٢١١ ، الخامس والروم ٢ :
 ٢٤٦ - ٢٤٧ ، المغامر المجري ٢ :
 ٢٩١
 اورخان : السلطان فتوحاته ٢ : ٢٣٠
 و ٢٤٥ - ٢٤٦
 اورسيني : اطلب يوحنا
 اوروش : ملك الصرب ٢ : ٢٢١ - ٢٢٢ ،
 والارثوذكسية ٢ : ٢٢٦ ، وعرش
 الروم ٢ : ٢٢٧

- بابك : ثورته وثيوفيلوس ٣٢٥
 بايلون : والفتح العربي ٢٥٠
 باخوميوس : الراهب ١٠٣ - ١٠٤
 باخيميريس : جاورجيوس المؤرخ ٢ : ٢٦٧
 باردانس : جاورجيوس العالم ٢ : ٦٠٦ -
 ٢٠٧
 باري : وباسيليوس الاول ٢ : ٨
 باريز : ومكسيموس الامبراطور ٩٨ ،
 وعثمانوئيل الثاني ٢ : ٢٦٠
 باسكسينوس : ممثل البابا ١٢٧ - ١٢٨
 باسلاكس : اطلب نيقيفوروس
 باسيليوس : الكبير ويوليانوس ٧٩ ،
 والرهبة ٤ ، ١ ، مكاتته ١٦٠ - ١٦١ ،
 البطريرك الاوروشيمني والايقونات
 ٣٢٧ ، الاول الفسيلفس ٢ : ٣ -
 ١٣ ، ليكابينوس والبلاط ٢ : ٤٥ ،
 البطريرك المسكوني ٢ : ٤٦ ، الحصي
 ٢ : ٤٩ - ٥٠ ، الثاني الفسيلفس ٢ :
 ٤٩ - ٦٠ ، اكرتس وملحمته ٢ :
 ١٠١ - ١٠٢ ، دوق موسكو ٢ :
 ٢٤٨
 باطاجي : اطلب يوحنا الثالث
 بالاماس : اطلب غريغوريوس
 باليولوجوس : الاسرة ٢ : ١٨٣
 بانتوقراتور : المدير ٢ : ١٤٠ ، الكنيسة
 ٢ : ١٦٢
 بانس : قائد الروم ٢٤٣
 بايزيد : السلطان وقتوحاته ٢ : ٢٥٣ -
 ٢٥٩ ، وتيمورلنك ٢ : ٢٦٠ - ٢٦٢
 بتروناس : اخو برداس والعرب ٣٣٦
 بتشناغ : القبائل ٢ : ٦٨ - ٦٩ ، ثورته
- ٢ : ١٢٣ ، ويوحنا الثاني ٢ : ١٤٠
 برابرة : تدقهم ١٠٧ - ١٢٩
 براخامبيوس : قائد المرتزة ٢ : ١١٥
 براناس : اطلب اليكسيوس
 برداس : الوصي ٢ : ٥
 برداس : اسكايروس ٢ : ٥٠ ، عزله ٢ :
 ٢٤٩
 برداس : فوقاس ٢ : ٢٧ و ٢ : ٥٠
 برداس : الوصي وميخائيل الثالث ٣٢٧ ،
 يشجع العلم ٣٣٩
 برقة : المعركة ٢٧١
 برلام : الاب ومهمته لدى البابا ٢ : ٢٣٠ ،
 يثير الشعب في آثوس ٢ : ٢٣٣ ،
 واليقظة في ايطالية ٢ : ٢٧٧
 برناردوس : البطريرك ٢ : ١٣٠ ، القديس
 ٢ : ١٤٧ - ١٤٨
 بروكوبيوس : نسيب يوليانوس ٨٤ ،
 المؤرخ ٢١١
 بريانوس : اطلب نيقيفوروس
 بريسقوس : والآفار ٢٠٨ ، القائد ٢٢٣
 بسلوس : ميخائيل وجامعة القسطنطينية ٢ :
 ٦٧ ، العالم ٢ : ١٠١ و ٩٩
 بشناق : دخولهم في طاعة العثمانيين ٢ : ٢٥٤
 بطرس : بطريرك الاسكندرية وكتاب
 الاتحاد ١٣٣ ، القصار بطريرك انطاكية
 ١٤٤ ، المؤرخ ٢١٢ ، بطريرك
 انطاكية والانشقاق ٢ : ٧٦ - ٧٧ ،
 الناسك ٢ : ١٢٦ ، كورتناي
 الامبراطور ٢ : ١٨٨ - ١٨٩ ،
 توما القائد ٢ : ٢٤٦

بنطيس : النابعة ١ : ٣
 بنديكتوس : الثاني عشر والانشقاق ٢ :
 ٢٣١
 بهرام : الثاني ملك الفرس ٤٩ ، الثالث
 ٤٩ - ٥٠
 بوتانياتس : اطلب نيقيفوروس
 بودوان : الثالث ملك القدس ٢ : ١٥٣
 بورجس : القائد وانطاكية ٢ : ٤١ -
 ٤٢
 بورفيروس : فلسفته ٢٢ ، والنصرانية ٨١
 بوزن : المعركة ٣٣٧
 بوسته : المعركة ١٩٠
 بوسيكو : المارشال ٢ : ٢٥٧
 بوغريس : خاقان البلغار ٣٣٢ ، الملك
 يتنازل ٢ : ٤٧
 بولس : الرسول ٢٨ - ٣٠
 بولس : السمساطي الاسقف ١٥٠
 بولس : الصامت الشاعر ٢١٦
 بولسيون : اضهادم ٣٣٤ ، وباسيليوس
 الاول ٢ : ٦ ، وعمانوئيل الاول ٢ :
 ١٥٦
 بونيفاكتوس : البطريرك ٢ : ٤٥
 بونوس : والي القسطنطينية ٢٢٥
 بونيفاتيوس : مر كيز موتنفرات ٢ :
 ١٧٩ ، ملك نيسالونيكية ٢ : ١٨٨ -
 ١٨٩
 بوهموند : النورمندي ٢ : ١٢٧
 بويانس : قائد الروم في ايطالية ٢ : ٥٩ ،
 عزله ٢ : ٦٥ - ٦٦
 بيبرس : السلطان حامي الاسلام ٢ : ٢١٦

بطريق : ابو يحيى والترجمة ٣٤٦
 بفة : اهميتها الاقتصادية ٢ : ٢٣٠ - ٢٣١
 بكتاشية : الطريقة والانكشارية ٢ : ٢٤٥
 بلانوذس : مكسيموس اللغوي ٢ : ٢٧٣
 بلدين : امبراطور ٢ : ١٧٩
 بلشيرية : شقيقة الامبراطور ثيودوسيوس
 الثاني ١١٦ ، زوجة مرقيانوس ١٣٠
 بلغار : القبائل ٢٧٧ ، والروم ٣١٦ ،
 تنصرم ٣٣٢ - ٣٣٣ ، ولاون
 السادس ٢ : ٢٠ - ٢١ ، والقسطنطينية
 ٢ : ٢٤ - ٢٦ ، وصموئيل ملكهم ٢ :
 ٥٤ ، ٥٦ و ٥٧ ، ويوحنا آسن ٢ :
 ١٧٠ ، والصليبيون ٢ : ١٨٤ -
 ١٨٦ ، تحالفهم مع الروم ٢ : ١٩٠
 بلهيدي : اطلب نيقيفوروس
 بلثون : اطلب غمستون
 بلاساريوس : القائد وثورة النصر ١٧١ -
 ١٧٢ ، والحرب الفارسية ١٨٦ -
 ١٨٧ ، والحرب الافريقية ١٨٧ -
 ١٨٨
 بليكانون : المعركة ٢ : ٢٣٠
 بلفيلوس : البيروتي ١٥٤ - ١٥٥
 بندقية : وباسيليوس الثاني ٢ : ٥٩ ، حليفة
 الروم ٢ : ١٢٤ ، ويوحنا الثاني ٢ :
 ١٤٠ - ١٤١ ، حليفة الروم ٢ :
 ١٥٠ ، والحلمة الصليبيه الرابعة ٢ :
 ١٧٥ ، امبراطوريتها ٢ : ١٨٢ ،
 وجنوى ٢ : ١٩٧ - ١٩٨ و ٢٢١
 و ٢٤٠ ، ويوحنا الخامس ٢ : ٢٤٣ -
 ٢٤٤ ، تدافع عن الروم ٢ : ٢٤٧

- بيت لحم : والقديسة ميلانة ٦٠
بيروت : الضجة فيها ٩٧ ، اسقفها واسقف
صور ١٢٨ ، ابنها بمفيلبوس ١٥٤ -
١٥٥ ، متروبوليس ١٥٨ ، مدرستها
١٥٧ - ١٥٩ ، مرتلها رومانوس
١٥٩ ، زلزالها ١٧٤ ، اساتذتها
١٧٩ ، تعود الى طاعة الروم ٢ : ٤٩
بيروس : البطريك ٢٥٤
بيزنطة : وقسطنطين الكبير ٦١ - ٦٤
بيساريون : الكردينال ٢ : ٢٧٠ ،
٢٧٧ - ٢٧٨
بيلاجيوس : القاصد ٢ : ٢٠١
تتر : والروم ٢ : ١٩٢
تنش : امير دمشق ٢ : ١٢٤
ترتوم : وباسيليوس الاول ٢ : ٨
تريفيزانو : الاميرال ٢ : ٢٩٠
تريكلينوس : ديمتريوس العالم ٢ : ٢٧٥
تفرانس : السابع ملك ارمينية ٧٥
تفريقية : في يد الروم ٢ : ٦
تهوذة : المعركة ٢٦٣
توتيلة : والشعب في ايطالية ١٩٠
توما : الانجيلي ٣١ - ٣٢ ، الصقلي
وثورته ٣٢٠ - ٣٢٢
تيوس : والمشئة الواحدة ٢٥٧
تيريدانس : الثالث والنصرانية ٧٥
تيموثاوس : البطريك الاسكندري ٩٣ ،
البطريك القسطنطيني ١٣٨
تيمورلنك : وبازيد والروم ٢ : ٢٦٠ -
٢٦٢
- ثيسالونيكية : مقر ثيودوسيوس ٨٩ ،
والآفار ٢٠٨ ، ولاون الطرابلي
٢ : ١٩ ، عاصمة مونترفرات ٢ : ١٨٠ ،
في عهد الصليبيين ٢ : ١٨٨ - ١٨٩
ثيسالية : مجمعها والفيلسوف ٢ : ٢١٣
ثيمة : نظامها ٢٧٨ - ٢٧٩ ، ولاون
الثالث ٣٠١ - ٣٠٢ ، القرن التاسع
٢ : ١٩ ، قيليقيية ٢ : ٤١
ثيودورة : زوجة يوستينيانوس ١٦٩ -
١٧٠ ، والغاسانة ٢٠٣ ، زوجة
ثيوفيلوس الاول ٣٢٤ ، ام ميخائيل
الثالث ٣٢٧ ، ابنة قسطنطين التاسع
٢ : ٧٧ - ٧٨
ثيودوروس : المبسوتي ١٥١ ، واجنادين
٢٤١ - ٢٤٢ ، تريثوروس القائد
٢٤٤ ، الراهب ٣٤٠ ، الاول
الفيلسوف ٢ : ١٨٢ - ١٨٧ ،
ذيسبوتس ابيروس ٢ : ١٨٨ ، الثاني
الفيلسوف ٢ : ١٩٣ - ١٩٩ ،
الاستوديي ٢ : ٢٣٢ ، بالولوغوس
٢ : ٢٥٦ و ٢٥٨
ثيودوريطس : الاسقف والقديس مارون
١٠٥ ، اسقف قوروش ١٥٢ ،
البطريك الانطاكي والمجمع السابع ٣١٠
ثيودوريكوس : ملك القوط ١٣٢ - ١٣٣
ثيودوسيوس : الكبير الامبراطور ٨٦ -
١٠١ ، اسرته ١٠٧ - ١٠٨ ، الثاني
١١٦ - ١٢٩ ، اخو قسطنطين الثالث
٢٥٧ الساحر ٢ : ١٤ ، البطريك

جورجي : ملك الكرج ٢ : ٦٥
جيش : انخطاطه ١٢ - ١٣ ، وقسططين
الكبير ٦٨ - ٦٩ ، والعناصر البربرية
٩٨ ، وبوستينوس الثاني ١٩٦ ،
تمرده ٢٠٩ - ٢١٠ ، النار الاغريقية
٢٦٢ ، اساليب الدفاع ضد المسلمين
٢٩٤ - ٢٩٦ ، ولاون الثالث
٣٠٠ - ٣٠٢ ، ولاون السادس ٢ :
١٨ ، وتنظيمه في القرن العاشر ٢ :
٣٧ - ٣٩ ، جيش الساسانيين ٤٦ -
٤٧

حارث : ابن جبلة ١٨٧
حاكم : الحاكم بامرهم والروم ٢ : ٥٦ و ٥٧
٦٥
حيب : بنو حبيب دخولهم في النصرانية ٢ :
٣٠ - ٣١
حجاج : ابن قطر والقسططينية ٣٤٦
حدث : دربها ٢٩٥ ، استيلاء الروم
عليها ٢ : ٣٢
حرير : ادخال دوده الى لبنان والجزر
١٧٦ - ١٧٧ ، اباحة سره ٢ :
١٥٠
حلب : استيلاء سيف الدولة عليها ٢ : ٣٢ ،
نيقيفوروس يحاصرها ٢ : ٣٦ ،
سقوطها في يد الروم ٢ : ٤٢ و ٤٥
و : ٦ ، اميرها حليف الروم ٢ : ١٥٧
حصص : اسقفها يوسيبوس ١٦٢ ، وسيف

المسكوني ٢ : ١٥٦ و ١٥٩
ثيوديتوس : البطريك ٢ : ١٥٥
ثيوفانس : المؤرخ ٢١٢ ، اكمال تاريخه ٢ :
١٠٠ ، المعترف ٣٤٢ - ٣٤٤
ثيوفانو : زوجة رومانوس ابن قسططين
السابع ٢ : ٣٤
ثيوفيلاقنوس : المؤرخ ٢١٢ ، بطريك
القسططينية ٢ : ٢٧
ثيوفيلوس : البطريك الاسكندري ١١٣ -
١١٤ و ١٢٢ - ١٢٣ ، الفيلسوف
٣٢٣ - ٣٢٧ ، ابن غرغون القائد
٢٧ : ٢
ثيوكتستوس : عم ثيودورة الوصية ٣٢٧

جاية : مؤتمرها ٢٤٨
جامعة القسططينية ٣٣٩ - ٣٤٠ و ٢ :
٦٧
جاورجيوس : البطريك ٢٥٨ ، البسيدي
الشماس الشاعر ٢٨٤ ، الراهب المؤرخ
٣٤٥ ، موزالن الوصي ٢ : ١٩٦
جبلة : عودتها الى الروم ٢ : ٤٢
جبيل : عودتها الى الروم ٢ : ٤٩
جرجان : ملك ابيرية ١٨٦
جرمان : القبائل ١٧ - ١٨
جلباط : المعركة ٢ : ٣٢
جناديوس : البطريك اللاهوتي ٢ : ٢٧١
و ٢٩٠
جنوى : طرد ابناءها من القسططينية ٢ :
١٩٧ ، والبندقية ٢ : ٢٤٠ - ٢٤١

خلفيدونية : مجعها ١٢٥ - ١٢٩
خليل : زعيم الاتراك في تراقية ٢ : ٢٢٦ ،
ابن اورخان ٢ : ٢٤٣
خارويه : وسلطته على دمشق ٢ : ٦
خندق : سقوطها في يد الروم ٢ : ٣٤ - ٣٥
خومنوس : نيقيفوروس اللاهوتي الفيلسوف
٢ : ٢٧٣
خونياتي : اطلب نيقيتاس
خيوس : في حوزة اندرونيكوس الثالث
٢ : ٢٣٠

دافن : المعركة ٢٤٠
دارا : بليساريوس يصمد فيها ١٨٦ ، سقوطها
في يد الفرس ٢٠٠ ، في يد الروم ٢ :
٤١ و ٣٧
داميانوس : دلاسانوس دوق انطاكية
٢ : ٥٦
دانوب : وصول الاتراك اليه ٢ : ٢٤٨
دارد : ملك الكرج ٢ : ٥٧
درب : الجوزات وانهمزام سيف الدولة ٢ :
٣٣ ، درب السلامة ٢٩٤
دردنيل : اورخان يعبره ٢ : ٢٣٠
دفة : ويوليانوس الجاحد ٨٣
دلغ : عاصمة الاتراك ٢٠١
دلسانة : اطلب حنة
دماسوس : بابا رومة والمجمع الثاني ٩٦
دمشق : والفتوح العربي ٢٤٠ و ٢٤٣ ،
اندراس شماسها المرتل ٢٨٦ - ٢٨٧ ،

الدولة ٢ : ٣٢ ، استيلاء الروم عليها
٢ : ٤٢ و ٥٦
حمير : تدخل كسرى في شؤونها ١٩٩
حنة : كومنية ٢ : ١٠١ ، دلسانة ٢ :
١٢١ و ١٣٨ ، آغني ابنة لويس السابع
٢ : ١٥٨ ، كومنينوس والتاريخ ٢ :
١٦٥ ، المجرية ٢ : ٢١٩ ، زوجة
اندرونيكوس الثالث ٢ : ٢٤٤ -
٢٣٥
حيرة : ملكها يدخل في النصرانية ٢٠٦

خاريطون : البطريرك ٢ : ١٥٦
خالد : ابن الوليد ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٣
خالقونديليس : مؤرخ الاتراك ٢ : ٢٦٨
خالكي : ديرها وفوطيوس العظيم ٢ : ١٤
خرشنة : لاوون يحشد فيها ٢ : ٣٣
خرمية ، طائفهم وثيوفيلوس ٣٢٥
خريساقيوس الحصي : والمجمع الخلفيدوني ١٢٦
خريسانطوس : الفيلسوف ويوليانوس ٧٩
خريستوفوروس : البطريرك الاسكندري
٣٢٧
خريستوخة : والرهبان ٢ : ١٣٧
خريسوبوليس : المعركة ٢ : ٥٠
خريسوخيروس : البولسي ٢ : ٦
خريسولوراس : عمانوئيل والادب واليقظة
٢ : ٢٧٧
خزر : القبائل وهرقل ٢٢٧ ، ولاوون
الثالث ٢٩٣

- تعمرف بسيادة الروم ٢ : ٤٨ ،
والصليبيون ٢ : ١٤٩
- دمياط : وصول الروم اليها ٣٣٥
دندولو : اطلب اسطفان وهنريكوس
دوروثاوس : القس الانطاكي ١٥٠
دوريلة : والصليبيون ٢ : ١٤٩
دو زمانة : المعركة ٣٢٦
دوس : كتيبة المنذر ١١٨
دوشان : اطلب اسطفان
دوكاس : المؤرخ ٢ : ٢٦٨
دوكة : قسطنطين الفيلسفس ٢ : ١٠٦ -
١٠٨
دومينوس : رئيس اساقفة البندقية والانشقاق
٢ : ٧٦
دومينيكوس : كاتان مطامعه ٢ : ٢٣١
ديجينيس : اكرتيس ملحمته ٢ : ١٠١ -
١٠٢
ديراتزو : حصارها ٢ : ١٢١ و ١٣١ -
١٣٢
ديترترة : المعركة ٢ : ١٧٠
ديوجانس : رومانوس الفيلسوف ٢ : ١٠٨
ديودوروس : الطرسوسي ١٥١
ديوسقوروس : البطريرك الاسكندري
١٢٦ - ١٢٩ ، الشاعر ٢١٦
ديوقليتيانوس : الامبراطور اصلاحاته ٥١
٥٢ و ٦٥ - ٦٨
ديونيسيوس : البطريرك الانطاكي ١٤٧
ذمنوس : البطريرك الانطاكي ١٨٤
ذيديميس : الاعمى ١٤٨
- رايينة : آثارها الفنية ٢١٨ - ٢١٩
رسائل : الرسل ٤١ - ٤٢
رسل : وتلاميذ واخوة ٢٤ - ٢٥
رشيد : الخليفة والنقل عن اليونانية ٣٤٦
رصافة : وتنصر النعمان ٢٠٦
رملة : في طاعة الروم ٢ : ٤٩
رها : مدرستها ١٦٢ - ١٦٣ ، ومنياكس
٢ : ٦٥ ، وعماد الدين ٢ : ١٤٧ ،
والصليبيون ٢ : ١٤٩
رهبانية : ظهورها وانتشارها ١٠٢ -
١٠٦ ، واصلاحها ٢ : ١٣٧
روبير : غيسكار ومطامعه ٢ : ١٢٠ -
١٢١ ، دي فلاندر والفيلسفس ٢ :
١٢٨ ، كورتناي امبراطور القسطنطينية
٢ : ١٨٨ - ١٨٩
روجه : الثاني النورمندي والروم ٢ : ١٥٠
رودوس : قانونها البحري ٣٠٠ - ٣٠١ ،
والقرصنة والاستباليون ٢ : ٢٢٥
رودوستو : سقوطها في يد الاتراك ٢ : ٢٣
روس : عند القسطنطينية ٣٣٧ و ٢ : ٢١ ،
حلفاء الروم ٢ : ٤٤ ، طمعهم ٢ :
٤٦ - ٤٧ ، تنصرم ٢ : ٥٣ ، تجارم
في القسطنطينية ٢ : ٦٨
روسل : دي بايول ٢ : ١١٣
روفينوس : مدبر اركاديوس ١٠٨
رومانوس : المرتقل البيروتي ١٥٩ ، قائد
الروم ٢٠١ ، الاول الفيلسفس ليكاينوس
٢ : ٢٣ - ٢٧ ، الثاني والشهوة ٢ :

- ساسان : الدولة ٤٣ - ٥٠
 ساسون : زعيمها طورنيق ٢ : ١١٥
 ساعة : ساعات لاوون الرياضي والدفاع
 العسكري ٢٩٥
 سامرة : ثورتها ١٨٠
 سداسي : مصنف هرمنوبولس في القانون
 ٢ : ٢٧٥
 سرجيوس : البطريرك وهرقل ٢٢١ و ٢٢٥ ،
 وحصار القسطنطينية ٢٢٨ - ٢٣٠ ،
 والمشيئة الواحدة ٢٣١ ، بابا رومة
 وزواج لاوون ٢ : ١٦ ، البطريرك
 والبابا ٢ : ٥٢
 سرقوسة : سقوطها في يد المسلمين العرب ٢ :
 ٨
 سعد الدولة : الحمداني ٢ : ٥٤
 سكواريوس : جاورجيوس وجمع فراري
 ٢ : ٢٨٢ - ٢٨٣
 سلاجقة : وحدود آسية الصغرى ٢ :
 ٦٩ - ٧٠ ، توحيد كلمتهم ٢ : ١٥٧ ،
 اخبارهم ٢ : ١٠٩ - ١١٠ ، ازدياد
 نفوذهم ٢ : ١٢٤ ، وملكشاه الثاني ٢ :
 ١٣٢ - ١٣٣
 سلامة : درب ٢٩٤
 سلطان : استعمال هذا اللقب ٢ : ١٥٦
 سلوتيوس : خلف يوليانوس الجاحد ٨٦
 سلوقية : على دجلة ويوليانوس ٨٥
 سليمان : ابن عبد الملك والقسطنطينية ٢٧٣ -
 ٢٧٤ ، قتلش قائد السلاجقة ٢ :
 ١١٣ و ١٢٤
 سمان : ملك البلغار والروم ٢ : ٢٠ - ٢١
 ٣٤ ، ارجيروس ٢ : ٦١ - ٦٢ ،
 الثالث الفيلسوف ٢ : ٦٢ ، اسكليروس
 ٢ : ٦٧ - ٦٨ ، والبطريك ٢ :
 ١٠٠ ، الرابع ٢ : ١٠٨ - ١١١
 رومة : تفقرها الداخلي ٩ - ١٩ ،
 اسقفها ٣٨ وعرب صقلية ٢ : ٧
 روملي : حصار القلعة ٢٨٩
 رومولوس : آخر الاباطرة ١٣٢
 رينو : امير انطاكية ٢ : ١٥٢ -
 ١٥٣
 زارة : حصارها ٢ : ١٧٦
 زبطرة : قلعتها ٢٩٤ ، وثيوفيلوس الاول
 ٣٢٥
 زبلي : قسطنطين الخامس ٣٠٧
 زفلينيس : رئيس كلية الحقوق ٢ : ٦٧
 زكريا : الاسرة الجنوبية ٢ : ٢٣٠
 زلازل : بيروت والساحل اللبناني ١٧٤
 زهير : وموقعة برقة ٢٧١
 زورناراس : المؤرخ ٢ : ١٦٦
 زوية : كاربونوبسينا ٢ : ١٥ ، زوجة
 ميخائيل الرابع ٢ : ٦٢ - ٦٣
 زياد : الحصن وسيف الدولة ٢ : ٣١
 زيادة : الله وصقلية ٣٢٢
 زيغابينوس : اطلب افيتموس
 زينون الامبراطور ١٣١ - ١٣٢
 ساتورنينوس : القائد ٩١
 ساروس : النهر وهرقل ٢٢٦

- شرحبيل : والشام ٢٤٠
 ششان : ملك البلغار ٢ : ٢٥١
 شمشيق : يوحنا اطلب جيمسكي
 شهباء : كتيبة المنذر ١١٨
 شهربراز : القائد الفارسي ٢٢٤ - ٢٢٨
 شيرويه : ابن ابرويز ٢٢٧
 شينيون : القبائل وفارس ٧٦
- ٢٥ - ٢٦ ، والبطريك ٢ : ١٠٠
 المايستر وتاريخه ٢ : ١٠٠
 سواتوسلاف : امير الروس ٢ : ٤٤
 و٤٦ - ٤٧
 سولاخان : المعركة ٢٠١
 سويداس : قاموسه ٢ : ١٠٠
 سويروس : بطريك انطاكية ١٣٨
 سويرينوس : بابا رومة والمشيئة الواحدة
 ٢٣٣
 سوسندرة : الدير ٢ : ١٩٦
 سيجموند : والاتراك ٢ : ٢٥٤ ،
 واخفاقه في نيقوبوليس ٢ : ٢٥٧
 سيرابيس : هدم هيكله في الاسكندرية
 ١٠٠
 سيروبولوس : سيليفستروس مؤرخ مجمع
 فلورنزة ٢ : ٢٦٩
 سيرين : زوجة ابرويز المسيحية ٢٠٧
 سيسان : الامير حليف عثمان ٢ : ٢٢٥
 سيسينيوس : الثاني البطريك ٢ : ٥١
 سيف الدولة : اصله ٢ : ٢٩ ، حروبه مع
 الروم ٢ : ٣٢ - ٣٦ ، ومفارة
 الكحل ٢ : ٣٥
 سياخوس : يدافع عن الوثنية ١٠٠
 سيناسيوس : القبروني ١٤٨
- صارخة : سقوطها في يد سيف الدولة ٢ :
 ٣٣
 صامتون : حركة رهبانية ٢ : ٢٣٣
 صرب : مطامعهم ٢ : ٢٢١ - ٢٢٢
 صروخان : في حوزة العثمانيين ٢ : ٢٥٣
 صفرونيوس : البطريك والمشيئة الواحدة
 ٢٣٢ ، وسير القديسين ٢٨٦ ،
 والانشقاق ٢ : ١٠٧
 صقالبة : القبائل والبلقان ٢٠٧ - ٢٠٨
 و٢٣٠ و٢٧٥ - ٢٧٦ ، تنصرهم ٣٣٢
 صقلية : في يد العرب ٢ : ٢٠ ، الحملة عليها
 ٦٦ : ٢
 صليب : والقديسة هيلانة ٦٠ ، والفرس
 ٢٢٤ ، وهرقل ٢٢٨
 صليبيون : حروبهم ٢ : ١٢٥ - ١٣٢
 و١٤٧ ، ١٤٩ و١٧٥ - ١٨١
 صوئيل : ملك البلغار ٢ : ٥٤ ، ٥٦ و٥٧
 صواري : ذات : الموقعة البحرية ٢٥٦
 صور : اسقفها واسقف بيروت ١٢٨
 صوفية : زوجة يوستينوس الثاني ١٩٥ ،
- شابور : الاول ٤٧ ، الثاني ذو الاكتاف
 ٧٥ - ٧٦
 شارلمان : امبراطور الغرب ٣١٣
 شاهين : القائد الفارسي ٢٢٤ - ٢٢٨

- عبدالله : البطال بطل الاتراك ٢٩٣ ،
 الهاشمي والجدل ٣٤٧
 عبد الملك : يفاوض الروم ٢٦٤ ،
 ويوستينيانوس الثاني ٢٦٤ - ٢٦٧
 عثمان : والاسطول العربي ٢٥٥ ، السلطان
 العثماني ٢ : ٢٢٢ و ٢٣٠
 عذراء : السيدة حامية القسطنطينية ٢٢٨
 - ٢٣٠ و ٢ : ٢٥
 عربية : الوادي ٢٤٠
 عرقة : سقوطها في يد الروم ٢ : ٤٢
 عزيز : العزيز الفاطمي وباسيلديوس الثاني
 ٢ : ٥٤ - ٥٥
 عسقلان : والعرب ٢٣٩
 عقبة : ابن نافع ٢٦٣
 عكة : والاسطول العربي الاول ٢٥٥ ،
 في طاعة الروم ٢ : ٤٩
 علي : ابن يحيى والروم ٣٣٥
 عماد الدين : زنكي السلجوقي ٢ : ١٤٢
 عمانوئيل : القائد ومصر ٢٥٥ ، الاول
 الفسيفس سيد سورية ٢ : ١٥٢ -
 ١٥٣ ، يطعم في ايطاليا ٢ : ١٥٤ -
 ١٥٥ ، الثاني البطريرك ٢ : ١٩٣ ،
 امبراطور طرابزون ٢ : ١٩٧ ،
 الثاني الفسيفس ٢ : ٢٥٩ - ٢٦١
 و ٢٦٣ - ٢٦٥ ، والعلم ٢ : ٢٦٧
 عمر : الكبير والروم ٢٤٢ - ٢٤٥ ،
 ابن عبدالله والروم ٣٣٧
 عمرو : ابن العاص ٢٤٠ ، ومصر ٢٥٠ -
 ٢٥١

- صيدا : دخولها في طاعة الروم ٢ : ٤٩
 طبرية : في يد الروم ٢ : ٤٨
 طرابلس : تصمد في وجه الروم ٢ : ٦٥ ،
 في حمايتهم ٢ : ٦٥
 طراسيوس : البطريرك والبابا ادريانوس
 الاول ٣١٠
 طرسوس : سقوطها في يد الروم ٢ : ٤٢
 طرطوس : سقوطها في يد الروم ٢ : ٤١
 طغرل : ارسلان امير السلاجقة ٢ : ٦٩
 و ١٤١ ، وبغداد ٢ : ٧٨
 طوروس : امير قيقية الارمني ٢ : ١٥٢
 طورنيق : ابن موشيل زعيم ساسون ٢ :
 ١٤١
 طورنقيوس : الارمني والمناداة به فسيفساً
 ٢ : ٦٨
 طوزلة : المعركة ٢ : ٢٣٠
 طيباريوس : الثاني الامبراطور ١٩٦ -
 ١٩٧
 طيسفون : ويوليانوس الجاحد ٨٥ ،
 وجمعها ١١٧
 طياوس : كتاب افلاطون ١٩
 عازار : ملك الصرب ٢ : ٢٥١
 عاصي : الموقعة ٢ : ٥٦
 عباس : ابو الاغاب وصقلية ٣٣٤
 عبد العزيز : القرطي واقريطش ٢ : ٣٤ -

٥٢ - ٥١

غفار : الآريوسي ١٨٧

غليقاس : المؤرخ ٢ : ١٦٦

غيمستوس : جاورجيوس الفيلسوف ٢ :

٢٧٢ و ٢٧٧ - ٢٧٨

غناسيوس : يوسف المؤرخ ٢ : ١٠٠

غودفري : دي بويون واليكسيوس ٢ :

١٢٧

غيسكار : روبر النورمندي ٢ : ١٠٩

غيور : حزب الغيورين ٢ : ٢٣٢

فارس : الحرب بينها وبين قسطنطينوس

٧٥ - ٧٦ ، ويوليانيوس ٨٤ - ٨٥ ،

ويوفيانوس ٨٦ ، وثيودوسيوس ٩٦ -

٩٧ ، صداقتها ١١٧ - ١١٨ ،

وانسطاسيوس الاول ١٣٦ - ١٣٧ ،

ويوستينيانوس الاول ١٨٥ - ١٨٩ ،

ويوستينوس الثاني ١٩٩ - ٢٠٠ ،

وهرقل ٢٢٣ - ٢٢٨

فاطمي : الدولة الفاطمية ٢ : ٤٧ - ٤٨ ،

المستمر ٢ : ٦٩ و ٧٨

فاوسطة : زوجة قسطنطين الكبير ٦٠

فحل : المعركة ٢٤٣

فرات : الحد الفاصل ٢ : ٣٤

فراري : المجمع ٢ : ٢٨٠ - ٢٨٦

فراس : ابو قصيدته في موقعة جلباط ٢ :

٣٢

عموري : الاسرة ٣١٩ - ٣٢٠

عمورية : دخول العرب اليها ٣٢٦

عين زوبا : في يد الروم ٢ : ٣٥ - ٣٦

غازي : السيد بطل الاتراك ٢٩٣

غالوس : قيصر ٧٤

غاليولي : والفرسان المغاور ٢ : ٢٢٥ ،

والاتراك ٢ : ٢٤٢

غائناس : زعيم القوط ١١٠ و ١١٢

غراتيانوس : يفاوض القوط ٩٠

غراماتيكيوس : اطلب نيقولاووس الثالث

غرعون : القائد ٢ : ٢٧

غريغوراس : نيقيفوروس المؤرخ ٢ :

٢٦٧

غريغوريوس : الناذاينزي ويوليانيوس ٧٩ ،

سيرته ٩٢ - ٩٣ و ١٥٩ - ١٦٠ ،

النيسي ١٦١ ، بطريك انطاكية ٢٠٤ ،

المظيم بابا رومة ٣٠٤ - ٣٠٥ ، السابع

بابا رومة والانشقاق ٢ : ١١٤ -

١١٥ ، التاسع البابا والروم ٢ : ١٩١ ،

العاشر البابا وسياسته ٢ : ٢١٢ - ٢١٣ ،

بالاماس والرهبان ٢ : ٢٣٣ ، الحادي

عشر البابا والروم ٢ : ٢٤٩ ، القبرصي

اللاهوتي ٢ : ٢٧١

غان : القبائل ويوستينيانوس ١٨٧ ،

وخلفاؤه ٢٠٢ - ٢٠٧ ، بنت جبلة

وحصار القسطنطينية ٢٦١

غلاريوس : الامبراطور وقسطنطين الكبير

١٨٥ - ١٨٤

- فيافو : العالم الايطالي والروم ٢ : ٢٧٨
فيليكس : الثالث بابا رومة وكتاب الاتحاد
١٣٣
فيلهاردون : اطلاقه من الاسر ٢ : ٢١٠
فيلوثيوس : البطريك وفراره ٢ : ٢٤٤ ،
والاتراك ٢ : ٢٤٨
فيلون : فلسفته ٢١
فيليبكوس : قائد الروم ٢٠٠ ، وارمينية
٢٢٤ ، البرداني ٢٧٢

قار : ذو ، المعركة ٢٤٠
قبة الصخرة : والفن البيزنطي ٢ : ٢١٦
قبحاق : والماليك ٢ : ٢١٦
قبدوقية : مدرستها ١٥٩ - ١٦٢
قبرص : هجوم المسلمين عليها ٢٥٥ - ٢٥٦ ،
خروجهم منها ٢٦٤ ، عودتها الى الروم
٢٩٤
قدس : ال ، سقوطها ٢ : ١٧١
قراطيس : حربها ٢٦٦
قرباص : والروم ٣٣٧
قرطاجة : دخول بليسايريوس اليها ١٨٨
قرغويه : ينجد ابن سيف الدولة ٢ : ٤٢ ،
يعترف بحماية الروم ٢ : ٤٢
قرفيسية : موريقوس عندها ٢٠٠ ،
وابرويز ٢٢٣
قرميدون : المقدسة ٢ : ٤١
قسطا : ابن لوقا ينقل عن اليونانية ٣٤٦
قسطندل : المعركة ٢ : ٢٢٩

- فرائنجيس : جاورجيوس المؤرخ ٢ : ٢٦٨
قرما : القتال عندها ٢٥٠
فرنسيسكان : الرهبان الخمسة ٢ : ٢٠٦
فروسينة : وثيو فيلوس الاول ٣٢٤
فريتيرن : قائد القوط ٨٨
فريجية : ثورة القوط ١١٢
فريديريكوس : الاول الامبراطور
وايطالية ٢ : ١٥١ - ١٥٢ ، الثاني
واسحق القسيفلس ٢ : ١٧١ - ١٧٢
فستا : نصه الرسمي ٧٥
قسيفلس : صلاحياته وبلاطه ٢ : ٨٠ - ٨٣
فصول : كتاب الفصول الثلاثة ١٨٢ - ١٨٤
فضل : ابن قارون وانطاكية ٣٣٧
ققسس : اطلب يوحنا
فلاخ : في طاعة العثمانيين ٢ : ٢٥٤
فلاديير : امير كيتف ٢ : ٥٠
فلورنزة : مجيها ومؤرخه ٢ : ٢٦٩
فن : الفن البيزنطي ١٦٣ - ١٦٤ و ٢ :
١٠٣ - ١٠٢
فوطيوس : اسقف صور ١٢٨ ، العظيم
٣٣٠ - ٣٣٢ ، والعلم ٣٣٩ - ٣٤٠ ،
وناسيليوس الاول ٢ : ٩ ، براء من
الانشقاق ٢ : ١١ ، ولاوون السادس
٢ : ١٤ ، ودير خالكبي ٢ : ١٤ ،
والعلم ٢ : ٩٨ - ٩٩
فوقاس : الامبراطور ٢٠٩ - ٢١٠
فوقة : واسرة فينوزو ٢ : ٢٣٧
فيتاليانوس : ثورته ١٣٩
فيثاغوروس : فلسفته ١٩
فيجيليوس : بابا رومة والمجمع الخامس

٢ : ١٦١ - ١٦٨ ، ومدارسها ٢ :
١٦٤ ، وحصار الصليبيين ٢ : ١٧٨ -
١٧٩ ، وخروج اللاتين منها ٢ :
١٩٧ - ١٩٩ ، وانقسامها على نفسها
٢ : ٢٢٦ ، سقوطها ٢ : ٢٨٨ -
٢٩٦

قضاء : ثيودوسيوس الثاني ١١٩ - ١٢٠ ،
يوستينيانوس ١٧٨ - ١٧٩ ، لاوون
الثالث ٢٩٨ - ٣٠١ ، موجز الحقوق
لاتاليتاس ٢ : ١٠٢ ، وباسيليكا
لاوون السادس ٢ : ١٦ - ١٧ ،
وباسيليوس الاول ٢ : ١٢ ،
وهرمنوبولوس والسادس ٢ : ٢٧٥

قطمش : اطب سليمان

قلج : ارسلان ٢ : ١٢٤ ، الثاني ٢ :
١٥٦ ، يزور القسطنطينية ٢ : ١٥٧
قوروش : مقر القديس مارون ١٠٥

قوزمة : البحري الجغرافي ٢١٣ ،
الاوروشليمي البطريرك ٢ : ١٣٦
قوصوة : المعركة ٢ : ٢٥١

قوط : امام الهون ٨٨ - ٩١ ،
وثيودوسيوس ٩١ ، الاربيكوس
١٠٩ - ١١٠ ، والقسطنطينية ١١٠ ،
والثورة ١١٢ ، ويوستينيانوس ١٩٠
قونية : والنورمنديون ٢ : ١١٣ ، سلطنتها
٢ : ١٤٧ ، ١٥٦ - ١٥٨

قيذونوس : ديمتريوس اللاهوتي ٢ : ٢٧٠
قزيقية : حصارها ٢ : ٢٢٤
قيصرية : فاسطين مدرستها ١٥٤ - ١٥٧
قيليقية : ابوابها ٢٩٤ ، دخول الروم اليها

قسطندية : زوجة ليكنيوس ٥٤

قسطنديوس : الامبراطور ٧٤ - ٧٧

قسطنس : الامبراطور ٧٤

قسطنطين : الامبراطور ٥١ - ٧٤ ،

الثاني ٧٤ ، الثالث ٢٥٥ - ٢٥٧ ،

الرابع ٢٥٧ - ٢٦٤ ، الخامس ٢٩٣ -

٢٩٦ ، السابع ٢٧ - ٢٩ ،

والعلم ٢٨ ، و٩٨ - ١٠٠ ، الثامن

٢ : ٦١ - ٦٢ ، ارتوكليتي ٢ : ٦٣ ،

التاسع مونوماخوس ٢ : ٦٣ - ٦٤

و٦٦ - ٧٩ ، اوروبوس والي ايطالية

٢ : ٦٦ ، ليخوذس ٢ : ٦٧ ، الكبير

ومنتحه للكنيسة ٢ : ٧٣ ، البطريرك

٢ : ١٠٦ ، العاشر الفيلسوس ٢ :

١٠٦ - ١٠٨ ، البطريرك ٢ : ١٥٥ ،

الحادي عشر الفيلسوس ٢ : ٢٨٧ -

٢٩٦

قسطنطينية : رومة الجديدة ٦١ - ٦٤ ،

والقوط ١١٠ ، وسور ثيودوسيوس

١٢٨ - ١١٩ ، مهبها العالي ١١٩ ،

وكتاب الاتحاد ١٣٣ ، واتصار

موريقيوس ٢٠٠ ، والآفار ٢٠٨ ،

وهرقل ٢٢١ ، وحصار الآفار ٢٢٨ -

٢٣٠ ، والعرب ٢٦١ و٢٧٣ - ٢٧٤

و٣٢١ - ٣٢٢ ، ولاوون الطرابلسي

٢ : ١٩ ، والروس ٢ : ٢١ ، والبلغار

٢ : ٢٤ - ٢٥ ، وجامعها ٢ : ٥٤ -

٥٥ ، وجامعتها ٢ : ٦٧ و٩٨ و١٠١ ،

وتجار الروس ٢ : ٦٨ ، والحمة الصليبية

الثانية ٢ : ١٤٨ ، في القرن الثاني عشر

والاكتيسيس والتينوس ٢٥٨ ، تنظيمها
 والمجمع الخامس السادس ٢٦٨-٢٦٩ ،
 تزايد نفوذها ٢٨١ - ٢٨٣ ، حرب
 الايقونات ٣٠٢ - ٣٠٩ ، المجمع
 المسكوني السابع ٣٠٩ - ٣١٢ ،
 ابرشيات ارثوذكسية في ايطاليا ٢ : ٨ ،
 اضطهاد الفاطميين ٢ : ٧٨ ، البطريك
 المسكوني ٢ : ٨٣ - ٨٦ ، مكانة
 الفيلسوف فيها ٢ : ٨١ - ٨٢ و ٨٦ -
 ٨٨ ، من هم على غير النصرانية ٢ :
 ٩٢ - ٩٣ ، توسيع صلاحيات
 البطريك ٢ : ١٠٥ ، البطريك
 واحتذاء الارجواني ٢ : ١٠٥ -
 ١٠٦ ، عمانوئيل والتوفيق بين الكنائس
 الشرقية ٢ : ١٥٦ ، تغيير رئاستها
 خمس مرات في ١١ سنة ٢ : ٢٢٦ ،
 الاحزاب ٢٣٢ - ٢٣٤
 كورثوس : الروم يصنعون برزخها ٢ :
 ٢٦٣
 كوريبوس : الافريقي الشاعر ٢١٦
 كوردوخاي : ممر ٢٩٤
 كوزل حصار : القلعة ٢٨٩
 كولوني : نظام ٩
 كومنينوس : الاسرة واخبارها ٢ : ١٠٤ -
 ١١٢ ، الاسرة ٢ : ١١٧
 كوزاد : الثاكن الامبراطور زعيم الحلة
 الصليبية الثانية ٢ : ١٤٧
 كيخسرو : غياث الدين يتدخل في سياسة
 الروم ٢ : ١٨٦ ، الثاني ويوحنا
 الثالث ٢ : ١٩٢ ، الثاني وميخائيل

٢ : ٣١ ، ثيمة جديدة ٢ : ٤١
 كاتان : اطلب دومينيكوس
 كاثوليك : حق التلقب بهذا اللفظ ٩٢
 كارلوس : انجو ومطامعه ٢ : ٢١١ -
 ٢١٢ ، السادس ملك فرنسا والروم ٢ :
 ٢٥٩
 كاسية : الشاعرة ٣٤٥
 كالب : النجاشي ١٦٧ - ١٦٨
 كالويان : لقب يوحنا الثاني ٢ : ١٣٩
 كالينيكوس : والنار الاغريقية ٢٦٢
 كدريوس : المؤرخ ٢ : ١٦٦
 كروم : خاقان البلغار ٣١٦
 كريسبوس : ابن قسطنطين الكبير ٦٠
 كسرى : انو شروان ١٨٥ - ١٨٦
 و ١٨٨ - ١٨٩
 كسيلة : الزعيم البربري ٢٦٣
 كلوني : رهبان والانشقاق ٢ : ٧٢
 كلينيكوم : الحرب عندها ١٨٦ ، وابرويز
 ٢٢٣
 كناموس : اطلب يوحنا
 كنانوس : يوحنا المؤرخ ٢ : ٢٦٩
 كندي : عبد المسيح والجدل ٣٤٧
 كنزاة : تبريز وصول هرقل اليها ٢٢٦
 كنيسة : انشقاق فيها ١٢١ - ١٢٩ ،
 وكتاب الاتحاد ١٣٣ ، موقف
 يوستينيانوس ١٧٩ - ١٨٥ ، الحكمة
 الالهية ١٩٤ و ٢١٧ ، الرسل وبنائوها
 ٢١٧ - ٢١٨ ، تمدد هرقل بالمال ٢٢٥ ،
 والابنيتيكون والفصول الثلاثة

الحزري الفيلسوف ٣٠٩ - ٣١٢ ،
الثالث بابا رومية ينتخب امبراطوراً على
الغرب ٣١٢ - ٣١٣ ، الخامس
الفيلسوف ٣١٧ - ٣١٩ ، السادس
الفيلسوف وزوجاته ٢ : ١٥ ، السادس
الفيلسوف ٢ : ١٣ - ٢٢ ، السادس
الفيلسوف مشجع العلم ٢ : ٩٨ - ٩٩ ،
الطرابلسي وهجومه على القسطنطينية ٢ :
١٩ ، الطرابلسي وتحطيم عمارته ٢ :
٢٧ ، ابن فوقاس يحدد في خرشنة ٢ :
٣٣ ، فوقاس يحاصر طرسوس ٢ :
٤١ ، التاسع البابا والانشقاق ٢ :
٧١ - ٧٢ ، متروبوليت اوخريدة
والانشقاق ٢ : ٧٢ ، الشمس وتاريخه
٢ : ١٠٠ ، النحوي وتاريخه ٢ : ١٠٠

لندن : وصول فيلثس الروم اليها ٢ :

٢٦٠

لوباذيون : المعركة ٢ : ٢٦٤
لوقا : البطريرك المسكوني ٢ : ١٥٥
لوقيانوس : القس الانطاكي ١٥٠
لؤلؤ : الوصي على ابن سعد الدولة ٢ : ٥٦
لؤلؤة : قلمتها ٢٩٤ ، يمتلها باسيلوس
الاول ٢ : ٧
لونجينوس : اخو زينون الامبراطور ١٣٥
لويس : السابع ملك فرنسا ٢ : ١٤٨ ،
ابنته خطيبة اليكسيوس ٢ : ١٥٨ ،
ملك المجر يتاهي ٢ : ٢٤٤
ليبانوس : الفيلسوف ويوليانوس ٨٣ -

بالولوغوس ٢ : ٢٩٥

كيرلس : بطريك الاسكندرية والمجمع
الثالث ١٢٤ ، اليساني المؤرخ ٢١٥
كيروس : البطريرك والمشيئة الواحدة ٢٣١
كيولاريوس : اطلب ميخائيل
كيزيكوس : وحصار القسطنطينية ٢٦٢
كيبالونفوس : الموقعة ٢ : ٥٧

لاتراني : المجمع ٢ : ٢٠١

لاذقية : تنعم بلبق مترولبوليس ٩٨ ، اسقفها
ابوليناريوس ١٢٣ ، دخول بوهموند
اليها ٢ : ١٣٢

لازقة : خلاف الفرس والروم ١٣١ -

١٣٢ ، قضيتها ١٨٦

لاريسة : الموقعة ٢ : ١٢٢

لاساكرة : اسرتهم ٢ : ١٨٣

لاسكاريس : كاليغوفيروس ومهمته في افينيون

٢ : ٢٤٩

لامنس : الاب والقديس مارون ١٠٥

لاونديوس : الفيلسوف ٢٧٠ - ٢٧٤ ،

اسقف قبرص وسير القديسين ٢٨٦

لاون : البابا والمجمع الخلقيدوني ١٢٦ -

١٢٩ ، الاول امبراطور ١٣١ -

١٣٢ ، الرياضي وساعته ٢٩٥ ، الرياضي

ومدارس الدولة ٣٢٤ ، الرياضي رئيس

جامعة انقسطنطينية ٣٣٩ ، الثالث يصد

العرب ٢٩٢ ، الثالث واصلاحاته

القضائية ٢٩٨ - ٣٠١ ، الثالث

الفيلسوف ٢٩٠ - ٣٠٧ ، الرابع

السادس (ترولس) ٢٥٨ - ٢٦٠ ،
الخامس السادس ٢٦٨ - ٢٦٩ ، الفيرة
المحلي ٣٠٤ ، السابع ٣٠٩ - ٣١٢ ،
الثامن ٣٣١ و ٢ : ٩ - ١١ ،
باسيليوس الاول ٢ : ٩
محمد : الثاني والقسطنطينية ٢ : ٢٨٨ -

٢٩٦

مراد : الاول السلطان وقتوحاته ٢ : ٢٤٨

- ٢٥١ ، الثاني ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٤

٢٨٥ - ٢٨٦

مرتيروس : بطريك انطاكية ١٣٤

مرتينة : زوجة هرقل ٢٥٤

مرتينوس : الاول بابا رومة والاكسيس ٢٥٧

مردة : وصولهم الى لبنان ٢٦٠ ، ونقلهم

منه ٢٦٤ - ٢٦٥

مردونيوس : الحضي ويوليانوس ٧٨

مرعش : خروج العرب منها ٢٦٤

مرقس : الانجيلي ٣١ - ٣٢ ، متروبوليت

افسس وجمع فراري ٢ : ٢٨٣ -

٢٨٦

مرفيانوس : الامبراطور والمجمع الرابع

- ١٢٧ - ١٢٩ ، اخباره ١٣٠ -

١٣١

مرقية : المعركة ٢ : ٢٥٤

مريم : الانطاكية ٢ : ١٥٨ - ١٥٩

مزدة : اهورا مزدة ٤٤ - ٤٥

مسعود : امير السلاجقة ٢ : ١٤١ ، سلطان

قونية ٢ : ١٥٦

مسلمة : والقسطنطينية ٢٧٤

مسيح : هو الملك عند الروم ٢ : ٨٠ - ٨١

٨٤ ، ادارة ثيودوسيوس ٩٧ ، اديب

انطاكية ١٤٩

ليخوذاس : اطلب قسطنطين الرابع

ليخوذي : البطريرك ٢ : ١٠٦

ليكينوس : الامبراطور ٥٣

ليوتاريون : المعركة ٢ : ٢٥٨

مارون : القديس ١٠٥ - ١٠٦

ماريا : زوجة باسيلوس الاول ٢ : ١٣

مامون : ومساعدة توما الصقلي ٣٢١ ،

ولاون الرياضي ٣٤٦

ماني : دينه ٤٧ - ٤٩ ، الثورة المانوية

١٢٣ : ٢

مانفرد : الامبراطور وتألبه على الروم

٢٠٢ : ٢

متافراستس : سمان واخبار القديسين ٢ :

١٠٠

متوكل : على الله نبيون العرب ٢٣٥

متى : ابن يوحنا السادس ٢ : ٢٤٣ ، والعلم

٢٦٧

مثنى : ابن حارثة والفتح ٢٤٠

مثوديوس : المعترف البطريرك والايقونات

٣٢٧

مجمع : المسكوني الاول ٥٥ - ٥٩ ، الثاني

٩١ - ٩٦ ، البلوطة ١١٤ ، طيسفون

١١٧ ، الثالث (افسس) ١٢٤ -

١٢٥ ، الرابع (خالقيونية) ١٢٥ -

١٢٩ ، الخامس ١٨٤ - ١٨٥ ، المحلي

الذي عقده المنذر الفساني ٢٠٤ ،

مكسيموس : الامبراطور ٩٨ - ٩٩
 مكسيموس : المعترف ودفاعه ضد المشيئة
 الواحدة ٢٨٥ - ٢٨٦
 مكسيميانوس : امبراطور الغرب ٥٢ ،
 قيصر على سورية ٥٢ ، البطريرك ١٢٥
 ملاتيوس : بطريرك انطاكية ٩٣
 ملاذكرد : الموقعة ٢ : ١١٠
 ملاطية : الموقعة ٢٠٠ ، دك حصونها ٢٦٤ ،
 قلعتها ٢٩٤
 ملكشاه : جلال الدولة والروم ٢ : ١١٣ ،
 وتوزيع الاقطاع في سورية ٢ : ١٢٤ ،
 والسلاجقة ٢ : ١٣٢ - ١٣٣
 ملك غازي : امير السلاجقة ٢ : ١٤١ ،
 وابنه محمد ٢ : ١٤٣
 ملالاس : المؤرخ الانطاكي ٢١٣
 مليه : الدمستق الارمني ٢ : ٤٨
 مماليك : وروسية والمضايق ٢ : ٢١٦
 مناسيس : المؤرخ ٢ : ١٦٦
 مننج : وكسرى ١٨٩
 منذر ابن النعمان ١١٨ ، ابن الحارث
 الغساني ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥
 منزيكرت : الموقعة ٢ : ١١٠
 منياكس : جورج وصقلية ٢ : ٦٦ و ٦٨
 مؤتة : القتال فيها ٢٣٧ - ٢٣٨
 مورة : عمانوئيل الثاني يوطد حكمه فيها
 ٢ : ٢٦٣
 موريق وموريقيان : ولبنان ٢٦٥
 موريقوس : الامبراطور ١٩٧ - ١٩٨
 عدو المنذر الغساني ٢٠٥

مسيئة : الاستيلاء عليها ٢ : ٦٦
 مشارف : القتال فيها ٢٣٧ - ٢٣٨
 مشيئة : واحدة ٢٣٠ - ٢٣٣ و ٢٨٥
 مصر : والفتح العربي ٢٢٤ - ٢٢٥
 ٢٤٨ - ٢٥٣ ، والمشيئة الواحدة
 ٢٣٢ ، وحلة عمانوئيل لاسترجاعها
 ٢٥٥ ، وغارة الروم على سواحلها ٣٣٤
 مصيصة : سقوطها في يد الروم ٢ : ٤١
 معاوية : وادي عربة ٢٤٠ ، والمردة
 والفرس ٢٦٠ - ٢٦١
 معتدلون : الحزب الكنيسي ٢ : ٢٣٢
 معتم : الخليفة وبابك ٣٢٥
 مغارة الكحل : وسيف الدولة ٢ : ٣٥
 مغاور : الفرسان المرتقة ٢ : ٢٢٣ -
 ٢٢٥
 مغنيسية : رفات ثيودوروس ٢ : ١٩٦ ،
 وهجوم الاتراك ٢ : ٢٢٣
 مغول : وآسية الصغرى ٢ : ١٩٥
 مقدم الفلاسفة : اطلب ميخائيل الثالث
 البطريرك
 مقدونية : الاسرة المالكة ٢ : ٣ - ٤
 مقدونيوس : بدعته ٩٤ ، الثاني البطريرك
 ١٢٨
 مقوقس : والنبي العربي ٢٣٥ - ٢٣٦ ،
 والفتح ٢٥٠ - ٢٥١
 مكاريوس : بطريرك انطاكية والمجمع السادس
 ٢٥٨
 مكرمبوليتس : المؤرخ ٢ : ٢٦٩
 مكستينوس : امبراطور الغرب ٥٢
 مكسيموس : الفيلسوف ويوليانوس الجاحد

ميسنيكوس : البطريرك العالم ٢ : ١٠٠
 ميلان : براءتها ٥٤ - ٥٥
 ناصرة : الاء الفسيلفس يعف عنها ٢ : ٤٨
 نبي : النبي العربي والروم ٢٣٤ - ٢٣٨
 نرسي : الاول ٤٩ - ٥٠
 نرسي : القائد والقوط في ايطالية ١٩٠
 نسطوريوس : بدعته ١٢٣ - ١٢٤
 نصر : ابن الازهر يفاوض في القسطنطينية
 ٣٣٦
 نصرانية : ظهورها وانتشارها ٢٤ - ٤٢ ،
 والدولة الرومانية ٣٢ - ٣٣ ،
 اضطهادها ٣٣ - ٣٦ ، نظامها ٣٦ -
 ٤٠ ، مثال التقوى ٣٩ ، آثارها ٤٠ -
 ٤٢ ، موقف قسطنطين منها ٥٣ -
 ٥٤ ، في ارمينية وفارس ٧٥ ، موقف
 يوليانوس منها ٨١ - ٨٤ ، موقف
 يوفيانوس الامبراطور منها ٨٦ - ٨٧ ،
 وظهور الرهبانية ١٠٢ - ١٠٦ ،
 انشقاق القرن الخامس ١٢١ - ١٢٩ ،
 في اليمن ١٦٧ - ١٦٨ ، والفتح
 الاسلامي ٢٤٧ - ٢٤٨
 نصيين : حصارها في عهد شابور الثاني
 ٧٥ - ٧٦ ، في قبضة الروم ٢ : ٢٧
 و٢ : ٤١
 نعمان : الثاني ملك الخيرة ١٣٦ ، ينصر
 ٢٠٦
 نفية : معاهدتها ٢ : ١٩٨

موزالن : اطلب جاورجيوس
 موسكو : دوقها والروم ٢ : ٢٥٨
 موصل : تعترف بسيادة الروم ٢ : ٤٨
 موتفرا : اطلب بونيفاتيوس
 ميافارقين : في قبضة الروم ٢ : ٢٧
 ميتوخيتس ، ثيودوروس العالم ٢ : ٢٧٤
 ميثونيوس : اطلب نيقولاوس
 ميخائيل : الاول الفسيلفس ٣١٥ - ٣١٧ ،
 الثاني ٣١٨ - ٣٢٣ ، الثالث ٣٢٧ -
 ٣٣٨ ، بورجس القائد ٢ : ٥٦ ،
 الرابع الفسيلفس ٢ : ٦٢ - ٦٣ ،
 الخامس القلفاطي ٢ : ٦٣ ، كيولاريوس
 البطريرك ٢ : ٧٠ ، السادس الفسيلفس
 ٢ : ٧٧ - ٧٨ ، اتاليانس المؤرخ ٢ :
 ١٠٢ ، البطريرك واسحق كومينوس ٢ :
 ١٠٥ ، السابع الفسيلفس ٢ : ١١١ -
 ١١٥ ، الثالث البطريرك ٢ : ١٥٥ ،
 الايطالي الخطيب ٢ : ١٦٦ ، الحونياني
 رئيس اساقفة آثينة ٢ : ١٦٦ ، الرابع
 البطريرك ٢ : ١٨٥ ، دوقاس ديسبوتس
 ابيروس ٢ : ١٨٨ و ١٩٤ ، الثاني
 ملك البغار ٢ : ١٩٤ ، باليولوجوس
 في نيقية ٢ : ١٩٥ و ١٩٦ ، الثامن
 الفسيلفس ٢ : ١٩٧ - ٢١٨ ، واتحاد
 الكنيستين ٢ : ٢١٢ - ٢١٥ ، التاسع
 الفسيلفس والاتراك ٢ : ٢٢٣ ، وتراقية
 ٢ : ٢٢٦ ، الثالث البغار ٢ :
 ٢٢٩
 ميرو كفالون : المعركة ٢ : ١٥٨
 ميرو بيبليون : مصنف البطريرك فوطيوس

١٨٢ : ٢
 نيقيطاس : زحفه على مصر ٢٢١ ، قدمه
 الى القسطنطينية ٢٢٣ ، القائد واوروشايم
 ٢٢٤ ، اوريفانوس وسواحل
 الادرياتيک والمسلمين ٢ : ٨ ، الخونياتي
 المؤرخ ٢ : ١٦٥ ، رئيس اساقفة
 نيقوميذية ٢ : ١٦٧
 نيقوفوروس : الاول الفيلسوف ٣١٤ -
 ٣١٥ ، بطريك القسطنطينية والايقونات
 ٣١٧ - ٣١٨ ، المعترف والعلم ٣٤٣
 - ٣٤٤ ، فوقاس وقتوحاته في ايطالية
 ٢ : ٨ ، وغزواته في سوريا ٢ : ٣٤ -
 ٣٦ ، الفيلسوف ٢ : ٣٩ - ٤٤ ،
 ابن برداس وانتصاراته ٢ : ٢٧ ،
 بريانوس والبلقان ٢ : ١١٣ ، وتاريخه
 ٢ : ١٦٥ ، الثالث الفيلسوف ٢ :
 ١١٣ - ١١٤ ، باسيلاكس الخطيب
 ٢ : ١٦٦ ، يرفض البطريركية ٢ :
 ١٩٣ ، اثنائي البطريرك المسكوني ٢ :
 ١٩٧ ، البهيدي العالم ٢ : ٢٠٤ -
 ٢٠٥

نيلوس : المصري وتعاليمه ٢ : ١٣٦
 نيوفيطوس : الاول البطريرك المسكوني
 ١٥٥ : ٢

هارون : الرشيد وتحصين الحدود ٢٩٦
 هرقل : الامبراطور ٢٢٠ - ٢٥٤ ،
 اسرته ٢٢٢ ، يعول الانتقال الى افريقية
 ٢٢٥ ، والحرب الفارسية ٢٢٣ - ٢٢٨

نوثاراس : واتحاد الكنيستين ٢ : ٢٩٠
 نور الدين : امير حلب حليف الروم ٢ :
 ١٥٧

نورمبرج : المعاهدة ٢ : ١٧١
 نورمنديون : وايطالية الجنوبية ٢ : ٧٠ ،
 مغامراتهم في آسيا الصغرى ٢ : ١١٣ ،
 مطامعهم ٢ : ١٢٠ - ١٢١ ، الحرب
 مع الروم ٢ : ١٥٠ - ١٥٢ ،
 واسحق الثاني ٢ : ١٧٠
 نومانوس : اخباره وفلسفته ٢٠
 ذو النون : امير سيواس والروم ١٥٧ -
 ١٥٨

نيفون : الراهب زعيم البولسين ٢ : ١٥٦
 نيقوبوليس : دخول سيجموند اليها ٢ :
 ٢٥٥ ، المعركة الكبرى ٢ : ٢٥٧
 نيقولاووس : ميستيكوس البطريرك
 القسطنطيني ٢ : ١٥ ، موقفه من
 الفيلسوف ٢ : ١٥ - ١٦ ، الثاني
 البطريرك المسكوني ٢ : ٥١ ،
 ميستيكوس البطريرك العالم ٢ : ١٠٠ ،
 الثالث بطريك القسطنطينية ٢ : ١٣٦ ،
 الرابع البطريرك المسكوني ٢ : ١٥٥ ،
 ميثونيوس المدافع عن الدين ٢ : ١٦٦ ،
 ميزاريتس متروبوليت افسس ٢ : ١٠١ ،
 الخامس بابا رومة وحصار القسطنطينية
 ٢٨٩ : ٢

نيقوميذية : استيلاء اورخان عليها ٢ : ٢٣٠
 نيقية : مجتمعا المسكوني الاول ٥٥ - ٥٩ ،
 وانتخاب اولنثيانوس ٨٧ ، ودستور
 الايمان ٩٤ - ٩٥ ، امبراطوريتها

- هرقلون : ابن هرقل ٢٥٤
 هرمز : الرابع يسيء استقبال وفد الروم
 ٢٠٠
- هنريكوس: الثالث الامبراطور والانشقاق
 ٢ : ٧١ ، الرابع الامبراطور ٢ :
 ١٢١ - ١٢٢ ، والروم ٢ : ١٧٤ -
 ١٧٥ ، دوندولو شيخ البندقية ٢ :
 ١٧٥ ، امبراطور القسطنطينية ٢ :
 ١٨٧ ، الرابع ملك الانكليز والروم
 ٢ : ٢٦٠
- هنوريوس : الامبراطور ١٠٨ - ١٠٩
 هورميزداس : بابا رومة ١٦٧
 هوسوس : الاسقف الاسباني ٥٦ - ٥٧
 هوغ : دي فارمندوى اخو ملك فرنسا ٢ :
 ١٢٧
- هولاغو: وسلطنة الروم ٢ : ٢١٥ - ٢١٦
 هومبرت : الكردينال والانشقاق ٢ :
 ٧٢ - ٧٦
- هون : يمبرون الفولكة ٨٧ ، اتساع
 سلطاتهم ١٢٠ - ١٢١
 هونيادي : يوحنا ٢٨٩
 هيروودوس : اغريبة ٢٧
 هيروكليس : اللغوي الجغرافي ٢١٣
 هيلانة : القديسة ٥٩ - ٦٠ ، زوجة
 يوليانيوس ٨٠
- هيدرخوس : الوندالي في افريقية ١٨٧
 هياريوس : قائد الاسطول والمسلمون ٢ :
 ١٩
- والنس : امبراطور الشرق ٨٧ ،
 والآريوسيون ٩١
 وباء : الاسود ٢ : ٢٣٩
 وثنية : تشرف على التلف ٩٩ - ١٠٠
 ورنة : الموقعة ٢ : ٢٨٦
 وسيط : الافلاطونية الجديدة ٢٠
 ولتنيانوس : الامبراطور ٨٧ - ٨٩ ،
 الثاني امبراطور الغرب ٩٨ - ٩٩
- يافة : والعرب ٢٣٩
 يرموق : الموقعة الحاسمة ٢٤٤
 يزدجرد : الاول وصداقته ١١٧
 يزيد : ابن ابي سفيان والشام ٢٤٠
 يعقوب : اخو بايزيد وقتله ٢ : ٢٥٣
 يقظة : الروم واليقظة في ايطالية ٢ :
 ٢٧٦ - ٢٧٨
- يميليجوس : الفيلسوف البقاعي ٢٢ - ٢٣
 يمن : قبائلها والفتح ٢٤٢
 يهود : والمسيحيون الاولون ٢٥ - ٢٦ ،
 والنبي العربي ٢٣٤ - ٢٣٥ ، وموقف
 دولة الروم منهم ٢ : ٩٢ - ٩٣
 يوبيناليوس : اسقف اوروشليم ١٢٤
 يوحنا : الانجيلي ٣١ ، الذهبي الفم والقديس
 مارون ١٠٥ ، اخباره ١١٣ - ١١٦ ،
 البطريرك الانطاكي ١٢٤ ، البطريرك
 الاسكندري ١٣٨ ، وطيباريوس
 الثاني ١٩٦ - ١٩٧ ، كلياكوس
 المؤرخ ٢١٥ ، الافسي المؤرخ ٢١٤ -
 ٢١٥ ، موسخوس المؤرخ ٢١٥ -

٢٤٢ ، السادس الفيلسوف ٢ : ٢٣٥ -
 ٢٤٢ ، والعلم ٢٦٧ ، الكسندروس
 ملك البلغار ٢ : ٢٤٤ ، الثامن الفيلسوف
 ٢ : ٢٦٤ و ٢٧٩ - ٢٨٧
 يوسنينوس : الامبراطور ١٦٥ - ١٦٨ ،
 الثاني ١٩٥ - ٢٠٠
 يوستينانوس : الامبراطور ١٦٨ -
 ١٩٤ ، والحرب في ايطاليا وافريقية
 ١٨٧ - ١٨٨ ، والحرب الفارسية
 ١٨٥ - ١٨٩ ، وتحصين الحدود ١٩١د -
 ١٩٣ ، ابن جرمانوس القائد ٢٠٠ ،
 الثاني الفيلسوف ٢٦٤ - ٢٧٠
 يوسف البطريك المسكوني ٢ : ٢١٣
 و ٢٨٢ - ٢٨٤
 يوسيبوس : الآريوسي ويوليانوس ٧٨ ،
 المؤرخ ١٥٥ - ١٥٧ ، الرهاوي
 ١٦٢
 يوقيانوس : الامبراطور ٨٦
 يولنسة : الامبراطورة ٢ : ١٨٨ ،
 الفيلسفة الايطالية ٢ : ٢١٩
 يوليانوس : الجاحد ٧٦ - ٨٥

٢١٦ ، الرابع بابا رومة وتحريم المشيئة
 الواحدة ٢٣٣ ، رئيس اساقفة آثينة
 ٢٥٨ ، الانطاكي المؤرخ ٢٨٤ -
 ٢٨٥ ، الكاتب البطريك ٣٢٧ ،
 الدمشقي ٣٤١-٣٤٢ و ٣٤٧ ، الثامن
 بابا رومة ٢ : ٨ ، جيمسكي الفيلسوف
 ٢ : ٤٤ - ٤٩ ، سباد ملك الارمن
 ٢ : ٦٥ ، البلاغوني الحفي ٢ : ٦٢ ،
 الثامن البطريك ٢ : ١٠٦ - ١٠٧ ،
 السابع بطريك انطاكية ٢ : ١٣٠ ،
 الثاني الفيلسوف ٢ : ١٣٩ - ١٤٤ ،
 الايطالي ٢ : ١٥٦ و ١٦٤ ، كناموس
 المؤرخ ٢ : ١٦٥ ، آسن زعيم البلغار
 ٢ : ١٧٣ و ١٩٠ ، العاشر البطريك
 ٢ : ١٨٥ ، الثالث الفيلسوف ٢ :
 ١٨٧ - ١٩٢ ، قفس وتوحيد
 الكنيستين ٢ : ٢١٣ ، كنتا كيزينوس
 ٢ : ٢٢٧ ، اورسبني ٢ : ٢٢٩ ،
 الثاني والعشرون بابا رومة والانشقاق
 ٢ : ٢٣١ ، كاليكاس البطريك ٢ :
 ٢٣٥ ، الخامس الفيلسوف ٢ : ٢٣٥ -

محتويات الجزء الثاني

الباب الثامن الاسرة المقدونية والعظمة والمجد

صفحة	
	الفصل الثاني والعشرون : توطيد الملك: باسيلوس الاول ولاون السادس ، اصل هذه الاسرة ، باسيلوس الاول ، باسيلوس والعرب والارمن ، باسيلوس والكنيسة ، سياسة باسيلوس الداخلية ، لاون السادس ، لاون والكنيسة ، سياسة لاون الداخلية ، لاون الحكيم والعرب ، والبلغار ، والروس ٣ - ٢٢
	الفصل الثالث والعشرون : النهوض بالدولة : قصور ووصاية ، رومانوس الاول والعرب ، قسطنطين السابع ، قسطنطين وسيف الدولة ، اقريطش ، مغارة الكحل ، عين زوبا ، وحلب ٢٣ - ٣٦
	الفصل الرابع والعشرون : هجوم عظيم ونهر مابين : الجيش في القرن العاشر ، نيقيفوروس فوقاس ، فتوحات الروم في سورية ، نيقيفوروس والغرب ، الروم وبلغارية وروسية ، يوحنا جيمسكي ، عنايته بالكنيسة ، الروس والبلغار ، توسع جديد في سورية ولبنان ، باسيلوس الثاني ، الكنيسة ، تنصر الروس ، حروب باسيلوس ٣٧ - ٦٠
	الفصل الخامس والعشرون : التوقف عن التوسع : قسطنطين الثامن ، الاباطرة الاصحار ، الحدود والعلاقات الخارجية ، قسطنطين التاسع مونوماخوس ، الانشقاق العظيم ٦٠ - ٧٨

- الفصل السادس والعشرون : اسس الدولة ونظمها : المسيح هو الملك ، الفسيفس
 نائب المسيح ، البطريرك المسكوني ، الفسيفس
 والكنيسة ، الانجيل دستور الدولة ، من لا يدين
 بالنصرانية ، الادارة ، الاحزاب السياسية ،
 ٨٠ - ٩٧ . نزاع الطبقات ، الدولة ورجال الصناعة .
 الفصل السابع والعشرون : الآداب والفنون في عهد الاسرة المقدونية :
 ٩٨ - ١٠٣ مميزات آداب هذا العصر ، المؤلفون والمؤلفات

الباب التاسع

تأخر الدولة وانهيارها

- الفصل الثامن والعشرون : الفوضى والفتن الداخلية : اسحق كومنينوس ،
 قسطنطين العاشر دوكة ، رومانوس الرابع
 ديوجانس ، ميخائيل السابع ، الاتراك السلاجقة ،
 نيقيفوروس الثالث بوتانياتس ، البابا غريغوريوس
 السابع ، ارمينية الصغرى ، ثورة اليكسيوس
 كومنينوس ١٠٤ - ١١٨
 الفصل التاسع والعشرون : اليكسيوس الاول كومنينوس : شخصه ، مطامع
 النورمانيين ، ثورة مانوية ، ازدياد نفوذ
 الاتراك ، الروم والصلبيون ، ملكشاه الثاني ،
 اليكسيوس والغرب ، السياسة الداخلية ،
 ١١٩ - ١٣٨ . اليكسيوس والكنيسة ، اقتراب الاجل .
 خلفاء اليكسيوس كومنينوس : يوحنا الثاني ،
 اخباره في اوروبة ، حروبه في سية ، عمانوئيل
 الاول ، مشكلة انطاكية ، سلطنة قونية ، الحملة
 الصليبية الثانية ، الحرب النورمندية ، الفسيفس
 سيد سورية ولبنان وفلسطين ، المشكلة الايطالية ،
 عمانوئيل والكنيسة ، سلطنة قونية ، وصاية مريم
 الانطاكية ، اندرونيكوس الاول ، العاصمة في
 القرن الثاني عشر ، العلم والادب ١٣٩ - ١٦٨

الباب العاشر

تفكك وانهار

صفحة

- الفصل الحادي والثلاثون : اسرة انجيلوس : اسحق الثاني ، اليكسيوس الثالث ، هنريكوس السادس والروم ، الحملة الصليبية الرابعة ١٦٩ - ١٨١
- الفصل الثاني والثلاثون : امبراطورية نيقية : على انقاض دولة الروم ، تعاون الروم والبلغار ، يوحنا الثالث باطلاحي ، فريديريك الثاني ، كيخمرو الثاني ، يوحنا عدو اللاتين ، ثيودوروس الثاني ، يوحنا الرابع ، فتح القسطنطينية ، انوشتوس الثالث والكنيسة الارثوذكسية ، علماء نيقية وادباؤها ، نيقيفوروس البلهيدي ، اكروبوليتة وثيرودوروس ، ادباء لبيروس وعلمائها ١٨٢ - ٢٠٧

الباب الحادي عشر

المقظة الاخيرة واخفاؤها

- الفصل الثالث والثلاثون : دولة صغيرة ارثها كبير : سياسة ميخائيل الثامن الداخلية ، سياسته الخارجية ، محاولة توحيد الكنيستين ، ميخائيل الثامن والبلقان ، ميخائيل في الشرق ، اندرونيكوس الثاني ، سياسته الداخلية ، جنوى والبندقية ، مطامع الصرب ، الخطر التركي ، فرقة المغاور ، تشويش وبلبله . ٢٠٨ - ٢٢٧
- الفصل الرابع والثلاثون : اندرونيكوس الثالث ويوحنا السادس : اندرونيكوس الثالث ، حروبه في البلقان ، في آسية والارخبيل ، موقفه من الكنيسة ، الغيورون والمعتلون ، الصامتون ، الحرب الاهلية ، يوحنا السادس ، الصرب ، متاعب داخلية ، مشكلة جنوى ، جنوى والبندقية ، حرب اهلية . ٢٢٨ - ٢٤٢
- الفصل الخامس والثلاثون : الاتراك العثمانيون في اوروبه : شبه جزيرة البلقان ، الهجوم التركي ، الفسيلفس وبابارومة ، البطريرك فيلوثاوس يقاوم ، الاتراك عند

الدانوب ، اخفاق البابا ، دخول الفيلسوف في
طاعة السلطان ، ثورة اندرونيكوس ،
الأتراك اسيا الموقف ، قوصوة . . . ٢٤٣ - ٢٥٢

الباب الثاني عشر

النهاية

الفصل السادس والثلاثون : الروم وبلبيزيد ومحمد : السلطان بلبيزيد ، نيقوبوليس ،
عمانوئيل الثاني في الغرب ، تيمورلنك ، اثر
انهزام الأتراك ، عمانوئيل والمورة ، مراد
الثاني ، يوحنا الثامن في الغرب ، وفاة عمانوئيل
الثاني ٢٥٢ - ٢٦٥

الفصل السابع والثلاثون : علوم الروم وثقافتهم : دور الملوك والامراء ،
التاريخ ، اللاهوت ، الفلسفة والبيان وفقه اللغة ،
ثيودوروس ميتوخيستس ، ديمتريوس تريكلينيوس ،
القانون ، العلوم والطب ، الفن ، الروم واليقظة
في ايطاليا ٢٦٦ - ٢٧٨

الفصل الثامن والثلاثون : يوحنا الثامن وقسطنطين الحادي عشر : يوحنا
الثامن ، مجمع فراري ، موقف مراد الثاني ،
موقعة ورنة ، مراد وقسطنطين باليولوغوس ،
موقعة قوصوة ، وفاة يوحنا الثامن ، قسطنطين
الحادي عشر ، محمد الثاني والقسطنطينية ، قسطنطين
يستعد ، حصار القسطنطينية ٢٧٨ - ٢٩٤

ملاحق

الاباطرة والفسالسة وابطاطرة رومانية اللاتينية وملوك اوروشليم اللاتينيون ٢٩٦ - ٣٠٠
بطاركة رومة الجديدة وباباوات رومة القديمة ٣٠٠ - ٣١١
الاكاسرة ، والخلفاء الراشدون ، والامويون ، والعباسيون ٣١٢ - ٣١٤
انطولوجيون ، والاشيديون ، والفاطميون ، والحمدانيون ، والايوبيون ،
والمماليك والعثمانيون ٣١٤ - ٣١٧

الفهارس

Copyright by Dar Al - Makhouf

Beyrouth, 1956

HISTORY
of
THE BYZANTINE EMPIRE

**WITH SPECIAL REFERENCE TO ITS RELATIONS
WITH CONTEMPORANEOUS MOSLEM STATES**

By

Asad J. Rustum, M. A., Ph. D.

— II —

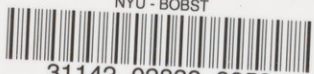
**Dar Al-Makchouf
Beyrouth**



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 02839 8959

DF552 .R8

v.2 al-Rum fi siyasathim wa-hadar

HISTORY
of
THE BYZANTINE EMPIRE

**WITH SPECIAL REFERENCE TO ITS RELATIONS
WITH CONTEMPORANEOUS MOSLEM STATES**

By

Asad J. Rustum, M. A., Ph. D.

— II —

Dar Al-Makchouf

Beyrouth